الملامح اللغوية والصوتية
في
قراءة الإمام الكسائي

(ت ١٨٩هـ)

تأليف
الدكتور محسن هاشم درويش

الملامحُ اللُّغَويَّةُ و الصَّوْتيَّةُ
في
قراءةِ الإمامِ الكسائيِّ
(ت ١٨٩ هـ)

تأليف

الدكتور محسن هاشم درويش

تخصص في القراءات القرآنية

ماجستير في علم اللغة

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

جامعة صدام للعلوم الإسلامية
بغداد - العراق

الملامحُ اللُّغَويَّةُ و الصَّوْتيَّةُ في قراءةِ الإمامِ الكسائيِّ

(ت ١٨٩ هـ)

رسالة تقدم بها الطالب

محسن هاشم عبد الجواد درويش

إلى

مجلس قسم اللغة العربية وعلوم القرآن

وهي جزء من متطلبات درجة (الماجستير) في اللغة العربية وعلوم القرآن ، تخصّص: (علم اللُّغة) .

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الحسين محمد جاسم الفتلي

صفر / ١٤١٦ هـ

تموز / ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله جل وعلا:

« كتابٌ أنزلناه اليك مباركٌ ليدّبّروا آياته وليتذكرَ أولو الألباب »

{سورة ص (٢٩)}

ويقول سبحانه:

« وهذا كتابٌ مصدّقٌ لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين »

{ سورة الأحقاف (١٢) }

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد اننا اعضاء هيأة المناقشة ، اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (**الملامح اللغوية و الصوتية في قراءة الإمام الكسائي**) المقدمة من قبل الطالب (**محسن هاشم عبد الجواد درويش**) في قسم (**اللغة العربية وعلوم القرآن**) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها.

ونقر أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في (**علم اللغة**) .

بتقدير (ممتاز) يوم ١١ / ٩ / ١٤١٦هـ الموافق ٧ / ١ / ١٩٩٥ م.

التوقيع :

الاسم : د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي

عضو اللجنة

التاريخ : ٧/ ١/ ١٩٩٥م

التوقيع:

الاسم: الدكتور عبد الرحمن العبيدي

رئيس اللجنة

التاريخ : ٧ / ١ / ١٩٩٥م

التوقيع :

الاسم : د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي

عضو اللجنة

التاريخ : ٧/ ١/ ١٩٩٥م

التوقيع:

الاسم: د. عبد الحسين القتلي

المشرف

التاريخ : ٧ / ١ / ١٩٩٥م

صادق مجلس قسم (اللغة العربية وعلوم القرآن) على قرار اللجنة

التوقيع:

الاسم : د. عبد الحسين القتلي

رئيس القسم

التاريخ: ٧ / ١ / ١٩٩٥م.

الإهداء

إلى والديّ الكريمين ....
اللذين ربياني صغيراً ، ورعياني كبيراً ....
وإلى شيخي الفاضل .....
أبي عمر فيصل بن عبد القادر الموصلي ... الذي فتح لي آفاق هذا العلم.
وإلى أخي الوفيّ ....
أبي عبد الرحمن مازن بن خالد الكلاّك ... الذي فاض إخاءً وعطاءً.
ذكراً لا يُنسى ... وشكراً لا يبلى .

أبو عبد الله

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الباب الأول : الإمام الكسائي وأبرز الظواهر اللغوية في قراءته	١٥-٧٨
الفصل الأول : الإمام الكسائي ، علم وعمل	١٥-٢٩
تمهيـــــد	١٥
اسمه وكنيته ونسبه	١٧
سبب تلقيبه بـ(الكسائي)	١٧
شيوخه	١٧
تلاميذه والراوون عنه	١٩
علمه ومنزلته	٢٠
ورع الكسائي وثباته	٢٢
هل للكسائي شعر؟	٢٤
ثناء العلماء عليه	٢٤
أثر الكسائي على القراء	٢٥
وفاته	٢٧
كتبه ومصنفاته	٢٨
مصادر ومراجع ترجمته	٢٩
الفصل الثاني : ما تفرد بقراءته الكسائي من حيث اللغة ، مخالفاً سائر القراء السبعة ، وتوجيهه من لغة العرب ، مرتّباً على سُوَر القرآن الكريم	٣١-٧٨
تمهيد	٣١
المنهج المعتمد في معالجة هذا الفصل	٣٢
سورة البقرة	٣٤
سورة آل عمران	٣٦
سورة النساء	٣٩
سورة المائدة	٤١
ما ينبغي أن يكون عليه الباحث في الدراسات القرآنية	٤٤
سورة الأنعام	٤٦
الردّ على أبي جعفر النحاس في تضعيفه حذف الهمزة من (أرأيت)	٤٧
سورة الأعراف	٤٩
سورة يونس	٥١

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
سورة هود	٥٢
الردّ على الطبري في ردّه قراءة الكسائي (عَمِلَ غيرَ صالح)	٥٣
سورة إبراهيم	٥٨
سورة النّحل	٥٩
التّأثّر الذي يصيب الأصوات : رجعيّ و تقدميّ	٥٩
سورة الإسراء	٦٠
سورة مريم	٦٢
سورة طه	٦٢
سورة الأنبياء	٦٣
سورة النّمل	٦٣
سورة سبأ	٦٥
سورة الدّخان	٦٦
الردّ على الطّبري في قوله بشذوذ قراءة الكسائي بفتح همزة (أنّك)	٦٦
سورة الذاريات	٦٨
سورة الرحمٰن	٦٨
المذاهب المروية عن الكسائي في كسر وضمّ ميم (يطمِثهنّ)	٦٨
سورة التحريم	٧٠
سورة الملك	٧١
سورة المعارج	٧٢
سورة النبأ	٧٢
سورة المطففين	٧٤
سورة الأعلى	٧٤
للعلماء في تخفيف (قَدَر) ملمحان : لفظي ومعنوي	٧٥
سورة الفجر	٧٥
سورة القدر	٧٦
العرب تضع الأسماء مواضع المصادر ، وما ورد فيه	٧٧
الرد على أبي جعفر النحاس في حكمه على قراءة الكسائي بالشذوذ في (مطلِع)	٧٨
والردّ على الأخفش في إطلاق قوله بأنّ المصدر لايُبنى إلا على (مفعَل) في هذا الموضع	٧٨

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني : الأصول الصوتية التي تميّزت بها قراءة الكسائي	٧٩-١٩١
تمهيد	٨٠
الفصل الأول : الإدغام	٨٣-١١٥
تمهيد ، تعريفه ، أسبابه ، أقسامه ، أقسام الإدغام الصغير	٨٣-٨٤
مذهب الكسائي في إدغام ذال (إذْ)	٨٧
صفتا (الجهر والهمس) و(الشدّة والرخاوة) بين القدماء والمحدَثين	٨٧
الترجيح والتضعيف في القراءات لايكون وفق أحكام العربية	٨٩
القبائل المدغمة ، والقبائل غير المدغمة	٩٠
مذهب الكسائي في إدغام دال (قَدْ)	٩٣
الرد على الكسائي في تلحينه من أظهر دال (قد) عند السين ، فيما رواه ابن خالويه عنه ، والرد على مكي بن أبي طالب في تحسين الإظهار عندها ، والإشارة إلى ركني القراءة المقبولة	٩٥
مذهب الكسائي في إدغام (تاء التأنيث) الساكنة	٩٨
مذهب الكسائي في إدغام لام (هَلْ) و (بَلْ)	١٠١
اعتراض مكي على أبي الحارث - الراوي عن الكسائي - في إدغامه اللام الساكنة سكوناً عرضيًّا ، والنظر فيه	١٠٣
أنموذج يبيّن منهجية (سيبويه) في معالجة الإدغام والكلام عليه	١٠٥
مذهب الكسائي في إدغام الحروف قريبة المخارج	١٠٨
إدغام (الفاء) في (الباء)	١٠٨
الاعتراضات ، والتعليلات التي أثيرت حول هذا النوع من الإدغام والرد على ابن خالويه ، أبي علي الفارسي ، الزمخشري ، الشاطبي ، د. إبراهيم أنيس	١٠٨-١١٠
إدغام (الباء) في (الفاء)	١١١
إدغام (الباء) في (الميم)	١١٢
إدغام (الذال) في (التاء)	١١٣
إدغام (الثاء) في (التاء)	١١٤
إدغام (الدال) في (الثاء)	١١٤
الإشارة إلى اعتراض مكي على هذا الإدغام ، والرد عليه	١١٤
إدغام (الدال) في (الذال)	١١٥

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : الإمالة	١١٧-١٧٤
تمهيد	١١٧
العلماء القدماء عرفوا ما يسمّيه المحدَثون : أصوات اللين القصيرة والطويلة	١١٨
أسماء الإمالة وأنواعها	١١٩
الرد على د. عبد الفتاح شلبي في ادّعائه عدم تفرقة العلماء بين نوعي الإمالة حتي عصر ابن الجزري !	١١٩
القبائل التي اشتهرت بالإمالة ، والقبائل المقلّة منها أو التي لم تمل	١٢١
لماذا كان الإمامان حمزة والكسائي مكثرَين من الإمالة ؟	١٢٣
الظواهر الصوتية كالإمالة والإدغام ونحوهما من الأحرف السبعة !	١٢٤
العامل النفسي والبيئي وأثره على القراء	١٢٥
علل الإمالة وكيفية حدوثها	١٢٦
مذهب الكسائي في إمالة (الألف المتطرفة) للدلالة على أصلها (اليائي) أو ما يلحق به	١٢٨
تمهيد	١٢٨
مُثُل على أنّه قد يأتي من الإمالة ما تُتَّبع فيه الرواية ، ولاتقوى فيه علّة	١٢٩
الألفات الممالة عند الكسائي على نحوما سبق	١٣٠
ما أماله الكسائي من الكلمات ذوات الأصل (الواوي) الملحقة بما أصلها (الياء)	١٤٠
الكسائي وإمالة (كلاَ) و (كلتَا)	١٤٣
الكسائي بين النحو والقراءة في إمالة (كلتا)	١٤٥
ما أماله الكسائي من الأحرف المقطّعة في فواتح السور	١٤٦
الحروف التي أمالها الكسائي لعلة (الكسرة)	١٤٨
مناقشة ابن خالويه في ردّه إمالة الكسائي لفظ(آذا نِهم) والرد عليه	١٥٢
ما أماله الكسائي لعلة (الإمالة)	١٥٥
إمالات الكسائي في فواصل آي القرآن الكريم	١٥٦
تنبيه	١٥٧
مذهب الكسائي في إمالة (هاء التأنيث) وما قبلها حال الوقف	١٥٨
تمايز الكسائي نحوياً وقارئاً في إمالة (هاء التأنيث) أيضاً !	١٥٩
مذهبا القراء في إمالة (هاء التأنيث) للكسائي	١٦٠

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
ترجيح المذهب الثاني ،ووجهه ، بالدليل والبرهان	١٦٤
تعليل إمالة (هاء التأنيث)	١٦٧
هل الممال (هاء التأنيث) وما قبلها ، أم ما قبلها فقط ؟	١٧٠
ترجيح أنّ الممال (هاء التأنيث) وما قبلها - خلافاً للجمهور - ووجه ذلك	١٧١
الرد على د. ابراهيم أنيس في إنكاره وجود (هاء التأنيث) أصلاً حال الوقف	١٧٢
تنبيه على لفظ(فِرْقَة)	١٧٤
الفصل الثالث : الإشمام	١٧٦-١٩١
حَدُّه ، وأنواعه : النوع الأول	١٧٦
جُلّ تعاريف مَنْ عرّف (الإشمام) تدور حول هذا النوع تحديداً ، والتدليل عليه	١٧٧
حكمه وكيفيته وتعليله وفائدته	١٧٧
النوع الثاني ، تعريفه وتوجيهه	١٨٠
القبائل التي ورد عنها الإشمام من هذا النوع	١٨٢
تقييد كلام سيبويه وابن جني بإشمام (الصاد الساكنة) إذا وقعت قبل (الدال) فقط ، والتدليل عليه	١٨٢
الرد علي أبي علي الفارسي في عدوله عن القراءة بإشمام الصاد صوت الزاي	١٨٤
النوع الثالث ، تعريفه ، كيفيته	١٨٦
ترجيح كلام ابن جني - رحمه الله - في كيفية هذا النوع مؤيّداً بما تلقيناه مشافهةً عن مشايخنا	١٨٨
مشابهة هذا النوع من الإشمام الحرف الممال	١٨٩
الاحتجاج للكسائي في إشمامه من هذا النوع	١٨٩
خلاصة نافعة لما سبق من النوع الثالث	١٩١
خاتمة الدراسة (نتائج وتوصيات)	١٩٣
ثبت المصادر والمراجع	١٩٧
مختصَرٌ مُلَخَّصٌ لموضوع الدراسَة باللغة الانجليزيّة	I-II

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وَمَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فهذه دراسةٌ لغويةٌ من وحي القرآن العظيم ، تبحث في بعض أهمِّ الخصائص الصوتية للغة العربية ولهجاتها ، ووجوهِ نحوها وإعرابها ، في ضوء إحدى القراءات القرآنية السبع المتواترة ، تلك هي قراءة الإمام أبي الحسن عليِّ بن حمزة الكسائيِّ الأسديِّ الكوفيِّ (ت ١٨٩هـ).

وقد حاولتُ في هذا البحث طرحَ منهجٍ يقوم على الاستقراء والسَّبْر والتّتبّع ، ثم التمحيص والتحقيق ، لألج من خلاله إلى الموازنة بين الآراء ، وترجيح الراجح منها على المرجوح ، بالدليل والبرهان ، مبتغياً من وراء ذلك أن يكون الباب مفتوحاً ، لبحث سائر قضايا علم القراءات ومعالجتِها في وحي اللغة ، وفق المنهج المذكور ، الذي دَرَجَ عليه غالب علمائنا القدماء – رحمهم الله- ، إسهاماً في إثراء المكتبة العلمية العربية الإسلامية ، في سبيل النهوض والتقدم العلمي ، الذي هو وجه مشرق من وجوه الحضارة.

وهذا يدعونا – حتماً – إلى الضرب صفحاً عن المنهج النقلي المحض ، القائم على الجمع والانتقاء ، ورصِّ النصوص وحشدها ، من دون تمحيص أو تدقيق ، بلهاً التحقيق !.. هذا الداء الذي سرى في كثير من الدراسات ، حتى باتت نُسَخًا مكرورةً تقليديةً ميتةً لا حياة فيها ، فكان مصيرها المحتوم، رفوفَ الإهمال ، وزوايا النسيان !.

أما الباعث على اختيار هذا الموضوع من خلال قراءة الإمام الكسائي ، فأمور أربعة :

الأول : أنّني امرؤ حبّب الله تعالى إليَّ علمَ القراءات وزيّنه في نفسي ، فأقمتُ في أفياء كتاب الله تعالى منذ نعومة أظفاري ، وحداثة سني ، أتلقّى أُصولَ تجويده وقراءاته ، من أفواه المشايخ المجوّدين ، الذين يحملون هذا العلم الجليل بالسند المتصل الصحيح عن الأئمة القراء المشهورين ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، حتى منحني اللهُ تعالى

الإجازةَ في رواية القراءات السبع المتواترة قراءةً وإقراءً ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وكم كنتُ أرنو إلى اليوم الذي أحقِّق فيه رغبةً في نفسي جامحة ، ووازعًا جيّاشًا، بإكمال جانب الرواية الذي وفقني الله إليه بجانب الدراية والتعليل، ليلتئم الصدع ، وينسد الثغر ، وعسى أن يكون هذا البحث خطوةً في هذا الطريق المبارك.

الثاني : تفرّد قراءة الكسائي بأصوات وقراءات امتازت بها من سائر القراءات السبع ، لا بل العشر ، حتى عُدَّت قراءته أظرفَ القراءات.

الثالث : أنّ الكسائي - رحمه الله - يمثل رأس المدرسة اللغوية النحوية الكوفية ، إضافةً إلى كونه إمامًا في القراءة.

الرابع : لفت الأنظار إلى أهمية القراءات القرآنية المتواترة في الدرس اللغوي العربي ، وأنها ينبغي أن تكون المحور الأساس ، الذي تدور في فلكه الدراسات اللغوية العربية ، ذلك أنّ القرآن الكريم هو أعلى وأرقى نصٍّ عربيٍّ في الوجود ، وصل إلينا سليمًا من التصحيف ، منزّهًا عن التحريف ، بفضل تكفّل الله تعالى بحفظه ، إذ يقول جلّ من قائل : " إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون " [الحجر ٩] ، وما هذه البحوث والدراسات الا روافد تصبُّ في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ، ابتغاءَ تَدَبّر معانيه ، وفهم مقاصده، تحقيقًا لقوله تعالى :" كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبّروا آياتهِ وليَتذكّرَ أولو الألباب " [سورة ص ٢٩] ، وصولاً إلى تجسيد آياته وتوجيهاته ، وأحكامه وتشريعاته ، واقعًا حيًّا ، يرفع عن المسلمين غبارَ الذلِّ الذي رَهِقَهُم ، وينقذهم من حملاتِ الاستغلال والانحلال التي توالت عليهم.

أما البناء العام للرسالة ، والمادة العلمية المبحوثة فيها ، فقد كانت موزعةً على بابين ، وقد جعلت لكل بابٍ فصولاً.

فالباب الأول : في الإمام الكسائي وأبرز الظواهر اللغوية في قراءته ، حيث عقدت لهذا الباب **فصلين** :

الأول : تناولتُ فيه ترجمة الكسائي ، مسلِّطًا الضوء على سيرته ومكانته العلمية والعملية ، معتمداً على ما رواه المحققون في أصول الكتب ، بعد أن مهدتُ له تمهيداً.

وأما **الفصل الثاني** : فقد سَبَرْتُ فيه ما تفرّد بقراءته الكسائي من حيثُ اللغة

والنحو، مخالفًا سائر القراء السبعة ، وتوجيهَه من لغة العرب ، مرتّباً على سُوَر القرآن الكريم، سورةً سورةً ، فعالجتُ كلَّ القضايا المشكِلَة التي أُثيرت حولَ بعض انفرادات الكسائي، ورددتُ على العلماء الذين تكلّموا على هذه الانفرادات بالدليل والبرهان . وكنت قد مهدتُ لهذا الفصل بتمهيدٍ بيّنتُ فيه منهجي في معالجة قضاياه ومسائلِه ، معتمداً على ما صَحَّ من الكتب وأَصُل.

ثم جاء **الباب الثاني** : حاملاً بين حناياه الأُصولَ الصوتيةَ التي تميّزت بها قراءةُ الكسائي ، والتي شكّلَتِ الملامحَ البارزةَ لها ، وقد اقتضى ذلك مني تفصيلَ هذا الباب إلى **ثلاثة فصول:**

فدرستُ في **الفصل الأول** : الإدغامَ ، حيث تكلمت فيه على مذهب الكسائي في إدغام ذال (إذْ) ، ودال (قَدْ) ، و (تاء التأنيث) الساكنة ، ولام (هَلْ) و (بَلْ) ، إلى الحديث عن مذهبه في إدغام الحروف قريبةِ المخارج.

ثم عرّجتُ بعد ذلك إلى الحديث عن مذهب الكسائي في (الإمالة) - وهو من المكثرين منها - ، فكانَ **الفصلَ الثاني** ، وبعد التمهيد للفصل ، تناولتُ بالبحث والدرس عللَ الإمالة ، وكيفيةَ حدوثها في جهاز النطق الإنساني ، ثم شرعتُ في بيان مذهب الكسائي في إمالة (الألف المتطرفة) للدلالة على أصلها (اليائي) ، أو ما يتعلق به ، فلزمني تمهيدٌ يسيرٌ قبل عرض الألفات التي أمالها الكسائي على نحو ما سبق ، في ضوء اللغة ، ثم تكلمتُ على ما أماله من الكلمات ذوات الأصل (الواوي) الملحقة بما أصلها (الياء) ، فالحديث عن الكسائي وإمالة (كِلا) و (كِلْتَا) ، وتمايزه في ذلك نحويًا وقارئًا ، إلى الكلام على ما أماله الكسائي من الأحرف المقطّعة في فواتح السور ، والحروفِ التي أمالها لعلة (الكسرة)، وما أماله لعلة (الإمالة) ، مروراً بإمالاته في فواصل آي القرآن الكريم ، إلى أن انتهيتُ إلى الحديث عن مذهب الكسائي في إمالة (هاء التأنيث) وما قبلها ، حال الوقف عليها ، حيث يُعَدُّ الإمامُ الكسائي - رحمه الله - إمامَ هذا الضَّرب من ضروب الإمالة وعُمدتَه ، حتى صار يُعرف به عند الإطلاق ، وأزعمُ أني قد درستُ مذهبَ الكسائي هذا دراسةً وافيةً أدّت بي إلى نتائجَ مَرْضِيّةٍ - إن شاء الله-.

ثم كان **الفصلُ الثالثُ** الأخير من فصول هذا البحث ، عرضتُ فيه موضوع (الإشمام) عرضًا أراه وفى بالمقصود ، فتناولتُ فيه أنواعَ الإشمام ، وبيّنت الخطأ الذي وقع فيه كثيرٌ من الباحثين في إطلاقهم تعريفًا واحداً على الإشمام ، بينما لا يقع هذا التعريف إلا على نوع واحد من أنواعه ، الأمر الذي حدا بي إلى عرض سائر أنواع الإشمام ، والتصدّي لها بحثًا ودرسًا ، كل ذلك بهديٍ من وحي لغتنا العربية الماجدة.

وختمت هذا البحث ، وأسدلتُ على فصوله ستائرَ الحياء ، بخاتمةٍ أجملتُ فيها بعضَ النتائج التي أدّى إليها البحث والتمحيص ، وأوصيتُ توصياتٍ ليس عنها محيص ، ثم ذيّلتُ ذلك كلَّه بثَبَتٍ ذكرتُ فيه مصادرَ الدراسة ومراجعَها ، فمختصر ملخّص لموضوع البحث باللغة الانجليزية.

وكان لا بدّ لي وأنا أتحدث عن هذه الخصائص اللغوية والصوتية ، التي امتازت بها قراءةُ الكسائي ، أن أُنوّه إلى أمرٍ جوهريٍّ مركزيٍّ في مثل هذه القضايا ، قبل الشروع في بحثها ، وهو أنّ علمَ القراءات ومسائلَه - على وجه الخصوص - ، مدارها على الرواية والإسناد ، لا على الدراية والاجتهاد ، ثم إن كان هناك من تعليلٍ واجتهادٍ ، أو احتجاج للقراءات من بحر اللغة ، فهو تابعٌ لها ، وليس العكس - كما قد يتوهم متوهِّم -، فمتى تواترت القراءةُ روايةً ، كانت حجةً على العربية ، وليست العربية بحجةٍ عليها ، بل نحتج للقراءات بالعربية لإثبات قواعدها ، وتصحيح شواهدها ، ومعرفة لهجاتها ، وسنن أدائها ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ؟ والقرآن كلام الله المعجزِ الخالد ، الذي " لَئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتون بمثلِه ولو كانَ بعضُهُم لبعضٍ ظهيراً " [الإسراء ٨٨] . هذا القرآن العظيم الذي حفظَ لغةَ أمةِ الإسلام من الضياع والتحريف والاندثار ، فكان لا بد من تصحيح كلام البشر على كلام رب البشر ، فكيف يكون عليه الحال إذا علمنا أنّ ناقلَ هذا القرآن الكريم إلينا ، هو الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ، أفصحُ الناس لسانًا ، وأبلغُهم بيانًا ، تُرى كيف سيكون موقفُنا بعد ذلك إذا تجرّأ متجرىءٌ من الناس على قراءةٍ متواترةٍ ، محتجًا بأنها جاءت على خلاف القواعد المقعَّدة ؟ ، ثم لا يكتفي بعضهم عند هذا الحد ، بل يأتي بشاهدٍ شعريٍّ - وغالبًا ما يكون لشاعرٍ مجهولٍ - ليعلّلَ رفضَه القراءةَ

القرآنية المتواترة زَعَم !، ألا لا يَعْجَبَنِ القارىءُ الكريمُ من هذا الذي أقول ، بل حسبه أن يُقلِّبَ الصفحاتِ القادمات ، ليرى بعضًا مما ذكرتُ ، فإذا لم تُبْنَ اللغةُ على القراءة القرآنية المتواترة بنقل الثقات ، الحفاظ الأثبات ، المشهودِ لهم بالفصاحة والنجابة ، المعروفين كالشمس ! ، فَعَلامَ تُبنى إذنْ ؟!.

ومما لا يسعني إلا ذكرُه في هذا المقام ، هو أنني كنت قد عقدتُ العزم على إنشاء فصول مفردةٍ ، أتكلم فيها على بعض المباحث التي قد تُطرح في مثل هذه المناسبات ، نحو : الكسائي بين النحو والقراءة ، والقيمة اللغوية لقراءة الكسائي ، والمقارنة بين قراءة الكوفيين وأهل الحجاز ، وأركان القراءة المقبولة ، ومباحثَ أخر شتى ، فوجدتُني أتناول هذه المباحث بالتعليق ، كلما عنّت لي فرصةٌ مناسبة للمقام الذي أكون بصدد بحثه ودراسته ، فتكون كالمثال والدليل على ما أذكر ، فأعرضتُ عن إتخام الرسالة بتلك الفصول ، تجنباً للفضول ، فما على المطالِع إلا أن ينظر في فهرس مواضيع هذا البحث ليرى صدق دَعْواي ، وبالله توفيقي وهُداي.

ثم إن كان هناك من شُكرٍ للنّاس وَجَبَ ، فالشكر كلُّه إلى أستاذي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحسين محمد جاسم الفتلي ، رئيس قسم اللغة العربية وعلوم القرآن ، الذي أحاطني بفضله ، وغمرني بلطفه ، إذ أشرف على هذا البحث ، فأتحفني بسديد آرائه ، وحسن توجيهاته ، فكان أباً حانياً قبل أن يكون مشرفاً راعياً.

وكذلك أَخَوَيَّ وقُرّةَ عينيَّ سعيد هاشم وسعد محيي الدين، اللّذين لم يدّخرا جهداً في توفير لوازم البحث وأدواته ، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وهذا شكر من سويداء القلب أقدمه الى الأستاذ منذر عبد الرزاق العبوسي لتفضله بترجمة ملخص هذه الدراسة إلى الانجليزية .

وبعد ....

فإني أرجو من الله العلي العظيم أن أكون قد وُفّقتُ فيما أردتُ جلاءَه وتبيانه ، آملاً من الباري جلّ وعلا أن يتقبله بقَبولٍ حسنٍ ، وأن يجعله في ميزان حسناتي " يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون * إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ" [سورة الشعراء ٨٨-٨٩] ، وأن ينفع به المسلمين ، فإن كان كذلك فـ " ما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب " [هود ٨٨] ، وإن كانت الأخرى فـ " ما أُبَرِّئُ نفسي إنّ النفسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ إلا ما رَحِمَ ربّي إنّ ربي غفورٌ رحيمٌ " [يوسف ٥٣].

وإني سائلٌ أخاً نظر في هذه الورقات فانتفع بها ، دعوةً صالحةً بظهر الغيب ، وإن وَجَدَ عيباً أصلحه وستره ، وأجره على الله.

وأستغفر الله تعالى من كل ما شذَّ به القلم ، أو نَدَّ به الفكر ، وشطح به الخاطر ، أو قَصَّر عنه الفهم ، فالكمال لله وحده - جلّ جلاله -.

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك ، وأتوبُ إليك .

وكتب

محسن هاشم عبد الجواد درويش

بغداد في ١/ محرم الحرام /١٤١٦ هـ

الموافق ١٩٩٥/٥/٣٠ م.

الباب الاول
الامام الكسائي ، وأبرز الظواهر اللغوية في قراءته

وفيه فصلان : ممهد لهما بتمهيدين:

الفصل الأول : الإمام الكسائي ، علم وعمل.

الفصل الثاني : انفرادات الكسائي

الفصل الاول
الامام الكسائي
علم وعمل

الفصل الاول
الإمام الكسائي
علمٌ وعملٌ

تمهيد:

الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي - رحمه الله تعالى - واحة من واحات العلم ، لورحنا نتفيأ في فيوئها لطال بنا المقام ..وأي مقام !الكنّ غاية ماكنت أرومه من هذه الشذرات، أن أسلط الضوء على الناحية العلمية والعملية لهذا الإمام الهُمام ، ولاسيما ما يتصل منها بموضوع هذا البحث ، إذ أنّ حياة الكسائي - رحمه الله - قد أُشبعت درساً (*) ، فلم أشأ أن أكرر ما كفانيه غيري ، فكثير من البحوث مجّها التكرار والاجترار !.

لذلك سأتناول في هذه الترجمة اليسيرة ، الجانبَ الذي ذكرت ، معتمداً فيما أورده على الكتب الأصيلة التي ترجمت للكسائي ، وكان أصحابها غايةً في الدقة والضبط ، وإتقان الرواية ، حتى كانت عمدة كلِّ مَنْ ترجم للكسائي بعد ذلك ، نحو ما سطّره أبو إسحاق الزّجّاجي (ت٣٤٠ هـ) في (مجالس العلماء) ، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في (تاريخ بغداد) ، وغيرها من المصنفات التي التزم أصحابُها الرواية المسنَدة إليهم عن مُترجَميهم ، فهذه الكتب - لاريب- أُصولٌ نَهَلَ منها جُلُّ مَنْ جاء بعد أصحابها .

على أني قد قمت بفحص ومراجعة زُهاء أربعين مصدراً ومرجعاً ، تناولتِ الحديث عن الإمام الكسائي ، فلم أرها إلا تكرّر ما روتْه هاتيك الأصول ، مبتورة الأسانيد ، وربما تزيد - أحياناً - أشياءَ، لكنها غالباً ماتكون غير ذات قيمة ، ومع ذلك فقد ضممتُ تلك المصادر

(*) انظر - على سبيل الأطاريح الجامعية - مثلاً : مذهب الكسائي في النحو ، لجعفر هادي الكريم ، وهي أُطروحة (ماجستير) ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، مقدَّمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ، سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م، تكلم فيها الباحث على حياة الكسائي من ص ١ - ١٠٣.

والمراجع الى الأُصول التي أشرت إليها ، ظنّاً بأنّ بعضها لايعدم فائدة .

جدير بالذكر والتنبيه - هنا - أنّ بعضاً من كتب التراجم ، قد انحدرت في ترجمة هذا الإمام الشامخ ، والطَّوْد الراسخ ، فألزقت به غَثًّا من روايات ، ودَرَنًا من حكايات ، لاتضر ولاتقدح في مثل الإمام الكسائي وهو من هو ! ، ذلك أنها روايات موضوعةٌ سامجة ، وحكايات كا ذبة خاطئة ، وإنما تقدح هذه التُّرّهات فيمن رواها ووَصَمَ بها كتابَه ، وعطّل عنها لُبابَه [١]، لأنّ إماماً مشهوداً له بالعلم والقرآن ، مشاراً إليه بالبَنان ، لايعدم أن يكون من الناس بين حامدٍ مُطْرٍ ، وحاسدٍ مُفْتَرٍ ، ولله درّ من قال :

وَمَنْ ذا الذي ينجو مِنَ النّاس سالماً ... وللنّاس قيل بالظّنون وقالُـــــــوا

وكان ينبغي على مَنْ خاض في مثل هذه الأباطيل ، أن يَبْرَأَ إلى الله منها ، وأن يُطهّر منها القلم والجَنان واللّسان ، ولاسيّما أنّ الأمر متعلق بأحد أئمة العلم والقرآن ، الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنهم خير الأمة ، وأنهم مع السَّفَرةِ الكرام البَرَرة ، بل صَحّ الحديث بأنهم أهل الله وخاصّتُه !.

يقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم : " خيركم مَنْ تَعَلَّمَ القرآ نَ وعَلَّمه" [٢] .

ويقول عليه السلام :" الماهر بالقرآن مع السَّفَرةِ الكرام البَرَرة" [٣] .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - :" إنّ للّه أهلين من النّاس ، أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّتُه "[٤].

فأعظم بهم أهلاً ، وأكرم بهم نُزُلاً.

رحم الله الإمامَ الكسائيَّ ، وجزاه عن القرآن وأهله خير الجزاء .

---

(١) انظر - مثلاً - ما ذكره ياقوت الحموي ! في معجم الأدباء ! ١٧٩/١٣ ، ١٨١، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٨.

(٢) رواه البخاري وغيره ، انظر : فتح الباري ٧٤/٩.

(٣) متفق عليه ، انظر : فتح الباري ٦٩١/٨ ، ٦٩٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٨٤/٦ ، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١ / ١٥٤ ، وجامع الأُصول ٥٠٣/٨ .

(٤) حديث صحيح ، رواه ابن ماجه ٧٨/١ ، والآجُرّي في أخلاق حملة القرآن ص ٤٢ ، والحاكم في المستدرك ٥٥٦/١ ، وغيرهم .

الإمام الكسائي
علمٌ وعَملٌ

اسمُه وكنيتُه ونَسبُه :

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان - وقيل : بَهْمَن - بن فيروز ، الأسَديّ مولاهم ، الكسائيّ ، الكوفيّ .

لم تُشر المصادر التي وقفتُ عليها إلى عام ولادته ، لكنّه نشأ في الكوفة ، وترعرع فيها[١] .

سببُ تلقيبه بـــ (الكسائيّ) :

في ذلك أقوال ، أصحُّها : ما رواه الخطيب البغدادي عن عبد الرحيم بن موسى أنه قال:قلت للكسائي : لِمَ سُمّيت (الكسائي) ؟ ، قال : لأني أحرمت في كساء[٢] !.

وقيل : سُمّي كذلك ، لأنّه كان يحضرُ مجلس معاذ الهرّاء ، والناس عليهم الحلل، وعليه كساء روذ باري .

وقيل : بل كان يتشح بكساء في حلقة شيخه حمزة الزيات [٣] ، والله أعلم .

شيوخُه:

يُعدُّ الإمام حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت ١٥٦هـ) [٤] ، من أجَلِّ الشيوخ الذين اعتمد عليهم الكسائي في مادّته الإقرائية ، بل إنّ قراءة الكسائي لاتكاد تختلف عن قراءة حمزة في أصول صوتية ظاهرة نحو : الإدغام ، والإمالة ، وتحقيق الهمز ، إضافةً إلى حروف

(١) انظر : الفهرست لابن النديم ص٩٧ ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ ، معرفة القراء الكبار للذهبي ص ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ١٣١/٩ ، غاية النهاية لابن الجزري ٥٣٥/١.

(٢) تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ ، وانظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص ٥٩-٦٠ .

(٣) انظر : الفهرست ص ٩٧ ، تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ - ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ٢٩٦/٣ - ٢٩٧ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢٧٠/٢.

(٤) انظر ترجمته في : غاية النهاية ١ /٢٦٢.

القراءة ، لذلك نرى كثيراً من كتب القراءات ترمز لهما بـ (الأخوين) - اختصاراً -[١] ، لكثرة اتفاقهما في القراءة ، وسيمر معنا - إن شاء الله تعالى - في ثنيات هذا البحث ما يؤيد ذلك .

ولاعجب في أن نرى وضوح الأثر الذي تركه الإمام حمزة الزيات في قراءة الإمام الكسائي ، إذا علمنا ما ترويه جلّ كتب التراجم ، أنّ الكسائيَّ قد عَرَضَ القرآن على حمزة أربع مرات ! ، على أنّ هناك شيوخاً آخرين تلقّى عنهم الكسائيُّ القراءةَ سوى شيخه وعمدته حمزة الزيات ، أشهرهم :

١- محمد بن أبي ليلى .

٢- عيسى بن عمر الهمداني .

وروى الكسائيُّ الحروفَ عن :

١- أبي بكر بن عيّاش .

٢-إسماعيل بن جعفر عن نافع المدني .

٣- يعقوب بن جعفر عن نافع .

٤- عبد الرحمن بن أبي حمّاد .

٥- المفضَّل بن محمد الضَّبّي .

٦- زائدة بن قدامة عن الأعمش .

٧- محمد بن الحسن بن أبي سارة .

٨- قتيبة بن مهران .

أما اللغة والنحو فقد تلقاهما الكسائيُّ عن :

١- معاذ الهرّاء .

٢- الخليل بن أحمد الفراهيدي .

٣- أبي جعفر الرؤاسي.

---

(١) انظر مثلاً : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، لعبد الفتاح القاضي ، ط١ ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ص ٩.

تلاميذه والراوون عنه :

هذا ، وقد أخذ عن الكسائي ، وتلقّى عنه القراءة ، عرضاً وسماعاً ، خَلْقٌ كَثْر ، منهم أئمة وقدوة[١] ، أهمهم :

١- أبو الحارث الليث بن خالد ، البغدادي ، المقرىء، صاحب الكسائي ، والمقدَّم بين أصحابه ، وهو أكثر الرواة تعويلاً عليه - مع أبي عمر الدوري - في رواية قراءة الكسائي ، لذلك اعتمده جُلُّ مَن صنّف في القراءات ، لضبطه قراءة الكسائي ، وكثرة مصاحبته له . توفي - رحمه الله تعالى - سنة ٢٤٠ هـ [٢] .

٢- أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز ، الدُّوري ، المقرىء ، النحوي ، البغدادي ، الضرير ، نزيل سامراء ، مقرىء الإسلام ، شيخ العراق في وقته ، يُقال : إنه أول من جمع القراءات وألّفها ، وهو الراوي الثاني المعوَّل عليه والمعتمد في رواية قراءة الكسائي عند غالب القراء ، توفي - رحمه الله تعالى - سنة ٢٤٦ هـ [٣] .

٣- إبراهيم بن زاذان .

٤- أحمد بن جبير .

٥- قتيبة بن مهران .

٦- نُصير بن يوسف .

٧- أحمد بن منصور البغدادي .

٨- سورة بن المبارك .

٩- أبو عبيد القاسم بن سلاّم .

١٠- أبو حمدون الطيب بن إسماعيل .

١١- الفضل بن إبراهيم .

١٢-عمر بن حفص المسجدي .

١٣- عبد الرحمن بن واقد .

---

(١) ينظر : جمال القراء و كمال الإقراء ، للسخاوي ٤٧٨/٢ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ١٦/١٣ ، معرفة القراء الكبار ٢١١/١ ، غاية النهاية ٣٤/٢.

(٣) انظر : الجرح والتعديل ١٨٣/٣ - ١٨٤ ، تاريخ بغداد ٢٠٣/٨ - ٢٠٤ ، معرفة القراء الكبار ١٩١/١ ، غاية النهاية ٢٥٥/١ -٢٥٧ .

وغير هؤلاء الأئمة كثير .

وروى عن الكسائي حروفَ القراءة ، الأئمةُ :

١- أحمد بن حنبل.

٢- يحيى بن معين .

٣- يعقوب بن إسحاق الحضرمي - أحد القراء العشرة - .

وأخذ عنه النحو واللغة :

١- يحيى بن زياد الفرّاء .

٢- علي بن المبارك الأحمر[١] .

علمُه و منزلتُه :

من نافلة القول ، أن أذكُر أنَّ الكسائي - رحمه الله - هو سابع الأئمة القراء السبعة المشهورين ، الذين انعقد على فضلهم وإمامتهم إجماع الجمهور من المسلمين ، وهو معلّم الخليفة هارون الرشيد ، ومؤدّب ولديه : الأمين والمأمون ، انتهت إليه رياسة الإقراء في الكوفة بعد شيخه حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) .

وهذه نُتَف مقتضبة أسوقها ، لتكون شاهدةً على علم الإمام الكسائي ، وعُلُوّ كعبه ، وسعة باعه ، وإنما هي زهرةٌ من روض ، وقطرةٌ من حوض .

روى أبو إسحاق الزجّاجي (ت ٣٤٠هـ) بإسناده عن أبي جعفر أحمد بن جُبير صاحب الكسائي قال :

" انحدر الكسائي البصرة ، فسأل عن عيسى بن عمر الثقفي ، فقيل : هو عليل . فاستأذن فدخل ، فألقى تحته وسادةً وقال : أنت الكسائي ؟ فقال له : نعم . فقال له : كيف

---

(١) يُنظر في شيوخ الكسائي وتلاميذه : جمال القراء وكمال الإقراء ٤٧٨/٢ ، معرفة القراء الكبار ص ١٢٠ وما بعدها ، غاية النهاية ٥٣٦/١ وما بعدها ، تهذيب التهذيب ٢٧٥/٧ وما بعدها .

تقرأ هذا الحرف :" أرسلْه مَعَنا غَداً" [١] ماذا ؟ قال : " يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ "، فقال له عيسى بن عمر :لِمَ لمْ تقرأها : يرتعي ويلعب ، فتثبت الياء أو تشير إليها ؟ فقال له الكسائي : إنما هي من رَتَعْتُ لامن رَعَيْتُ ، فقال له عيسى بن عمر : صدقت ياأبا الحسن " [٢].

وتروي الكتب التي ترجمت للكسائي عن يحيى بن زياد الفراء قوله :

" إنما تعلّم الكسائي النحو على كبر ، وكان سبب تعلّمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيي ، فجلس إلى قوم فيهم فضل ، وكان يجالسهم كثيراً ، فقال : قد عَييت ، فقالوا له : تجالسنا وأنت تلحن ؟! ، فقال : كيف لحنت ؟ ، فقالوا له : إن كنتَ أردتَ من التعب فقل : أعييتُ ، وإن كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة والتحيّر في الأمر فقل : عَيِيتُ - مخففة -، فأنِفَ من هذه الكلمة ، وقام من فوره ، فسأل عمّن يعلّم النحو ، فأرشدوه إلى معاذ الهرّاء ، فلزمه حتى أنفد ما عنده ، ثم خرجَ إلى البصرة ، ولقي الخليل بن أحمد ، وجلس في حلقته ، فقال رجل من الأعراب: تركتَ أسداً وتميماً - وعندهما الفصاحة - وجئتَ إلى البصرة ؟ ، وقال للخليل بن أحمد : مِنْ أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فخرج الكسائي وأنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظه ، ولم يكن له همّ غير البصرة والخليل ، فوجد الخليل قد مات ، وجلس في موضعه يونس بن حبيب البصري النحوي ، فجرت بينهما مسائل ، أقرَّ له يونسُ فيها ، وصَدَّره في موضعه " [٣].

وقال أبو عمر الدوري (الراوي عن الكسائي) :" قرأتُ هذا الكتاب (معاني الكسائي) في مسجد السوّاقين ببغداد ، على أبي مِسْحَل ، وعلى الطوّال ، وعلى سلمة ، وجماعة ، فقال أبو مسحل : لو قُرِىء هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج مَنْ يقرؤه أن يقرأه"[٤].

وقال القعقاع المقرىء :" كنت عند الكسائي ، فأتاه أعرابي فقال : أنت الكسائي ؟

---

(١) سورة يوسف (١٢).

(٢) مجالس العلماء ص ٢٠١.

(٣) تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ ، نزهة الألباء ص ٥٩.

(٤) تاريخ بغداد ٤١١/١١ ، إنباه الرواة ٢٦٥/٢.

قال: نَعِمْ ، قال :" كَوكَبٌ "[١] ماذا ؟ ، قال :" دُرِّيٌ" و "دَرِّيٌ" و"درِّيٌ" . فالدُّري : يُشَبَّه بالدُّر ، والدِّري جارٍ ، والدِّري يلمع ، قال : ما في العرب أعلم منك" [٢].

وَرَعُ الكسائي وثَبَاتُه :

روى بعضُ مَنْ ترجم للكسائي ، رواياتٍ تنطق بصدقِ هذا الإمام وورعِهِ ، وثباتهِ على ما ينبغي أن يكون عليه حال العالم العامل ، الذي لاتغيِّره المناصبُ ولا الرّتب ، ولايَثنيه عن قول الحق الهوى أو الشهرة.

فهاهو ذا أنجب تلاميذه وأشدّهم تأثراً وتعلُّقاً به ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاءُ يحدِّث عنه فيقول :

" لقيتُ الكسائي يوماً فرأيته كالباكي ، فقلت له : ما يُبكيك ؟ فقال : هذا الملك يحيى ابن خالد يوجّه إليَّ فيُحضرني ، فيسألني عن الشيء ، فإن أبطأتُ في الجواب ، لحقني منه عيبٌ ، وإن بادرتُ لم آمن الزّلل . فقلت له – ممتحناً–: يا أبا الحسن مَنْ يعترض عليك ؟ قل ما شئتَ فأنت الكسائي !، فأخذ لسانه بيده فقال : قطعه الله إذن إن قلتُ ما لا أعلم " [٣]

وقال أبو عمر الدوري (الراوي عن الكسائي) :" لم يُغيّر الكسائي شيئاً من حاله مع السلطان إلا لباسه ، قال : فرآه بعض علماء الكوفيين وعليه جُرُبَّاناتٌ [٤] عظام ، فقال له : يا أبا الحسن ماهذا الزي ؟! قال : أدَبُ مَنْ أدَّبَ السلطان ، لايَثْلِم ديناً ، ولايُدخل في بدعة ، ولا يُخرج عن سنة " [٥] .

---

(١) سورة النور (٣٥).

(٢) إنباه الرواة ٢/ ٢٦٥.

(٣) تاريخ بغداد ٤١١/١١.

(٤) جُرُبَّانُ الدرع والقميص : جيبهُ ، وهو بكسر الجيم والراء ، وقد يُضمَّان، والباء فيه مفتوحة مشدّدة . انظر : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لابن سيدة ، تحقيق محمد علي النجار ، ط١ ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م ،، مصر ، ٢٨٠/٧.

(٥) تاريخ بغداد ٤١١/١١ .

وروى سلمة بن عاصم عن الفراء قال " : سمعت عن الكسائي يقول : ربما سبقني لساني باللَّحْن ، فلا يمكنني أن أردّه ، أو كلاماً نحو هذا " [١] .

وقال سَلَمة بن عاصم :" قال الكسائي : صليت بهارون الرشيد فأعجبتْني قراءتي ، فغلطتُ في آيةٍ ما أخطأ فيها صبيٌّ قطّ! أردتُّ أن أقول :(لعلهم يرجعون) [٢] فقلت : لعلهم يرجعين ! ، قال : فو الله ما اجترأ هارون أن يقول لي أخطأت ، ولكنه لمّا سلّمت قال لي : يا كسائي أيّ لغةٍ هذه ؟!قلت :يا أمير المؤمنين ، قد يعثر الجواد ، فقال : أمّا هذه فنعم" [٣] .

قلتُ: وفي النفس شيء من هذه الرواية التي رواها سلمة بن عاصم [٤] عن الكسائي ، فسَلَمة لم يروِ عن الكسائي ، ولم يصحَّ له سماعٌ منه ، بل جُلُّ ما رواه عن الكسائي فإنما هو عن الفراء عن الكسائي ، وعلى هذا فإسناد هذه الرواية منقطع لا يُعتدُّ به ، والله أعلم .

وقال خلف البزّار – أحد القراء العشرة –:" كان الكسائي إذا كان شعبان وُضِعَ له منبر ، فقرأ هو على الناس في كل يوم نصف سُبع ، يختم ختمتين في شعبان ، وكنت أجلس أسفل المنبر ، فقرأ يوماً في سورة الكهف (أنا أكثرُ منك) [٥] ، فنصَبَ (أكثر) ، فعلمتُ أنّه قد وقع فيه ، فلما فرغ أقبل الناس يسألون عن العلة في (أكثر) لِمَ نَصَبَه ؟!، فَثُرتُ في وجوههم أنه أراد فتحةَ (أقلّ) – إنْ ترنِ أنا أقلَّ منك مالاً [٦]– ، فقال الكسائي : (أكثرُ) فمحوْه من كتبهم ، ثم قال لي : يا خلف ، يكون أحدٌ من بعدي يسْلَمُ من اللحن ؟ قال : قلت: لا ، أمَا إذا لم تسلم أنت فليس يسلمُ أحدٌ بعدك ، قرأتَ القرآنَ صغيراً ، وأقرأتَ الناسَ

---

(١)تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٨.

(٢) أول مواضعه في سورة آل عمران (٧٢).

(٣) تاريخ بغداد ٤٠٨/١١.

(٤) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٣٤/٩ ، نزهة الألباء ص ١١٧ ، معجم الأدباء ٢٤٢/١١ -٢٤٣ ، إنباه الرواة ٥٦/٢ ، غاية النهاية ٣١١/١.

(٥) الآية (٣٤).

(٦) الآية (٣٩) من السورة نفسها.

كبيراً ، وطلبتَ الآثار فيه والنحو" [١] .

هل للكسائي شعر ؟:

يظهر أنّ بضاعة الكسائي من الشعر قليلةٌ جداً ، فلم يصحَّ عنه - فيما أعلم - إلا أبياتٌ أنشدها له عنبسةُ بن النّضْرِ ، وهي - لَعَمْرُ الحق - أبيات جياد ، قال :

" إنما النحوقياسٌ يُتّبَـــعْ ... وبه في كل أمر يُنتفـــــعْ
فإذا ماأبصر النحوَ الفتـــى ... مَرَّ في المنطق مَرّاً فاتَّســـعْ
فاتقاه كلُّ مَنْ جالســـه ... من جليسٍ ناطقٍ أو مستمِـــعْ
وإذا لم يُبصرِ النحوَ الفتـــى ... هابَ أن ينطق جُبناً فانقطـــعْ
فتراه ينصب الرفع ومـــا ... كان من خفضٍ ومن نصبٍ رَفَعْ
يقرأ القرآن لايعرفُ مـــا ... حَرَّف الأعرابُ فيه وصَنَـــعْ
والذي يعرفه يقـــرؤه ... فإذا ما شَكَّ في حرفٍ رَجَـــعْ
ناظراً فيه وفي إعرابـــه ... فإذا ما عَرَفَ اللّحْنَ صَـــدَعْ
فهما فيه سواء عندكـــم ... ليستِ السنّةُ فينا كالبِـــدَعْ
كم وضيعٍ رَفَعَ النحوُ ، وكم ... من شريفٍ قد رأيناه وضـــعْ" [٢]

ثناء العلماء عليه :

شهد للكسائي وأثنى عليه أئمةٌ مُصَدَّرُون ، حفظ الله بهم الدين ، وذَبَّ عن سنة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - ، وهم أرقى من أن يُعَرَّفوا ، أو يُقدَّم لهم ويُوصفُوا ، ففضلهم على الأنام معلوم ، وعلمهم بين الورى مبثوث ، فَمِنْ هؤلاء الأئمة :

---

(١) تاريخ بغداد ٤٠٨/١١.

(٢) المصدر نفسه ٤١٢/١١.

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه - يقول : " مَنْ أراد أن يتبحر في النحو ، فهو عيال على الكسائي " [١] .

وقال يحيى بن مَعِين :" ما رأيت بعينيَّ هاتين أصدقَ لهجةً من الكسائي "[٢].

وأما أبو بكر بن الأ نباري فيقول : " اجتمعت للكسائي أمورٌ لم تجتمع لغيره ، فكان واحد الناس في القرآن ، يَكثُرون عليه حتى لايضبطَ الأخذَ عليهم ، فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، وهم يستمعون ، حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته ، وآخرون يتبعون مقاطعه ومباديه ، فيرسمونها في ألواحهم وكتبهم . وكان أعلم الناس بالنحو ، وواحدَهم في الغريب " [٣] .

ونقل العلاّمة المحقق ابن الجزري عن أبي عُبيد القاسم بن سلاّم في كتاب (القراءات)[٤] قوله :" كان الكسائي يتخيّر القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض، وترك بعضاً ، وكان من أهل القراءة ، وهي كانت علمه وصناعته ، ولم يجالس أحداً كان أضبطَ ولاأقومَ بها منه"[٥].

أثر الكسائي في الفرّاء :

يبدو أنّ أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) كان أكثرَ تأثّراً من غيره بأستاذه الكسائي ، ولعلّ ذلك يعود إلى كثرة ملازمته له ، واختلافه إليه .

وهذه زُبَدٌ تعكس لنا طبيعة هذا التأثر ومداه ومُجراه .

فقد روى أبو إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) عن سلمة بن عاصم عن الفراء أنه قال :

" كان للكوفيين كتاب يُقال له (الفيصل) بمنزلة مختصر الكسائي ، وكنتُ أحفظَ له

---

(١) تاريخ بغداد ٤٠٦/١١ -٤٠٧.

(٢) جمال القراء ٤٤١/٢ ، غاية النهاية ٥٣٨/١.

(٣) تاريخ بغداد ٤٠٩/١١.

(٤) هذا الكتاب لم يصل إلينا - مع الأسف - ، ويُعد أولَ كتاب جمع القراءات ، جعل فيه أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) القراء خمسةً وعشرين قارئاً مع السبعة المشهورين ، انظر : النشر في القراءات العشر ٣٣/١-٣٤.

(٥) غاية النهاية ٥٣٨/١ .

من الكسائي ، فدخلتُ إلى مدينة السلام ، فسألت عنه ، وذلك في خلافة المهديّ ، وكان الكسائي معه في حالٍ رفيعةٍ ، فقيل لي : إنّه يقعد في كل ثلاثاء ، فأتيتهُ في مسجده الذي يقعد فيه للناس ، فرأيتُ عنده غلاماً أشقر أوّل ما بَقَلَ وجهُه ، يسأله ويكتب ما يُملُّه عليه في ألواحٍ معه ، وجئت معي بشاهدين يشهدان على خِطائه ، فسألتُه عن مسألةٍ فأجابني بخلاف ما معي ، فأوميتُ إلى اللّذين معي : أن اشهَدَا . ثم سألتُه عن أخرى ، فأجابني بخلاف ما معي ، ففطن فقال لي : سألتني عن كَيْتَ وكيتَ ، والجواب فيه ما أخبرتُك به ، أفَتُريدُ أن أُجيبَك بما يقول أهلُ الكوفة فيه وهو خطأ ؟ فقلتُ له : من أينَ قلتَ إنه خطأ ؟ قال: لأنّ الله جلّ وعزّ قال كذا وكذا في كتابه ، وهو خلافه ، وقال كذا وكذا .

قال الفراء : فرميتُ بما كان معي واستأنفتُ عنه التعليمَ . فهو أنْبَتَ على رؤوسنا الشَّعْر "[1] .

وروى الزجّاجي عن محمد بن عبد الله بن طهمان قال : سمعتُ – واللهِ – الفراء يحيى يقول : مَدحَني رجلٌ من النحويين ، فقال لي : ما اختلافُك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم . قال : فأ عجبتْني نفسي.قال : فناظرتُه وساءلتُه ، فكأني كنتُ طائراً يغرف من بحر!" [2].

وقال الزّجاجي : حدّث أبو توبة بن درّاج قال : سمعت الفراء يقول :

" كنّا بالرَّقّة ، وكان الناسُ قد كَثُرُوا على الكسائي ، فشغلوه عنّا ، فَعَمِلْتُ له مسائلَ فيها مُحالٌ ، وفيها صوابٌ ، فأقبل يقول فيُصيب ويغلَط ، لما شَغَلَه من الناس ، فلما صار إلى منزله كتب إليَّ رقعةً فأعاد إليَّ فيها ما سألته عنه ، فقال فيها بالصواب كلّها . وقال : كنتُ مشغولاً بِمَنْ كان عندي ، وقد ظننتُ أنكَ أردتَ ببعضِ مسائلك أنْ تتَغَفَّلني ، وقد قيل:

ولاتَبْغِ التَّغَفُّلَ إنّ فيـــــــــه تفرُّقَ ذاتِ بينِ الأصفيـــــــــاءِ

ولاينبغي لمثلك أن يفعل معي ذلك . وفي الكتاب :

وسوفَ تلومُ نفسَك إن بَقينـــا وتبْلو الناسَ والإخوانَ بعـــــدي

---

(١) مجالس العلماء ص ٢٠٥ ، وانظر : إنباه الرواة ٢٦٤/٢ ، ٢٧٢ ، معجم الأدباء ١٩٢/١٣.

(٢) مجالس العلماء ص ٢٠٦ . وانظر: تاريخ بغداد ٤٠٩/١١.

قال الفراء : فَبَلَغَ مني هذا القولُ كلَّ مبلغ ،وكأنيّ فجَّرتُ به منه بحراً.

قال : قال الفراء : لَمْ نَرَ مثل الكسائي ، ولانرى مثله أبداً . كنّا نظنُّ إذا سألناه عن التفسير أنّه لايُجيبُ فيه الجوابَ الثاقب ، فإذا سألناه عنه ، أقْبَلَ يرمينا بالشُّهبان .

قال أبو توبة : وأخبرني [١] سعدون قال : قلتُ للكسائي : أيُّ الرجلين أعلم بالنحو : الفراءُ أو الأحمرُ ؟ فقال : الأحمرُ أحفظ ، وهذا أعلم بما يخرجُ من رأسه" [٢] .

وقال ابن قادم : قلت للفراء : قد بقي في نفسك شيءٌ من النحو ؟

قال : أشياء كثيرة . قال : فَمَنْ تُحب أن تَلْقَى فيها ؟ قال : كنتُ أحبُّ لو بقيَ الكسائي - وكان قد مات رحمه الله - " [٣].

وَفَاتُـــــه:

تُوفي الإمام الكسائي - رحمة ُالله عليه- سنة تسعٍ وثمانين ومئة - على الأصح -[٤]، في قرية (رَنْبُوَيْه)[٥] قربَ الرَّيّ ، مع محمد بن الحسن الشيباني [٦] صاحب الإمام أبي حنيفة ، حيثُ كانا في صحبة الخليفة هارون الرشيد ، فدفنهما هناك ، وقال : اليوم دفنتُ الفقه والنحو ، روى نحواً من هذا الفراءُ وثعلبٌ وأبو بكر بن الأنباري.

ورثاهما أبو محمد يحيى اليزيدي فقال :

تَصَرَّمت الدنيا فليس خلـــــــــودُ ... وما قد ترى من بهجة سيبيـــــدُ

سيفنيك ما أفنى القرونَ التي مضتْ ... فكن مستعداً فالفناءُ عتيـــــدُ

أسيتُ على قاضي القضاة محمـــــدٍ ... فأذريتُ دمعي والفؤادُ عميـــدُ

---

(١) في الأصل الذي نقلتُ عنه (أخبروني) بالجمع . وهو خطأ طباعيّ بيّن ، فاقتضى التنويه .

(٢) مجالس العلماء ، ص ١٦٢- ١٦٣.

(٣) إنباه الرواه ٢٧٢/٢.

(٤) انظر : تاريخ بغداد ٤١٣/١١ - ٤١٤ ، سيرأعلام النبلاء ١٣٤/٩ ، غاية النهاية ٥٣٩/١ - ٥٤٠ .

(٥) انظر : معجم البلدان ٧٣/٣.

(٦) تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٧٢/٢ ، وسيرأعلام النبلاء ١٣٤/٩.

وقلت إذا ما الخطبُ أشكل مَنْ لَنَـــا ... بإيضاحه يوماً وأنت فقيـــــدُ؟

وأوجَعَني موتُ الكسائي بعـــــــده ... وكادت بي الأرض الفضاءُ تميدُ

وأذهلَني عن كل عيشٍ ولـــــــذّةٍ ... وَأَرَّقَ عيني والعُيون هجـــــودُ

هما عالما نا أورياوتخرَّمـــــــــا ... وما لهما في العالمين نديـــــدُ

ويُقال: إنّ عمر الكسائي بلغ سبعين سنة [١] .

ولمّا وَصَلَ خبرُ موت الكسائي - رحمه الله - إلى أبي زيد الأنصاريّ قال : يرحمه الله ! مات بموته علمٌ كثيرٌ[٢] .

كُتُبه و مُصَنّفاتُه :

رحل الإمام الكسائي وترك كتباً وآثاراً ، يذكرُها مَنْ ترجم له ، وهي :

١- كتاب معاني القرآن .

٢- كتاب القراءات .

٣- كتاب مقطوع القرآن وموصوله .

٤- كتاب الهاءات المكنيّ بها في القرآن .

٥- كتاب المختصر في النحو .

٦- كتاب النوادر الكبير .

٧- كتاب النوادر الأوسط .

٨- كتاب النوادر الأصغر .

٩- كتاب الهجاء .

١٠- كتاب المصادر .

١١- كتاب الحروف .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٤١٣-٤١٤.

(٢) إنباه الرواة ٢/٢٧٤.

١٢- كتاب أشعار المعاياة وطرائقها .

١٣- كتاب العدد .

١٤- كتاب اختلاف العدد [١] .

---

(١) الفهرست ص ٩٨ ، وانظر : تاريخ التراث العربي ، المجلد الثامن (علم اللغة) ص ٢٠٢ -٢٠٤ .

وانظر في ترجمة الإمام الكسائي - رحمه الله - ، المصادر والمراجع الآتية - مرتبةً على وَفَيات أصحابها- : التاريخ الكبير ٢٦٨/٦، التاريخ الصغير ٢/ ٢٢٥، الجرح والتعديل ٦/ ١٨٢ ، مراتب النحويين ص ١٢٠ ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٧، الفهرست ص ٩٧ ، تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٣ ، الأنساب ٥/ ٦٥ ، نزهة الألِبَّاء في طبقات الأدباء ص ٥٨، اللُّباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٩٧ ، معجم الأدباء ١٣/ ١٦٧ ، معجم البلدان ٣/ ٧٣، جمال القراء وكمال الإقراء ٢/ ٤٧٦ . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٢٥٦ ، وَفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥ ، معرفة القراء الكبار ص ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١ ، دول الإسلام ١/ ١٢٠ ، العِبَر في خبر مَن غبر ١/ ٢٣٤ ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٥/ ٩١ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٩ ، البُلغَة في تاريخ أئمة اللغة ص ١٥٦ ، غاية النهاية ١/ ٥٣٥ ، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٥ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/ ١٦٣ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ١٦٢ ، طبقات المفسرين ١/ ٤٠٤ ، كشف الظنون ٢/ ١٣٢٨، ١٧٣٠ ، شذرات الذهب ١/ ٣٢١ ، هَديّة العارفين ١/ ٦٦٨ . إيضاح المكنون ١/ ٤٨ ، ٢/ ٢٨٩، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٥٠، ٤٥٠، روضات الجنات ٥/ ١٩٤ ، الأعلام ٤/ ٢٨٣ ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الثامن (علم اللغة) ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، معجم المؤلفين ٧/ ٨٤ ، المستدرك على معجم المؤلفين ص ٤٨٧ .

الفصل الثاني

انفرادات الكسائي

الفصل الثاني

إنفرادات الكسائي

تمهيد:

قارئ القراءات والناظر فيها ، يستطيع الوصول إلى أنّ الإمام الكسائي - عليه رحمة الله - قد تفرّد بقراءة ألفاظٍ من القرآن الكريم ، خالف فيها جمهور القراء السبعة.

وهذه الانفرادات الكسائية ساهمت في تشكيلِ ملامحَ خاصّة لقراءته ، تميّزها مما سواها من القراءات ، حتى عُدّت قراءة الكسائي أظرفَ القراءات [١] .

ومما يزيد هذه الانفرادات أهميّة ، ويكسوها كساءً مطبوعًا بطابع خاص متميّز ، هو أنه قد ظهر لي بعد استقراء هذه الانفرادات وإحصائها ، أنّها تبلغ تسعًا وثلاثين انفرادة ، ثلثها وافق فيه الكسائي أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، هذا فضلاً عن أنّ غيرها من الانفرادت قد وافق في بعضها صحابةً أجلآء آخرين ، كعمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن مسعود ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عباس ، ووافق في بعضها الآخر الحسن بن علي ، وزيد بن علي - رضي الله عنهم أجمعين - ، مما يؤيد قول من قال : أنّ قراءة الكسائي راجعة إلى حروف رُويت عن رسول الله - صلى الله عيه وسلم - ، وعن علي وعبد الله بن عباس والحسن بن علي - رضي الله عنهم- [٢].

ومن ثَمّ يمكنني القول : أنّ هذه الانفرادات كان لها مذاقها الصحابي الخاص ، من خلال

---

(١) انظر : شفاء الصدور في ذكر أنواع قواعد شيوخ قراء السبعة البدور ، للشيخ عبد المجيد الخطيب ، ط١ ، ١٣٩٧ هـ= ١٩٧٧ م ، الموصل ، ص ٤٥-٤٦.

(٢) يُنظر في ذلك : جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ، ٢/ ٤٤٠.

بروز هذا اللون الصحابي الإقرائي المتميز في الكوفة ، المتمثل في سيادة قراءتي الصحابيين الجليلين : علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنهما - ، ولا غرو في هذا ، فلقد كان الكسائي الكوفي إمام القراء والإقراء في عصره ومصره ، حيث شاعت قراءة علي ، وعبد الله - رضي الله عنهما - اللذين أقاما في الكوفة واستوطناها ، وتلقى عنهما أهلُها فنَّ القراءة القرآنية وكيفيتَها ، على النحو الذي تلقياه من رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- .

وثمَّة أمر آخر تضيفه هذه الانفرادات ، وهو أنها تساهم في إثراء الدراسات اللغوية القرآنية ، بما تقدمه إليها من لطفٍ في التعليل ، ودقةٍ في التوجيه ، واستقصاءٍ في البحث ، نظراً إلى حسن وجهها ، وظرافة مخرجها ، مّما جعل قراءة الإمام الكسائي قراءةً متميزةً مرموقةً من بين سائر القراءات ، لغةً وأصواتاً ، وكيف لا تكون كذلك؟!، والكسائي هو رأس المدرسة اللغوية الكوفية ، إضافةً إلى كونه إمام القراءة فيها ، فاجتمع فيه الأمران ، فازداد بذلك جمالاً وكمالاً.

ولا أريد هنا الإسهاب في الحديث عن القيمة اللغوية لقراءة الكسائي ، فهذا أمر أتركه للقارئ الكريم ، عندما يبدأ بتصفح الورقات الآتيات ، حيث حملت في حناياها وسطورها نبذاً ونكتًا حُبلى بمكامن حسن هذه الفرائد ، أراها شاهدةً على عُلُوّ صرح هذه القراءة وأصالتها وتميّزها .

وقد نهجت في هذا الفصل منهجاً خاصًّا ملخصاً بما يأتي :

١- إبراز ما قرأ به الكسائي مخالفاً سائر القراء السبعة ؛ لإظهار خصوصية هذه القراءة وتفردها ، بما جعلها مّميزة من سائر القراءات .

٢- اعتمدت في تخريج قراءة الكسائي على أمّات كتب القراءات ، ابتداء بأوّل كتاب وصل إلينا صُنّفَ في هذا العلم ، وهو كتاب (السبعة) لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، وانتهاءً بما سطره المتأخرون المحققون ، ملتزماً بما رواه أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) في كتابه (التيسير) ، فالتعويل عند الاختلاف في الرواية على طريق هذا الكتاب ،

إذ أنه « يتضمّن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين ، وصح وثبت عند المتصدرين ، من الأئمة المتقدمين » [١].

٣- ثم إني أحكي قراءة الكسائي ، فألحقها الكلمة التي وقع فيها الخُلف بالرسم الذي تقتضيه القراءة ، وبالضبط الذي تومئ إليه الرواية ، ثم أتبع ذلك بذكر قسم من الآية التي وردت فيها القراءة على ما يوافق الرواية التي ضُبطت عليها غالب مصاحف المسلمين في هذه الأيام ، وهي رواية حفص عن عاصم ، متلوةً بذكر رقم الآية في السورة نفسها . بيد أني أذكر المواضع التي تكرّر تفرُّد الكسائي بها في أول موضع ذُكرت فيه ، مشيراً إلى السور الواردة فيها هاتيك المواضعُ ، وأرقامِ آياتها فيها ، استغناءً عن إعادة ذكرها مرةً أُخرى ، أما إذا كان الموضع الذي وردت فيه القراءة يتكرّر كثيراً ، فأكتفي بذكر أول موضع له ، مشيراً إلى اطراد حكمه أينما ذُكر في الكتاب الكريم .

٤-أما عمدتي في الاحتجاج للكسائي في انفراداته ، فهي أُصول الدواوين التي صُنفت لهذا الشأن ، من كتب اللغة والتفسير والنحو ، ومعاني القرآن ، وتوجيه القراءات والاحتجاج لها ، ومن الله تعالى أستلهم التوفيق .

---

(١) التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، تحقيق اوتو برتزل ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، ص ٢.

الفصل الثاني

إنفرادات الكسائي

سورة البقرة

وقف الكسائي - رحمه الله تعالى - على لفظ: (مَرْضَاهْ) بالهاء ، في قول الحق تبارك وتعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَه ابتغاءَ مرضاتِ الله ..» (٢٠٧) ، وفي موضعه الآخر من هذه السورة في الآية (٢٦٥)، وفي سائر مواضعه في القرآن الكريم ، في سورة النساء (١١٤)، وسورة التحريم(١) . وكذلك يقف بالهاء على ألفاظ أخر ، أذكرها استغناء عن ذكرها في مواضعها ، لا ندراجها كلها في حكم واحد ، وهذه الألفاظ: (ذات) في قوله تعالى : « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة .. » في سورة النمل (٦٠) ، ولفظ (لات) في قوله سبحانه : « فنادَوْا وَلَاتَ حينَ مناص » في سورة ص (٣)، ولفظ (اللات) في قوله جل وعلا : « أفرأيتم اللّاتَ والعُزّى» في سورة النجم [١](١٩).

وأما قول أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ومن تابعه : « وكان حمزة يقف(مرضات) بالتاء . والكسائي والباقون يقفون على : (مرضاهْ) بالهاء » [٢]، فيوضحه أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) فيما نقله ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) عنه قال : « وقال الداني : يعني ابن مجاهد : أنّ النص لم يرد عنهم بالوقف على ذلك بالتاء إلا عن حمزة ومَنْ

---

(١) انظر : التيسير في القراءات السبع ، ص ٦٠ ، والنشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ١٣٢/٢ .

(٢) انظر : كتاب (السبعة) في القراءات ، لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، بتحقيق د. شوقي ضيف ، ص ١٨٠ ، وانظر : التيسير ص ٦٠.

سواه غير الكسائي ، فالنص فيه معدوم عنه ، إذ [١] كان نافع وغيره ممن لا نصَّ فيه عنه يقف على ذلك بالتاء على حال رسمه » [٢].

وللكسائي في وقفه بالهاء **حجتان** : « **إحداهما** : أنَه فرّق بين التاء الأصلية ، في (صوت) و (بيت) ، وبين الزائدة لمعنى . **والثانية** : أنه أراد أن يفرق بين التاء المتصلة بالاسم كـ (نعمة) و (رحمة) ، وبين التاء المتصلة بالفعل كقولك : قامت ونامت » [٣] .

بقي التنبيه على أنّ الوقف على اللفظ المذكور وعلى ما هو من شاكلته إنما يكون للقراء من قبيل الوقف الاضطراري أو الاختباري وحسب .

---

(١) في الأصل (إذا) ولعله تحريف من الناسخ أو الطابع ، والجادة ما أثبتُ.

(٢) النشر ١٣٢/٢.

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، ط٢ ، ١٣٩٧ هـ= ١٩٧٧ م ، دار الشروق ، بيروت ، ص٩٥ ، وانظر : كتاب سيبويه (٢٣٨/٤ - هارون).

سورة آل عمران

قرأ الكسائي - رحمه الله - بكسر الهمزة من : (إِنّ) في قوله تعالى : «... وأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجر المؤمنين » [١](١٧١).

وحجّته في ذلك أنّه جعلها على الابتداء والاستئناف ، بمعنى : والله لا يُضيع أجر المؤمنين ، ومما يقوّي هذا الوجه من القراءة أنها في مصحف عبد الله بن مسعود [٢] كذلك بغير(إنّ) [٣]. ومع ذلك فإنّ المعنى متعلّق بما قبله، أي بقوله تعالى : « يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضل .. » (١٧١) ، لأنّ الله تعالى إذا لم يُضِعِ الأجر فهو واصِلٌ إلى المؤمنين[٤].

★★★★★★★★★★

---

(١) انظر : السبعة ، ص ٢١٩ ، التيسير ص ٩١.

(٢) هوعبد الله بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الرحمن، أُمُّه أم عبد الله بنت عَبدِ وُدّ ، صحابيٌ كبير ، أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وحدّث عنه كثيراً، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : " من سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد " ، توفي سنة ٣٢ هـ . انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ١٥٠/٣ وما بعدها ، كتاب الطبقات ، لخليفة بن خياط ص ١٦ ، ١٢٦ ، التاريخ الكبير للبخاري ٢/٥، حلية الأولياء ، لأبي نعيم الاصفهاني ١٢٤/١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر بهامش (الإصابة) ٣١٦/٢ وما بعدها ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٦٨/٢-٣٦٩.

(٣) انظر : كتاب (المصاحف) لأبي بكر بن أبي داود ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٧٠.

وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ١١٦ ، وحجة القراءات ، لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ص ١٨١ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. محيي الدين رمضان ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ= ١٩٨٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٣٦٤/١-٣٦٥ .

(٤) انظر : الكشف ٣٦٤/١-٣٦٥.

وقرأ الكسائي بتاء الخطاب مع كسر السين ، وفتح الباء في الفعلين : (تَحْسِبَنَّ) و (تَحْسِبَنَّهم) من قوله تعالى : « لا تَحسَبَنَّ الذين يفرحون بما أَتَوا ويُحبُّونَ أَنْ يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تَحْسَبَنَّهُم بمفازةٍ من العذاب ولهم عذابٌ أليمٌ » [١](١٨٨).

وحجة القراءة بالتاء في الفعلين المذكورين أنّ صاحبها « أضاف الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجرى على المخاطبة ، و (الذين يفرحون) مفعول أول لـِ (حسب)، وحذف الثاني ، لدلالة ما بعده عليه ، وهو قوله : (فلا تَحسبنّهم بمفازة من العذاب) . ويجوز أن يكون المفعول الثاني قوله : (بمفازة من العذاب) ، الذي بعد (تحسبنهم) يُراد به التقديم ، ويكون مفعول (تحسبنهم) محذوفاً ، لدلالة الأول عليه ، كما تقول : ظننت زيداً ذاهباً ، وظننت عَمْراً » [٢].

ولتكرار الفعل (تحسبنهم) وجه في العربية، يُتحفنا به - تماماً للفائدة في تدبّر كلام الله تعالى- ، أبو اسحاق الزّجاج (ت ٣١١ هـ) حيث يقول : « ووقعت (فلا تحسبنهم) مكرّرةً لطول القصة . والعرب تعيد إذا طالت القصة في (حسبت) وما أشبهها ، إعلاما أنّ الذي جرى متصل بالأول ، وتوكيداً للأول ، فتقول : (لا تظنَّنّ زيداً إذا جاءك وكلّمك بكذا فلا تظنّنّه صادقاً) ، تعيد (فلا تظنّنّ) توكيداً ، ولو قلت : (لا تظنّ زيداً إذا جاءك وحدّثك بكذا وكذا صادقًا) جاز ، ولكنّ التكرير أوكد وأوضح للقصة » [٣].

---

(١) التيسير ص ٩٣ ، العنوان في القراءات السبع ، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرىء الأنصاري الأندلسي ، تحقيق د. زهير زاهد وصاحبه ، ط ١ ، ١٠٤٥ هـ = ١٩٨٥م ، عالم الكتب ، بيروت ، ص ٨٢ . البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ،لعبد الفتاح القاضي ، ص ٧٤.

(٢) الكشف : ٣٦٨/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م ، ٥١٥/١.

وانظر : إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م ، ٣٨٤/١-٣٨٥.

أما وجه كسر السين في الفعلين (تحسِبنّ - تحسِبنّهم) ، فالجواب عنه : أنّ العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع عدد من الأفعال، منها: (يحسَب) و (ينعَم) و (يَيْأس) و (يَيْبَس) ، حتى صار الكسر فيهنّ أفصح [١].

ويذكر ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) أنّ : « عُليا مُضَر تكسر ، وسُفلاها تفتح، وقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يحسِب) و (يحسِبون) - بالكسر - » [٢]. وقد أشار أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) في تفسيره إلى أنّ الفتح في السين لغة تميم ، والكسر لغة الحجاز[٣].

---

(١) ينظر: الحجة لابن خالويه ، ص ١٠٣.

(٢) أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ص ٣٧٢ . وانظر : حجة القراءات ص ١٤٨ ، والكشف ٣١٨/١.

(٣) انظر : البحر المحيط ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، دار الفكر ، بيروت ، ٣٢٨/٢.

وانظر: معجم لغات القبائل والأمصار ، د. جميل سعيد، د. داود سلوم، ط المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م ، ٦٩/١.

سورة النساء

وقرأ الكسائي بكسر الصاد من لفظ : (المُحْصِنَات) في قوله تعالى : « وَمَنْ لَمْ يستطعْ منكم طَوْلاً أنْ يَنْكِحَ المحصَنَاتِ المؤمناتِ.. » (٢٥) في كل مواضعه من الآية نفسها، وفي سورة المائدة (٥)، وسورة النور (٤)و(٢٣).

على أنّ الكسائي قد وافق سائر القراء السبعة في قراءة لفظ (المحصَنات) من قوله تعالى : «والمحصَنَاتُ مِنَ النساءِ إلا ما مَلَكَتْ أيمانُكُم ..» (٢٤) بفتح الصاد في هذا الموضع فقط من هذه السورة [١].

ولعلّ ذلك من الكسائي - رحمه الله - ، جمعٌ بين اللغتين ، مع اتباع الأثر والرواية في القراءة . وهذا دليل أكيد وواضح على أنّ المعتمدَ في القراءةِ الروايةُ والأثر ، لا ما يقتضيه القياس والنظر .

---

(١) انظر : السبعة ص ٢٣٠ ، والغاية في القراءات العشر ، لأبي بكر بن مهران (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق محمد غياث الجنباز ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ ، ص ١٣٤ ، والتيسير ص ٩٥.

يقول أبو إسحاق الزّجّاج (ت ٣١١ هـ) : « وقوله : « والمحصَناتُ من النساء » القراءة بالفتح قد أُجمع على الفتح في هذه ، لأنّ معناها : اللاتي أُحْصنَّ بالأزواج »[١].

أما أبو البقاء العُكبري (ت ٦١٦ هـ) فقد وجّه وجهي القراءة في (المحصنات) ، منبّهًا على اتفاق جمهور القراء على فتح الصاد في الموضع الذي أشرت إليه ، فقال : « والجمهور على فتح الصاد هنا ، لأنّ المراد بهنّ ذوات الأزواج ، وذات الزوج محصَنة -بالفتح- ، لأن زوجها أحصنها أي : أعفّها ، فأما (المحصنات) في غير هذا الموضع ، فيُقرأ بالفتح والكسر ، وكلاهما مشهور ، فالكسر على أنّ النساء أَحْصَنّ فروجهنّ أو أزواجهنّ ، والفتح على أنهنّ أُحْصِنّ بالأزواج أو بالإسلام ، واشتقاق الكلمة من التحصين وهو : المنع »[٢].

وهكذا فإنا نرى الكسائي - رحمه الله تعالى - قد جمع في قراءته بين اللغتين ، فحوى المعنيين ، بل زاد هذا الأمر حسناً على حسنيين ، اتباعُه الأثر والرواية في القراءتين ، فللّه دَرُّه في الدارين .

---

(١) معاني القرآن واعرابه ٢/٣٥.

(٢) إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١/١٧٤ . وانظر : الحجة لابن خالويه ص ١٢٢ ، وحجة القراءات ص ١٩٦-١٩٧.

سورة المائدة

ووردت الرواية عن الكسائي في قراءته بأنه رفع الكلمات الخمس :

(والعينُ - والأنفُ - والأذُنُ - والسّنُّ - والجروحُ) في قوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفسَ بالنفس والعينَ بالعين والأنفَ بالأنف و الأذُنَ بالأذنِ والسّنَّ بالسّنّ والجُروُحَ قصَاصٌ .. »[(١)](٤٥).

والرفع هنا يكون على ثلاثة أوجه ، هي خلاصة ما جادت به قرائح فحول النحاة :

الوجه الأول : أنّ هذه الألفاظ مرفوعة « على العطف على موضعِ (النفس بالنفس) والعامل فيها ، المعنى : وكتبنا عليهم النفسُ بالنَفس ، أي قلنا لهم : النفس بالنفس »[(٢)].

ويكون العطف هنا على المعنى - كماهو ظاهر-.

الوجه الثاني : أن تكون الألفاظ المشار إليها مرفوعةً على الابتداء والاستئناف ، فتكون - مثلاً - (العينُ) مرفوعة بالابتداء ، وخبرها (بالعين) وهكذا سائر الألفاظ[(٣)].

الوجه الثالث : أن يكون رفع تلك الكلمات بالعطف على الضمير المرفوع في قوله: (بالنفس) ، لأنّ الضمير في (النفس) في موضع رفع ، فيكون المعنى : أنَّ النفسَ مأخوذةٌ هي بالنفس، وتكون (العينُ) معطوفة على الضمير (هي) . وهذا قولٌ لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) في المسألة[(٤)].

---

(١) ينظر : السبعة ص ٢٤٤ ، الغاية ص ١٣٩ ، التيسير ص ٩٩ ، العنوان ص ٨٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ١٩٦/٢.

(٣) المصدر السابق ١٩٦/٢ ، إعراب القرآن ، للنحاس ٤٩٩/١ ، مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. حاتم الضامن ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٢٧/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه ، ط الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م ، ٢٩٢/١-٢٩٣.

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٩٣/٢.

وأولى الأوجه عندي بالاتباع والاختيار الوجه الثاني ، لقرب تناوله ، وسهولة مأخذه، تمشيّاً مع طبيعة اللغة ويسرها ، في الابتعاد عن التكلّف والتأويل ، وقد قَوّى أبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) وجه الرفع في هذه الآية ، وتابعه ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) معلّلاً ذلك بأنه : « إذا تمّت (أنّ) باسمها وخبرها كان الاختيار فيما أتى بعد ذلك الرفع ، لأنه حرف دخل على المبتدأ وخبره . ودليله على ذلك قوله تعالى : (أنّ اللّه بريءٌ من المشركين ورسولُه) » [١].

« وذلك مثل قولك : (إنّ عبدَ اللهِ قائمٌ وزيدٌ قاعدٌ). وقد أجمعوا على الرفع في قوله : (.. أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتقين) [٢]، فكان إلحاق ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعواعليه أولى» [٣].

★★★★★★★★★★★★

وقرأ الكسائي - وحده - بتاء الخطاب في : (تستطيع) ، ونَصْب الباء من لفظ : (ربَّك) ، في قوله تعالى : « إذ قَالَ الحواريونَ يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّك أَنْ يُنَزّلَ علينا مآئدةً مِنَ السمآء ..» [٤](١١٢).

ومعنى هذه القراءة : « (هل تقدر يا عيسى أن تسل ربك) ، لأنهم كانوا مؤمنين . وكانت عائشة تقول : كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا : هل يستطيع ربُّك ؟ ! ، انما قالوا : (هل تستطيعُ ربَّكَ) [٥]؟ . وحجته [٦] قوله قبلها : (وإذْ أوحيتُ إلى الحواريّين أن آمِنُوا

---

(١) الآية من سورة التوبة /٣ ، والنص من الحجة ص ١٣٠ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، عالم الكتب ، بيروت ، ٣١٠/١.

(٢) سورة الأعراف /١٢٨.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ، ص ٢٢٧.

(٤) انظر : السبعة ، ص ٢٤٩ ، الغاية ص ١٤٢ ، التيسير ص ١٠١.

(٥) الأثر رواه أبو جعفر بن جرير الطبري بإسناد ضعيف في تفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط دار الفكر- بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م ، ١٢٩/٥. وانظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، ط٢ ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٣١/٣.

(٦) أي : حجة قول عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها- الآنف الذكر الضعيف السند .

بي وبرسولي قالوا آمنّا) ، والله تعالى سمّاهم حواريين ، ولم يكنِ الله لِيُسَمّيَهمُ بذلك وهم برسالة رسوله كفرة . قال أهل البصرة : المعنى : (هل تستطيعُ سُؤالَ ربّك ؟) فحذف السؤال ، وألقى إعرابه على ما بعده فنصبه كما قال : « واسأل القريةَ »[١]أي أهلَ القرية»[٢].

ويقول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) : « وحجة مَنْ قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى ، وفيه معنى التعظيم للرب جلّ ذكره ، على أن يُستفهم عيسى عن استطاعته ، إذ هو تعالى مستطيع لذلك ، فإنما معناه : هل تفعل ذلك ، على معنى : افعل ذلك ... ، وقد علموا أنّ عيسى يستطيع السؤال ، ولا بد من إضمار السؤال ، إذ لا يجوز أن يُقال : هل تستطيع أن يفعل غيرك كذا ؟ ، فـ (أنْ) مفعول بالمصدر المحذوف وهو السؤال، وهذا كما تقول للرجل : هل تستطيع أن تكلمني ؟، وقد علمتَ أنّه مستطيع لذلك ، فإنما معناه : هل تفعل ذلك ، على معنى : افعل ذلك »[٣].

أما أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) فيرى رأياً آخر .

يقول أبو إسحاق : « وقد قُرئ : (هل تستطيع ربَّك) و (هل يستطيع ربُّك) فمن قرأ : (هل تستطيع ربَّك) فالمعنى : هل تستدعي إجابَتَه وطاعتَه في أن ينزل علينا ؟ ، ومن قرأها : (هل يستطيع ربُّك) كان معناه : هل يقدر ربُّك ؟ .

قال أبو إسحاق : وليس المعنى عندي – والله أعلم – أنهم جهلوا أنَّ الله يقدر على أن ينزل مائدة ، ولكن وجه السؤال : هل تُرينا أنت أنَّ ربَّك يُرينا ما سألنا من أجلك من آياتك التي تدل على نبوتك ؟ »[٤].

---

(١) سورة يوسف /٨٢.

(٢) حجة القراءات ، لأبي زرعة بن زنجلة ، ص ٢٤١ . وانظر : إعراب القرآن ١/٥٣٠.

(٣) الكشف ١/٤٢٢ . وانظر : الحجة لابن خالويه ص ١٣٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٤٣.

فإذا تفحصنا ونظرنا في الآيات التي قبل الآية المعنية بالقراءة ، والآيات التي بعدها[١] فإننا نجد أنّ ما ذهب إليه الزجّاج هو أولى بالصواب ، وأليق بالمراد، وأكثر توافقاً مع المقام ، وسياق الكلام ،إذ ينبغي أن ننهج في دراستنا القرآنية ، منهجاً يقوم على فهم النصوص ، في إطارها الموضوعي العام ، وعدم الخوض فيها مجتزأةً دون السياق الذي وردت فيه ، حرصًا على نتائجَ دقيقةٍ صائبةٍ .

وأُنبّه هنا على أنّ الباحث في مثل هذا الموضوع ، عندما يُرجّح أو يُحسّن أو يُصوّب أو يقوّي أحد أوجه القراءة على غيره ، إنّما ينبغي له ذلك في ضمن دائرة المعنى ، الذي تومئ إليه القراءة ، لا من حيث مجرد القراءة ، وعلى هذا يجب أن يُحمل كلام الأئمة المتقدمين ، من مفسّرين وقراء ونحاة ، ما وسعنا ذلك مالم يَرِدْ ما يَرُدُّ هذا الأصل ، كما زلّت به الأقدام ، وضلّت عنه الأفهام ، إذِ القراءات القرآنية المتواترة كلها مجزئة ، بأيِّها قرأ القارئ فهو مصيب .

وصفوة القول من خلال هذه اللمحة السريعة

---

(١) انظر أقاويل المفسرين فيها في التفاسير الآتية : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، ط مؤسسة شعبان ، بيروت ، ١٧٥/٢ ، تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٢٠/٢ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد ابن علي الشوكاني ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، ٩٢/٢-٩٣.

: إنّ قراءة

الإمام الكسائي في هذا الموضع : (هل تستطيع ربّك) من الجودة والحُسن بمكان رفيع ، ولا سيّما بعد توجيه الزجّاج لها ، وتحسين الفراء (ت ٢٠٧هـ) وجهها [١].

بقي أن أنوّه - هنا - إلى أنّ نفراً من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - ، قد قرؤوا بهذا الوجه من القراءة [٢].

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ١/٣٢٥.

(٢) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ٣/٢٣١.

سورة الأنعـــام

وصحت الرواية عن الكسائي ، أنه قرأ بإسقاط الهمزة الثانية من لفظ : (أَرَأَيْتَكُم) ، المسبوق بهمزة الاستفهام ، في كل مواضعه الكثيرة في القران الكريم[١] - وهذا هو أولها-، سواء اقترن هذا الفعل (أرأيت) بميم الجمع أو كاف الخطاب أو بهما معا أم لم يقترن ، فيقرأ : (أَرَيْتَكم) (٤٠)، و (أَرَيْتُم) (٤٦) ، و (أَرَيْتَكَ) الاسراء (٦٢) ، و (أَرَيْتَ) الكهف (٦٣) ، و (أَفَرَيْتَ) مريم (٧٧) ، و (أَفَرَيْتُم) الشعراء (٧٥) .

والحجة في حذف هذه الهمزة ، أنها " لما كانت تسقط من الفعل المضارع في كلام فصحاء العرب ، ولا تُستعمل إلا في ضرورة شاعر ، كقوله :

أُري عَيْنيَّ مالم تَرْأَيَـــــــاهُ كلانا عالمٌ بالتُّرَّهـــــــاتِ[٢].

كان الماضي في القياس كالمضارع ، إذا قاربه همزة الاستفهام »[٣]، فنقول في المضارع (يرى) بدون همز ، فقيس عليه الماضي ، إذا سُبق بهمزة الاستفهام.

وقد يُقال في توجيه حذف الهمزة الثانية وطرحها من (أرأيتكم) وما على شاكلتها ، أنّه استُثْقل اجتماع همزة الاستفهام، والهمزة التي هي عين الفعل في كلمة واحدة ، فحُذِفَت

---

(١) ينظر : السبعة ص ٢٥٧ ، الغاية في القراءات العشر ، ص ١٤٤ ، التيسير ص ١٠٢ ، العنوان ص ٩٠ ، الإقناع ٦٣٩/٢ ، النشر ٣٩٧/١-٣٩٨ ، ٢٥٨/٢.

(٢) البيت منسوب إلى سُراقة البارقي ، انظر : طبقات فحول الشعراء ، لابن سلاّم الجمحي ، تحقيق وشرح محمود شاكر ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م ، ص ٤٤٠ ، والمحتسب ، في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ، ١٢٨/١ ، وسر صناعة الإعراب ، لابن جني ، أيضاً ، تحقيق د. حسن هنداوي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، دار القلم ، بيروت ،٧٦/١- ٧٧ ، والخصائص ، له أيضاً ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢ ، دار الهدى ، بيروت ، بدون تاريخ ، ١٥٣/٣ ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ،٢٧٧/١.

(٣) الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ص ١٣٩.

الهمزة الثانية ، للتخفيف [١].

هذا ، وقد ورد عن العرب الفصحاء ما تشهد له القراءة بحذف الهمزة المشار إليها ، في الفعل (أرأيتَ) المسبوق بهمزة الاستفهام ، الذي هو بمعنى (عَلِم) لا (أبصر) ، لا بل ذكر الفراء (ت ٢٠٧ هـ) أنّ الحذف « أكثر كلام العرب » [٢].

فمن ذلك قول الراجز :

أُرَيْتَ إن جئتُ به أُملـــــــــودا مُرَجَّلاً ويلبس البُـــــــــــــرُودا

أقائـــلُنَّ أحضـــروا الشـــــهودا [٣].

فإذا تقرر ما سبق ، علمنا بُعدَ ما قاله أبو جعفر النّحاس (ت ٣٣٨هـ) عن الصواب ، حيث وصف حذف الهمزة في القراءة المذكورة بأنه : « بعيدٌ في العربية ، وإنّما يجوز في الشعر »[٤] !، فقد ثبت لكل ذي حِجْر ، جواز ذلك في الشعر والنثر ، على أنّ هذا من أبي جعفر – رحمه الله وغفر له – تجرؤٌ على قراءة قرآنية متواترة ، والعجب كل العجب من النحاة، كيف يحتجّون بقول شاعر مجهول ، ويتركون الأخذ بقراءة مَنْ نَقَلَ عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –! [٥].

---

(١) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ، لابن الأنباري ، ٣٤٢/٢ ، ٥٣٨ ، إملاء ما مَنّ به الرحمن ، للعُكبري ، ٢٤١/١-٢٤٢.

(٢) معاني القرآن ٣٣٣/١ . وانظر : البحر المحيط ١٢٥/٤.

(٣) صاحب هذا الرجز مجهول على الصحيح ، وقد يُنسب إلى (رؤبة)! لكن جُل المصادر التي بين يدي لا تنسبه إلى قائل معيّن ، والأملود : الناعم ، والمرجّل : المزيّن الشعر ، انظر : القاموس المحيط (ملد) و (رجل) ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م ، وانظر مظانّ هذا الرجز في : المحتسب لابن جني ، ١٩٣/١ ، والخصائص له ١٣٦/١ ، والبحر المحيط ١٢٥/٤ ، ومغني اللبيب ٣٣٩/٢ ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٤٢٠/١١.

(٤) إعراب القرآن ٥٤٧/١.

(٥) انظر : الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، د. عبد الفتاح شلبي ، ط٢ ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م ، دار نهضة مصر ، ص ٣١٢.

وقرأ الكسائي - رحمه الله - بضم الزاي في لفظ : (بِزُعْمِهِم) من قوله تعالى : «وجعلوا لِلّهِ مّما ذَرَأَ مِنَ الحَرْث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لِلّهِ بِزَعْمِهِم وهذا لِشُرَكائنا..»[1](١٣٦) ، وفي الآية (١٣٨) من السورة نفسها .

ووجه ذلك أنّ ضم الزاي وفتحها لغتان مشهورتان عن العرب ، وقد قُرئ بهما في موضعي هذه السورة ، وهناك لغة ثالثة في اللفظ المذكور ، لم يُقرأ بها ، وهي كسر الزاي .

فأما ضمّ الزاي ، فهي لغة بني أسد ، وبني تميم بوجه عام ، ولا ننسى - هنا- أنّ الكسائي أسديّ بالولاء ، فكذلك قرأ بما يوافق الرواية عن شيوخه .

وأمّا فتح الزاي ، فهي لغة أهل الحجاز ، وعليها سائر القراء .

وأما كسر الزاي ، فلغة لبعض قيس ، وتقدّم القول بأنه لم يقرأ بها أحد [2].

---

(١)انظر : السبعة ص ٢٧٠ ، الغاية في القراءات العشر ص ١٥٠ ، التيسير ص ١٠٧ ، العنوان ص ٩٣ ، الإقناع ٦٤٤/٢ ، النشر ٢٦٣/٢ .

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ١٥٠ ، الكشف ٤٥٣/١ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٦٢/١ ، البحر المحيط ٢٢٧/٤ ، المصباح المنير ، للفيومي ، ط مكتبةلبنان ،بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٩٦ ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه ، ط دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ٢٧٦/٢ ، معجم لغات القبائل والأمصار ١٢٦/١ - ١٢٧.

سورة الأعراف

وقد قرأ الكسائي – عليه رحمة الله – بكسر العين من : (نَعِمْ) في قوله تعالى : « .. فَهَلْ وَجَدتم ما وَعَدَ ربُكم حقًا قالوا نَعَمْ .. » (٤٤) ، وكذلك يقرؤه في سائر مواضعه في الذكر الحكيم [١]، في الآية (١١٤) من هذه السورة ، وسورة الشعراء (٤٢) ، وسورة الصافات (١٨).

وكسر العين من (نعم) لغة كنانة [٢]، وقد ينسبها بعضهم إلى هذيل [٣]، وتُروى أيضًا عن قريش ، ففي « حديث قتادة عن رجل من خثعم قال : دُفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمنىً فقلت : أنت الذي تزعم أنك نبي ؟ فقال : نَعِمْ وكسر العين .. ، وقال أبو عثمان النَّهدي : أمرنا أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه – بأمر فقلنا : نَعَمْ ، فقال : لا تقولوا : نَعَمْ ، وقولوا نَعِمْ ، بكسر العين . وقال بعض ولد الزُّبيْر : ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا : نَعِم ، بكسر العين » [٤].

ويقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) في توجيه فتح العين وكسرها من (نَعَمْ) : هما لغتان بمعنى العِدَة ، إذا استفهمت عن موجب ، نحو قولك : أيقوم زيد ؟ ، فتقول : نَعَم ، والتصديق إذا أخبرت عما وقع ، تقول : قد كان كذا ، فتقول : نَعَم » [٥].

---

(١) انظر : السبعة ص ٢٨١ ، الغاية ص ١٥٤ ، التيسير ، ص ١١٠ ، العنوان ص ٩٥ ، الإقناع ٦٤٧/٢ ، النشر ٢٦٩/٢.

(٢) انظر : مغني اللبيب ٣٥٤/٢ ، معجم لغات القبائل والأمصار ٣٠١/١ .

(٣) انظر : جمهرة اللغة لابن دريد ، ط دار صادر – بدون تاريخ ١٤٢/٣.

(٤) لسان العرب ، لابن منظور (٥٨٩/١٢ – نعم) ، ط دار صادر ، بيروت.
وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ،لابن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨٤/٥.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٤٦٢/١-٤٦٣ ، وانظر : حجة القراءات ص ٢٨٣.

ثم يعلّل مكي وجه كسر العين فيقول : « وكان من كسر العين في (نعم) ، أراد أن يفرّق بين (نَعِمْ) الذي هو جواب ، وبين (نَعَمْ) الذي هو اسم للإبل والبقر والغنم [١]. وقد روي عن عمر إنكار (نَعَم) بفتح العين في الجواب ، وقال : قُل : نَعِم » [٢].

فإذا ثبت ما سقتُه من روايات في كسر عين (نعم) ، ظهر أنَّ الكسر لغة قريش أو لِنقُل : لغةٌ لقريش ، والله أعلم.

★★★★★★★★★

وقرأ الكسائي بخفض الراء من لفظ (غَيْرِهِ) ، في قوله تعالى : « ... مَالَكُم مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ .. » (٥٩) ، في كل مواضع وروده في هذه السورة ، وسائر القرآن الحكيم [٣]. ويترتب على خفض الراء في اللفظ المذكور كسرُ الهاء بعدها حال الوصل - كما لا يخفى- [٤].

أما وجه خفض الراء في (غيره) فإنّه جعله صفة لِـ (إله) ، ولم يجعله استثناء ، فوافق اللفظُ المعنى [٥].

---

(١) إذا نُكِّر ووُقف عليه ، انظر : الحجة في القراءات السبع ص ١٥٥.

(٢) الكشف ٤٦٣/١.

(٣) انظر : السبعة ص ٢٨٤ ، التيسير ص ١١٠ ، العنوان ص ٩٦ ، النشر ٢٧٠/٢.

(٤) انظر : البدور الزاهرة ص ١١٨.

(٥) انظر:معاني القرآن للفراء ٣٨٢/١ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٥/٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٦٢٠/١-٦٢١ ، حجة القراءات ص ٢٨٦ ، الكشف ٤٦٧/١ ، مشكل إعراب القرآن ٢٩٦/١ ، البحر المحيط ٣٢٠/٤.

سورة يونس

قرأ الكسائي بكسر الزاي من الفعل : (يَعْزِبُ) ، بمعنى : يبعد ، بلغة كنانة [١]، وذلك في قوله تعالى : « ... وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ في الأرضِ وَلاَ في السمآءِ.. » (٦١) ، وفي سورة سبأ (٣)[٢].

وضم الزاي وكسرها في (يعزُب) لغتان ، مثل : (عكَف - يعكُف) ، و (عَرَش - يعْرُش) [٣]، يقول ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) : « والحجّة لذلك : أنَّ كل فعل انفتحت عين ماضيه ، جاز كسرها وضمّها في المضارع قياساً ، إلا أن يمنع السماع من ذلك . وما كانت عينُ ماضيه مضمومةً لزمت الضمّةُ عينَ مضارعه ، إلا أن يشذّ شيء من الباب ، فلا حكم للشاذ . فالأصل ما ذكرتهُ لك ، فاعرفه إن شاء الله » [٤].

---

(١) انظر : معجم لغات القبائل والأمصار ١/١٩٩.

(٢) انظر : السبعة ص ٣٢٨ ، التيسير ص ١٢٢-١٢٣ ، النشر ٢/٢٨٥.

(٣) انظر : حجة القراءات ص ٣٣٤ ، الكشف ١/٥٢٠.

(٤) الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ١٦٢.

سورة هـود

وصح عن الكسائي أنّه قرأ بكسر الميم وفتح اللام من لفظ : (عَمِلَ) ، وبنصب راء : (غيرَ) ، في قوله تعالى : « قال يا نوحُ إنَّه ليس مِنْ أَهْلِكَ إنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.. »[١](٤٦) .

ووجه ذلك أنه جعل الضمير في (إنّه) لابن نوح ، فأخبر عنه بفعله [٢]، وجعل (عَمِلَ) فعلاً ماضياً ، وفاعله مستتر فيه ، و (غيرَ) منصوب ، لأنه صفة قامت مقام الموصوف المحذوف ، الذي هو المصدر (عملاً) ، إذ التقدير : إنّه عمل عملاً غيرَ صالح [٣].

وقد يُقال إنّ (غير) منصوب على أنّه مفعول [٤].

وقد قرأ بهذا الوجه من القراءة عدد من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ، حيث روى بعضهم ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم [٥].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) قد اختار قراءة الكسائي في هذا الموضع وبها قرأ [٦].

هذا ، وقد تكلّم بهذه القراءة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، وأبعد النُّجعة !، ولابأس من الوقوف على ما قاله والردّ عليه رداً علميّاً مجرّداً من الهوى ، منزّهًا عن العصبيّة ، فمن رأى خَطَلاً في رأي ، أو تجنياً في مسألة ، ثم عَلِمَ الصواب فيها ، فلا يسعه كتمانها ، ولا سيّما إذا كان الأمر متعلقاً بكتاب الله تبارك وتعالى ، إذ هذه زكاة العلم ،

---

(١) انظر : السبعة ص ٣٣٤ ، التيسير ص ١٢٥ ، النشر ٢٨٩/٢.

(٢) انظر : الكشف ٥٣١/١ ، مشكل إعراب القرآن ٣٦٧/١ ، البحر المحيط ٢٢٩/٥.

(٣) يُنظر : الحجة في القراءات السبع ص ١٨٧ ، الكشف ٥٣١/١.

(٤) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات بن الأنباري ١٦/٢.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ١٧/٢-١٨ ، الدر المنثور ٤٣٨/٤-٤٣٩.

(٦) انظر :معاني القرآن للأخفش الأوسط ، تحقيق د. فائز فارس ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، دار البشير ، عمان ، ٣٥٣/٢.

وميثاق الله تعالى الذي أخذه على أُولي الفهم ، حيث قال جل من قائل : " وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّه للنّاس ولا تكتُمونه .. » [١].

يقول ابن جرير – رحمه الله – : « ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحدٌ من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين ، واعتل في ذلك بخبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنّه قرأ ذلك كذلك غيرِ صحيح السند ، وذلك حديث رُوي عن شَهْر بن حَوْشب ، فمرّة يقول : عن أم سلمة ، ومرة يقول : عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشَهْرٍ سماعاً يصح عن أُم سلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، وذلك رفع (عَمَلٌ) بالتنوين ، ورفع (غيرُ) .. » [٢].

أما قوله : « ولا نعلم هذه القراءةَ » إلى قوله « إلا بعض المتأخرينَ»فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها ، وثبت عن عدد من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – أنهم قرؤوا بهذه القراءة ، حتى بلغت مبلغ التواتر ، كيف لا ، وهي من القراءات السبع ، لا بل العشر المتواترة – اتفاقًا–[٣] ؟ !.

وأما قوله :« واعتل في ذلك بخبر » إلى قوله « غير صحيح السند » ، فالجواب عنه : أنّ القراءة تواترت شهرةً واستفاضةً ، فلا حاجة لنا بعد ذلك في الخبر الذي أشار إليه – وسيأتي – ، سواء أصحَّ سنده أم لم يصح ، مع أنّ الخبر صحيح لا كما زعم عدم صحته ! . على أنّ هذا الخبر المشار إليه ليس الأوحد في المسألة كما صوّر ابن جرير [٤]. وقوله : «وذلك حديث روي عن شهر بن حوشب ».

---

(١) سورة آل عمران / ١٨٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٣/٧.

(٣) انظر : الغاية في القراءات العشر ص ١٧٥، النشر في القراءات العشر ٢٨٩/٢.

(٤) انظر : الدر المنثور ٤٣٨/٤ – ٤٣٩.

فالجواب عنه : أنّ الحديث ثابت في أكثر من أصل من أصول الحديث المعتمدة ، من طريق شهر بن حوشب وغيره ، [١] وشهر هذا في القراءات ثقة إذا لم يتفرّدْ ، حتى أنّه وُصف بأقرأ الناس لكتاب الله تعالى[٢].

أمّا العلة التي ذكرها ابن جرير - رحمه الله - في توهينه رواية شهر ، حيث قال عنه : « فمرة يقول : عن أُم سلمة ، ومرّة يقول : عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لشهر سماعاً يصح عن أُم سلمة » . فهذه العلة حجة على ابن جرير لا له ! ، ذلك أنّ أم سلمة هي نفسها أسماء بنت يزيد ، وأم سلمة إحدى كنيتيها ، وهي صحابية مشهورة ، وشهر أحد مواليها الراوين عنها [٣]، وطبيعيٌّ جداً أن يحدّث عنها شهرٌ ، باسمها تارة أو بكنيتها تارة أُخرى ولا ضير ، ولهذا فقد نبّه بعض العلماء من المحدّثين على ذلك ، درءاً لما قد يتوهمه متوهم فيظنّ ذلك اضطراباً في الرواية فيردّها .

فقد قال الإمام المحدّث أبو عيسى الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) : « وسمعتُ عبد بن حميد[٤]يقول : أسماء بنت يزيد هي أُم سلمة الأنصاريّة ، قال أبوعيسى : كلا الحديثين عندي واحد ، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أُم سلمة الأنصارية ، وهي أسماء بنت يزيد، وقد رُوي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا »[٥] يشير بذلك إلى أنّ رواية

---

(١) انظره في : مسند أحمد ٢٩٤/٦ ، ٣٢٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٨٦/١-٢٨٧ ، وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٢) ، (٣٩٨٣) ، و سنن الترمذي (٢٩٣١) ، (٢٩٣٢) ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٢٤١/٢ ، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ١٥٥/٧.

(٢) انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٢٤/٤-٣٢٥ ، وغاية النهاية ٣٢٩/١.

(٣) انظر ترجمتها في : الاستيعاب (بهامش الإصابة) ٢٣٧/٤ ، وقد تحرّف اسم أبيها فيه من (يزيد) إلى (زيد) فتنبّه ، سير أعلام النبلاء ، ٢٩٦/٢-٢٩٧ ، تهذيب التهذيب ٤٢٨/١٢ ، الإصابة ٢٣٤/٤-٢٣٥.

(٤) إمام ، محدث ، حافظ ، ثقة ، له مسند وتصانيف أُخر (ت ٢٤٩ هـ) ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣٥/١٢ ، اللباب في تهذيب الأنساب ٩٨/٣.

(٥) سنن الترمذي ١٨٧/٥ ، وانظر رواية عائشة - رضي الله عنها - في التاريخ الكبير للبخاري ٢٨٦/١-٢٨٧ ، ومستدرك الحاكم ٢٤١/٢ ، ومجمع الزوائد ١٥٥/٧.

شهر عن أُم سلمة ، وروايته عن أسماء هما في حقيقة الأمر رواية واحدة وحديث واحد ، وليستا روايتين قد وقع فيهما اضطراب - كما ظنّ ابن جرير- .

وكذلك قال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ).حيث رجّح أنّ أُم سلمة في الرواية التي رواها شهر عنها هنا هي أسماء بنت يزيد ، وليست أُم سلمة أُم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن كثير عن الحديث المشار إليه : « أعاده أحمد ايضاً في مسنده أم مسلمة هي أم المؤمنين ، والظاهر - والله أعلم - أنها أسماء بنت يزيد فإنها تُكنى بذلك أيضاً» [١].

وأما قول ابن جرير : « ولا نعلم لشهر سماعاً يصح عن أُم سلمة» فَوَهَمٌ ، إذ ثبت سماع شهر من أُم سلمة - رضي الله عنها - ، صرّح بذلك إمام المحدِّثين أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦ هـ) -رحمه الله تعالى - [٢]، فأعظم به .

وقوله : « والصواب من القراءة في ذلك عندنا .. الخ » ، فهو قول يمثّل منهجَية ابن جرير الطبري - رحمه الله - ، في التعامل مع القراءات ، وهذا جليٌّ جداً لمن تصفح تفسيره ، على أنّ قوله : (والصواب ..) فيه استبعاد لقراءةٍ قرآنيةٍ متواترةٍ ، قرأ بها إمامان جليلان من أئمة القراءة العشرة ، هما: الكسائي ، ويعقوب الحضرمي البصري[٣](ت ٢٠٥ هـ) - عليهم جميعاً من الله الرحمة والرضوان-.

★★★★★★★

وقرأ الكسائي -رحمه الله - بخفض الدال مع التنوين في لفظ (ثَمودٍ) من قوله تعالى: « .. ألا بُعداً لثَمودَ » [٤](٦٨) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦٤/٢.

(٢) في التاريخ الكبير ٢٥٨/٤.

(٣) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق ، أبو محمد الحضرمي مولاهم ، البصري ، أحد القراء العشرة ، وإمام أهل البصرة ومقرئها ، قال أبو عمرو الداني : وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبه. انظر ترجمته في : غاية النهاية ٣٨٦/٢ وما بعدها ، تهذيب التهذيب ٣٣٥/١١.

(٤) انظر : السبعة ص ٣٣٧ ، التيسير ص ١٢٥ ، العنوان ص ١٠٨ ، النشر ٢٩٠/٢.

وحجة صرف (ثمودٍ) من وجهين :

الأول : أن يُجعل اسماً مذكراً لحيّ أو رئيس [١]،« فلا علة تمنع في صرفه ، إذ الصرف أصل الأسماء كلها » [٢].

الثاني : أن يُجعل على وزن (فَعُول) من (الثَّمَد) وهو الماء القليل[٣]. على أنّ الوجه الأول أوْجَه ، يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) :« الأجود عند سيبويه فيما لم يُقل فيه : بنو فلان ، الصرفُ ، نحو : قريش وثقيف ، وما أشبههما ، وكذا (ثمود) ، والعلة في ذلك أنّه لما كان التذكير الأصل ، وكان يقع له مذكر ومؤنث كان الأصل والأخف أولى ، والتأنيث جيّد بالغ حسن ، وأنشد سيبويه في التأنيث :

غَلَبَ المساميحَ الوليدُ سماحـــةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسَادها » [٤].

ويتحفنا - هنا - أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) بنكتة لطيفة ، ولفتة شريفة ، فيقول : « ومنهم من أجرى (ثمود) في النصب ، لأنها مكتوبة بالألف في كل القرآن إلا في موضع واحد (وآتينا ثمودَ الناقة مبصرة) [٥]،فأخذ بذلك الكسائي فأجراها [٦] في النصب ، ولم يُجرها في الخفض ، ولا في الرفع ، إلا في حرف واحد ، قوله : « ألا إنّ

---

(١) انظر : الحجة لابن خالويه ص ١٨٨ ، حجة القراءات ص ٣٤٥ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٢٠/٢.

(٢) الكشف ٥٣٣/١.

(٣) الحجة لابن خالويه ص ١٨٨.

(٤) إعراب القرآن ٩٧/٢-٩٨ ، وانظر : كتاب سيبويه (٢٤٩/٣-٢٥٠ - هارون) ، وتحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، للأعلم الشنتمري ، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان ، ط١ ، ١٩٩٢ م ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ص ٤٥٥.

(٥) سورة الإسراء / ٥٩.

(٦) مصطلح كوفي يُطلق على الصرف في الأسماء ، انظر : تقويم كتاب معاني القرآن للفراء ، د. أحمد خطاب العمر ، دراسة منشورة في مجلة المورد العراقية ، المجلد ١٧ ، العدد الرابع ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م ، ص ٤.

ثموداً كفروا ربَّهم ألا بُعداً لثمودٍ »[١]، فسألوه عن ذلك ، فقال : قُرِئَت[٢] في النصب[٣] من المُجرى ، وقبيح أن يجتمع الحرف مرتين في موضعين ثم يختلف ، فأجريتُه[٤] لقربه منه »[٥].

وقال أبو زرعة بن زنجلة (كان حيًّا ٣٨٢ هـ) : « وزاد الكسائي عليهم[٦] حرفًا خامسًا ، وهو قوله : « ألا بُعداً لثمودٍ » منوَّنًا ، وقال : « إنّما أجريتُ الثاني لقربه من الأول » ، لأنّه استقبح أن ينوّن اسماً واحداً ويدع التنوين في آية واحدة ، ويخالف بين اللّفظين . وقد جوَّد الكسائي فيما قال »[٧].

أُنبه ـ هنا ـ على أنّ ما يرد من قبيل هذه الروايات عن أئمة القراءات ، فإنّه محمول على الرواية في الاختيار ، وليس خاضعًا للاجتهاد والانتقاء وفق مقاييس اللغة ، أي أنّ الاختيار يكون في ضمن الرواية عن الشيوخ وبما يوافق الأخذ عنهم .

---

(١) المراد صرف لفظ (ثمودٍ) المجرور.

(٢) أي : كلمة (ثمود).

(٣) في الأصل الذي نقلت عنه (في الخفض) بدلاً من (في النصب) ، وكذا في الأصول الخطية التي اعتمدها محقق الكتاب . والأولى (النصب) كما قال المحقق وكما يدل عليه السياق.

(٤) أي لفظ (ثمودٍ) المخفوض.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠.

(٦) أي : على القرأة السبعة.

(٧) حجة القراءات ص ٣٤٥.

ثم يعلّل أبو زرعة عدم صرف (ثمود) في موضع سورة الإسراء الآنف ذكره ، عمن ورد عنه من القراء صرف هذا اللفظ ولا سيما الكسائي ، فيقول : « فإن سأل سائل فقال : قوله : « وآتينا ثمودَ النّاقة » من موضع نصب ، فهلاّ نوّن[١] كما نوّن سائر المنصوبات ؟ الجواب : أنّ هذا الحرف كُتب في المصحف بغير ألف ، والاسم المنوّن إذا استقبله ألف ولام جاز ترك التنوين ، كقوله « قل هو الله أحدُ اللّهُ الصمدُ » [٢]. وهذه - لعمر الحق - فائدة جليلة .

سورة إبراهيم

وقرأ الكسائي - رحمه الله - بفتح اللام الأُولى ، ورفع الثانية من لفظ : (لَتَزُولُ) . من قول الحق تبارك وتعالى : « وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهُم وإنْ كَانَ مكرُهم لِتَزُولَ منه الجبالُ »[٣] (٤٦).

فالحجة للكسائي في فتح اللام الأُولى : «أنه جعلها لام التأكيد ، فلم تؤثر في الفعل ولم تُزله عن أصل إعرابه . وهذه القراءة توجب زوال الجبال لشدّة مكرهم وعِظَمِه . وقد جاء به التفسير »[٤].

وهي قراءة عدد من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - [٥].

---

(١) أي : الإمام الكسائي.

(٢) حجة القراءات ص ٣٤٥ ، وانظر معاني القرآن للأخفش الأوسط ٥٤٩/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطي ، تحقيق د. عبد العال مكرم ، ط دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م ، ١٧٩/٦ وما بعدها.

(٣) انظر : السبعة ص ٣٦٣ ، التيسير ص ١٣٥ ، العنوان ص ١١٥ ، الإقناع ٦٧٨/٢ ، النشر ٣٠٠/٢.

(٤) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٢٠٣ ، وانظر : معاني الفراء ٧٩/٢ ، إعراب القرآن ١٨٦/٢ وما بعدها ، حجة القراءات ص ٣٧٩ ، مشكل إعراب القرآن ٤٠٧/١-٤٠٨ .

(٥) انظر : جامع البيان (تفسير الطبري) ٢٤٤/٨ وما بعدها ، البحر المحيط ٤٣٧/٥-٤٣٨ ، الدر المنثور ٥٣/٥ وما بعدها.

سورة النحل

وَوَرَدَ عن الكسائي أنّه قرأ بكسر الهمزة وفتح الميم المشدّدة ، من لفظ : (إِمَّهَاتِكم) إذا وصله بما قبله : (من بطونِ) ، وذلك في قول الحق سبحانه : « واللهُ أَخْرَجَكُم من بطونِ أُمَّهَاتِكُم .. » (٧٨) . وكذلك حيث وقع في القرآن العظيم .

أما إذا وقف على لفظ (بطونِ) فإنّه يبتدئ بلفظ (إِمَّهاتكم) بضم الهمزة على الأصل فيه[١] ، لزوال المسوّغ لكسر الهمزة - كما سيأتي إن شاء الله -.

والحجة للكسائي في ذلك أنه استثقل ضم الهمزة بعد كسرة أو ياء [٢]، فكسر الهمزة للكسرة والياء قبلها ؛ ليكون عمل اللسان من جهة واحدة ، إذ لم يكن تغيير الهمزة من الضم إلى الكسرة يزيل معنى ، ولا يغيّر إعرابًا يفرّق بين معنيين ، فأتبع لذلك الكسرةَ الكسرةَ .[٣]

وتأثر الهمزة بما قبلها حتى أُتْبِعَتْ حركته ، والتأثر الذي يصيب الأصوات بصورة عامة، يعود إلى « مجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل .. ويمكن أن يُسمَّى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه » [٤].

ويقرّر علماء الأصوات المحدَثون أنّ هذا التأثر قد يكون : رجعيًّا (regressive) : يتأثر فيه الصوت الأول بالثاني ، وقد يكون تقدميّاً(progressive) : وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول [٥]، ومن هذا القبيل كان إتباع كسرةِ همزة (إمهاتكم) كسرةَ النون من لفظ (بطونِ) قبلها في اتصال الكلام.

---

(١) انظر السبعة ص ٢٢٧-٢٢٨ ، التيسير ص ٩٤ ، النشر ٢٤٨/٢.

(٢) مثاله بعد الياء ، قوله تعالى : " وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في إِمِّها رسولاً ". سورة القصص /٥٩.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٩٢ . بتصرفٍ يسيرٍ ، وانظر : إعراب القرآن ٢١٩/٢ .

(٤) الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ط ٥، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ١٧٨.

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

سورة الإسراء

وقرأ الكسائي - رحمه الله تعالى - من هذه السورة ، بنون المضارعة ونصب الهمزة من غير واو الجماعة بعدها في لفظ : (لِنَسُوْءَ) من قوله تعالى : « .. فإذا جَآء وَعْدُ الآخِرةِ لِيَسُوْءُا وُجُوهَكُم ولِيَدْخُلُوا المسجدَ كما دخلوهُ أوّلَ مرَّةٍ ولِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً » [١] (٧).

والقراءة بالنون في (لنسوء) هي إخبار الباري جلا وعلا عن نفسه ، لأنّ سياق الكلام في الآيات الكريمات قبله وبعده كذلك ، فحمله عليه ، وهو قوله تعالى قبله : « بعثنا عليكم عباداً لنا » (٥) ، وقوله : « ثم رَدَدْنَا لكمُ الكَرَّةَعليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنينَ وجعلْناكم .. » (٦)، وقوله سبحانه بعده : « .. وإنْ عُدتُم عُدْنا وجعلْنا ..» (٨) ، « فحمل (لنسوءَ) على هذه الألفاظ المتكررة بالإخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه ، ليكون الكلام في آخره محمولاً على أوله ، فذلك أليق في المشاكلة والمطابقة » [٢].

ويقول أبو زرعة بن زنجلة(كان حيًّا ٣٨٢ هـ) : « وإذا قُرئ بالنون استُعمل على المعاني كلها ، لأنّ الله تعالى هو الفاعل لذلك في الحقيقة . فإذا أسند الفعل في اللفظ إليه ، جاز أن يسوء وجوهَهُم بالوعد ، وجاز أن يسوءها بالعباد » [٣]. يشير بذلك إلى المعاني التي ترتّبت على القراءات الواردة في (لنسوءَ) [٤].

★★★★★★★★★

وقرأ الكسائي بضم التاء من لفظ : (عَلِمْتُ) في قوله سبحانه : « قَالَ لَقَدْ علمتَ ماأنزلَ هؤلآءِ إلا ربُّ السماواتِ والأرضِ بصآئرَ وَإني لأظُنُّكَ يافرعونُ مثبوراً » [٥](١٠٢).

ووجه ذلك : « أنه جعل التاء لموسى دلالة على إخبار المتكلم عن نفسه » [٦].

(١) انظر : السبعة ص ٣٧٨ ، التيسير ص ١٣٩ ، النشر ٣٠٦/٢.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٤٣/٢.

(٣) حجة القراءات ص ٣٩٨.

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٦/٢-١١٧ ، تفسير الطبري ٣١/٩-٣٢ ، البحر المحيط ١١/٦.

(٥) انظر : السبعة ص ٣٨٥ ، التيسير ص ١٤١ ، العنوان ص ١٢١ ، النشر ٣٠٩/٢.

(٦) الحجة لابن خالويه ص ٢٢١.

وهنا مسألة دقيقة تنسحب على قراءة الكسائي،يفيدنا بها وبالجواب عنها أبو زرعة بن زنجلة ، فيقول: « فإن قلت : كيف يصح الاحتجاج عليه[١] بعلمه وعلمه لا يكون حجةً على فرعون ، إنما يكون علمُ فرعونَ ما عَلِمَهُ من صحة أمر موسى حجةً عليه ؟.

فالقول فيه : إنّه لما قيل له : « إنّ رسولَكم الذي أُرسل إليكم لمجنون » [٢] كان ذلك قدحاً في علمه ، لأنّ المجنون لا يعلم ، فكأنّه نفى ذلك ودفع عن نفسه فقال : (لقد علمتُ صحةَ ما أتيتُ به علماً صحيحًا كعلم الفضلاء) ، فصارت الحجةُ عليه [١]من هذا الوجه»[٣].

---

(١) الهاء تعود إلى فرعون.

(٢) سورة الشعراء /٢٧.

(٣) حجة القراءات ص ٤١١ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ١٣٢/٢ ، تفسير الطبري ١٧٤/٩ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٩٧/٢ ، البحر المحيط ٨٦/٦ ، الدر المنثور ٣٤٤/٥.

سورة مريم

وقرأ الكسائي - عليه رحمة الله - بإسكان النون الثانية ، وتخفيف الجيم المكسورة ، من الفعل : (نُنْجِي) ، في قوله تعالى « ثم نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظالمينَ فيها جِثيًّا »[١](٧٢).

وهو من (أنجى - يُنجي) ، ومن قرأ بفتح النون ، وتثقيل الجيم فهو من (نَجَّى - ينجِّي) ، وهما لغتان بمعنى واحد ، كثيرتا الاستعمال فاشيتان ، مثل (كَرَّم) و (أكرم) ، إلاّ أنّ في التشديد معنى التكرير والتكثير [٢].

سورة طه

وصح عن الكسائي أنّه قرأ بضم الحاء من (يَحُلّ) ، وضم اللام الأولى من (يَحْلُلْ)، وذلك في قول الحق جلّ وعلا : « كُلوا من طيباتِ ما رزقناكُم ولا تَطغَوْا فيه فَيَحِلَّ عليكُم غَضَبي وَمَن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هَوَى »[٣] (٨١).

ومعنى هذه القراءة : فينزل عليكم غضبي . يُقال : حَلَّ يَحُلّ : إذا نزل [٤]. بيد أني أرى ما رآه الأخفش (ت ٢١٥هـ) ، حيث قال : « ولا أراها إلا لغة ، مثل : يعكِف ويعكُف » [٥].

---

(١) انظر : السبعة ص ٤١١ ، التيسير ص ١٤٩ ، العنوان ص ١٢٧ ، النشر ٢٥٩/٢ .

(٢) انظر : الحجة ص ٢٣٩ ، حجة القراءات ص ٤٤٦ ، الكشف ٩١/٢.

(٣) انظر : السبعة ص ٤٢٢ ، التيسير ص ١٥٢ ، العنوان ص ١٣٠ ، النشر ٣٢١/٢ .

(٤) يُنظر : حجة القراءات ص ٤٦٠ ، معاني القرآن للفراء ١٨٨/٢ ، إعراب القرآن ٣٥٣/٢ ، البحر المحيط ٢٦٥/٦.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٤٠٩/٢.

سورة الأنبياء

وقرأ الكسائي – رحمه الله – بكسر الجيم من لفظ : (جِذَا ذًا)، في قوله تعالى : « فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون » [١](٥٨).

وكسر الجيم في (جُذا ذًا) لغة ، وهو « جمع لـ (جذيذ)، و (جذيذ) معدول عن (مجذوذ) ، مثل : قتيل ومقتول ، ثم جُمع (الجذيذ) جِذاذاً ، كما جُمع (الخفيفُ) خِفافًا، و (الكبير) كِباراً ، و (الصغير) صِغاراً » [٢].

سورة النّمل

وورد عن الكسائي أنه كان يقرأ بتخفيف اللام من : (ألاَ) ، ويقرأ لفظ : (يَسْجُدُوا) على أنّه مكوّن من (يا) النداء ، والفعل (اسجدوا)، فيقف على (أَلَايَا) ، ويبتدئ بـ (أُسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر ، على معنى : ألا يا هؤلاء ، أو ، يا أيها الناس اسجدوا ، « فحُذفت همزة الوصل بعد (يا) وقبل السين من الخط على مراد الوصل دون الفصل » [٣].

وذلك في قول الحق سبحانه :« أَلَّا يَسْجُدُوا للّه الذي يُخرجُ الخَبْءَ في السّماواتِ والأرض ويعلمُ ما تُخفون وما تُعلنون » [٤] (٢٥).

---

(١) انظر : السبعة ص ٤٢٩ ، الغاية ص ٢١١ ، التيسير ص ١٥٥ ، العنوان ص ١٣٢ ، الإقناع ٧٠٣/٢ ، النشر ٣٢٤/٢.

(٢) حجة القراءات ص ٤٦٨ ، وانظر : معاني الفراء ٢٠٦/٢ ، الحجة لابن خالويه ص ٢٥٠ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٧٣/٢ ، البحر المحيط ٣٢٢/٦.

(٣) النشر ٣٣٧/٢.

(٤) انظر : السبعة ص ٤٨٠ ، الغاية ص ٢٢٦ ، التيسير ص ١٦٧ ، العنوان ص ١٤٤ ، الإقناع ٧١٩/٢ ، النشر ٣٣٧/٢.

وحجة تخفيف (ألا) هو « أنّه جعله تنبيهًا واستفتاحاً للكلام ، ثم نادى بعده فاجتزأ بحرف النداء من المنادى ، لإقباله عليه وحضوره ، فأمرهم حينئذ بالسجود .

وتلخيصه : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ، والعرب تفعل ذلك كثيراً في كلامها . قال الشاعر:

أَلا يا اسلمي يا دار مَيٍّ على البِلى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائكِ القَطْـــــــرُ [١].

أراد : ياهذه اسلمي . ودليله أنّه في قراءة عبد الله [٢] (هَلاَّ يسجدون) [٣] ، وإنما تقع (هلاّ) في الكلام تحضيضًا على السجود » [٤].

---

(١) الشاعر هو : ذو الرمّة ، أبو الحارث غيلان بن عقبة ، والبيت مطلع رائيته المشهورة في حب (ميّ) ، انظر : ديوان ذي الرمة ، بتحقيق مطيع ببيلي ، ط٢ ،١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، المكتب الإسلامي - دمشق ، ص ٢٩٠.

(٢) هو عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو المراد عند الإطلاق في مقام القراءات وقد تقدمت ترجمته ص ٣٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٠ ، البحر المحيط ٦٨/٧.

(٤) الحجة لابن خالويه ص ٢٧١ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ٤٢٩/٢ ، تفسير الطبري ١٤٩/١١ ، إعراب القرآن ٥١٧/٢-٥١٨ ، حجة القراءات ص ٥٢٦ ، مشكل إعراب القرآن ٥٣٣/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٢٢١/٢.

سورة سبأ

وصح عن الكسائي - يرحمه الله - أنه قرأ بالإفراد في (مسْكِنهم) مع كسر الكاف منه ، وذلك في قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مَسْكَنِهم آية .. »[١] (١٥).

وحجة الكسائي في توحيد (مسكنهم) أنه جعله مصدراً « يدل على القليل والكثير من جنسه ، فاستغنى به عن الجمع مع خفة الواحد » [٢].

وأما وجه كسر الكاف من (مَسْكِنِهم) فقد قال عنه الكسائي : « مسكَن ومسِكن: لغتان» [٣]، ونصَّ الفراء (ت ٢٠٧ هـ) على أنّ الكسر فيه لغة يمانيّة فصيحة، واختارَ القراءة بها [٤].

وقال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) : « ومن قال : مَسْكِن - بكسر الكاف - جعله مثل (مسجِد) ، وهو خارج عن القياس ، لا يوجد مثله إلا سماعًا [٥].

أما سيبويه (ت ١٨٠ هـ) فيرى أنّ (مسجِد) ونحوه هو اسم للبيت ، وليس يُراد به موضع السجود وموضع الجبهة ، قال : « لو أردت ذلك لقلت : مَسْجَدٌ » [٦]. وعلى مذهب سيبويه لا يكون (مسكِن) و (مسجِد) ونحوهما [٧] شاذّين عن قاعدة صوغ اسم المكان ، لأنهما اسمان لبيت .

---

(١) انظر : السبعة ص ٥٢٨ ، الغاية ص ٢٤١ ، التيسير ص ١٨٠ ، العنوان ص ١٥٦ ، الإقناع ٧٣٩/٢ ، النشر ٣٥٠/٢.

(٢) الكشف ٢٠٤/٢.

(٣) حجة القراءات ص ٥٨٦.

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣٥٧/٢.

(٥) إعراب القرآن ٦٦٤/٢.

(٦) الكتاب (٩٠/٤ - هارون).

(٧) انظر : أدب الكاتب لابن قتيبة ، ص ٤٤٤.

هذا ، وقد نقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) عن أبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥ هـ) أنه قال عن كسر كاف (مسكِنهم) : « كسر الكاف لغة فاشية ، وهي لغة الناس اليوم ، والفتح لغة أهل الحجاز، وهي اليوم قليلة » [١].

سورة الدُّخَان

وقرأ الكسائي بفتح الهمزة من : (أَنَّك) ، في قول الحق تبارك وتعالى : « ذُقْ إِنَّكَ أنت العزيزُ الكريمُ » [٢](٤٩).

ووجه ذلك أنه على تقدير حذف حرف الجر ، والأصل : لأنَّك أو بأنّك ، والمعنى : ذق لأنك كنت تقول في الدنيا : أنا العزيز الكريم ، وتكثر من هذا القول [٣].

وأما قول ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) - عن قراءة الكسائي بفتح الهمزة -: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من (إنك) ، على المعنى الذي ذكرت لقارئه ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وكفى دليلاً على خطأ قراءة خلافها ، ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين، مع بُعدها من الصحة في المعنى ، وفراقها تأويل أهل التأويل »[٤]. فأقول - مستعيناً بالله - في التعقيب عليه : إنّ كلام ابن جرير - رحمه الله - بعيدٌ أشدّ ما يكون البُعد ، يمثل جانباً قاسياً من موقفه من بعض

---

(١) البحر المحيط٧/٢٦٩.

(٢) انظر : السبعة ص ٥٩٣ ، الغاية ص ٢٥٩ ، التيسير ص ١٩٨ ، العنوان ص ١٧٣ ، الإقناع ٧٦٣/٢ ، النشر ٣٧١/٢.

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٣/٣ ، إعراب القرآن ١١٧/٣ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٢٤ ، حجة القراءات ص ٦٥٧ ، مشكل إعراب القرآن ٦٥٧/٢-٦٥٨ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٣٦١/٢ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٣١/٢.

(٤) تفسير الطبري (جامع البيان) ١٣٥/١٣.

القراءات المتواترة ،وإنّي - واللهِ- لأعجبُ من جرأةِ عالمٍ كبيرٍ مثله في ردّ قراءات تواتر نقلُها، واشتهر أمرُها : كقراءة الكسائي الآنفة . وسبق لي أن رددتُ على مقالةِ طعنٍ له في موضعٍ سابقٍ من هذه الدراسة . ولو رحتُ أتقصّى شطحات ابن جرير ، في هذا الأمر الخطير ، لتحصّل لي بذلك ديوان كبير ، على أنّ حسبي هذه النقدات ، التي هي كالبرقات ، استغناءً - حيث لا يسمح المقام - بالقليل عن الكثير .

فأما تصويبه قراءة غير الكسائي معلّلاً ذلك بـ (إجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه) فهذه حجة واهية كبيت العنكبوت ! ، فكيف يكون الإجماع إجماعًا مع تواتر ما يُخالفه ؟! بل كيف يكون المتواتر بالإجماع شاذاً ؟! حقًا « إنّ هذا لشيءٌ عُجاب » . فقراءة الكسائي قراءة سبعية متواترة - إجماعاً - لم أسمع خلاف ذلك من قديم أو حديث، على أنّ قوله (شذوذ) فيه إيهام على أنّ الأمر بخلاف ما ذكرتُ.

ثم إنّ قوله بعد ذلك : « وكفى دليلاً على خطأ قراءة خلافها (يعني : خلاف قراءة الجمهور بكسر الهمزة) ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين ، مع بعدها من الصحة في المعنى ، وفراقها تأويل أهل التأويل » ! فهذا ظاهر البطلان ، فقد مضت الأئمة من متقدمين ومتأخرين على قراءة الكسائي أيضًا ، التي هي قراءة سبط النبي- صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما- [1]، وقد تقدم عن أهل التأويل ، صحة معناها الجليل ، وأنها لم تفارق تأويل أحدٍ من أهل التأويل سوى ابن جرير ، فهل يصح بعد ذلك ما تقوّله عليها من أقاويل ؟! فاللهم غفراً.

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٣/٣ ، البحر المحيط ٤٠/٨.

سورة الذاريات

وقرأ الكسائي - رحمه الله - بحذف الألف بعد الصاد ، وإسكان العين من لفظ : (الصَّعْقَة) من قوله تعالى : « فَعَتَوْا عن أمرِ ربهم فَأَخَذَتْهُم الصَّاعِقةُ وهم ينظرون»[١](٤٤).

وحجته أن (الصَّعْقة) إما أن تكون مصدراً أو اسم مَرّةٍ من الفعل (صَعِقَ) [٢].

وكون المراد بـ (الصعقة) المرة الواحدة ، فلدلالة قوله : « فأخذتهم الرجفة » [٣]، ولم يقل: (الراجفة) ، وقوله : « ومنهم من أخذتْه الصيحة » [٤]، يعني : المرة الواحدة . فلما كان المعنى في الصيحة المرة الواحدة ، رُدَّ ما اختُلِف فيه إلى ما أُجمع عليه » [٥].

سورة الرحمٰن

وتذكر كُتبُ القراءات اختلاف الرواة عن الكسائي ، في ضم الميم وكسرها من لفظ : (يَطْمُثْهُنّ) ، في قوله تعالى واصفاً الحور العين في جنات النعيم : « فيهنَّ قَاصِراتُ الطَّرْفِ لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولاجآنٌّ » (٥٦) ، وقوله : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قبلَهم ولا جَآنٌّ » (٧٤) من السورة عينها .

وهذا الاختلاف عن الكسائي - رحمه الله - متمثّل في ثلاثة مذاهب ، صحت بها الرواية . إليكَها مرتّبةً مهذّبةً :

المذهب الأول : القراءة بكسر الميم في الموضع الأول في الآية (٥٦) ، وبضم الميم في الموضع الثاني من الآية (٧٤) ، وهذا من رواية أبي الحارث عن الكسائي .

(١) انظر : السبعة ص ٦٠٩ ، الغاية ص ٢٦٥ ، التيسير ص ٢٠٣ ، العنوان ص ١٨٠ ، الإقناع ٧٧٢/٢ ، النشر ٣٧٧/٢.

(٢) انظر : الحجة لابن خالويه ص ٣٣٢.

(٣) سورة الأعراف /٧٨.

(٤) سورة العنكبوت / ٤٠

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ص ٦٨٠ ، وانظر : الكشف ٢٨٨/٢-٢٨٩ ، البحر المحيط ١٤١/٨.

وبضم الميم في الأول ، وكسرها في الثاني ، من رواية أبي عمر الدوري عن الكسائي، وهو ضد ما رواه أبو الحارث .

المذهب الثاني : بضم الميم في الأول وبكسرها في الثاني ، للكسائي من روايتيه.

المذهب الثالث : التخيير لكل من الراويين : أبي الحارث والدوري ، في ضم أحد اللفظين وكسر الآخر[١]، « بمعنى أنه إذا ضمّ الأول كسر الثاني ، وإذا كسر الأول ضمّ الثاني » [٢].

يقول شيخ شيوخنا العلامة عبد الفتاح القاضي - رحمه الله - في التعليق على المذاهب المذكورة : « ويؤخذ من مجموع المذاهب الثلاثة : أنه لا يجوز للدوري ولا لأبي الحارث ضمهما معاً ،ولا كسرهما معًا ، بل لابد من التخالف بينهما في الضم والكسر ، فإذا ضم الأول تعيّن كسر الثاني وبالعكس، قال علماء القراءات : وإذا أردتَ قراءتهما للكسائي وجمعهما في التلاوة ، فاقرأ الأول بالضم ثم الكسر ، والثاني بالكسر ثم الضم »[٢].

وضم الميم وكسرها في (يطمُثهن) لغتان ، تقول « (طَمَثَ : يطمِثُ ، ويطمُث) ، مثل (عَكَفَ : يعكِفُ ، ويعكُف) . والمعنى : لم يَمسَسْهنَّ ولم يفتضَّهُنَّ » [٣]. على أنّ قراءة الكسائي في الموضعين المذكورين بالضم والكسر ، هي جمعٌ بين اللغتين فيهما ، استحساناً لهما ، مع اتباع الأثر في كليهما[٤] فناهيك بها !.

---

(١) ينظر : السبعة ص ٦٢١ ، الغاية ص ٢٦٩ ، التيسير ص ٢٠٧ ، العنوان ص ١٨٤ ، الإقناع ٧٧٩/٢ ، النشر٣٨١/٢-٣٨٢ ، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٠٧ .

(٢) البدور الزاهرة ص ٣١١.

(٣) حجة القراءات ص ٦٩٤ ، وانظر : إعراب القرآن ٣١٤/٣ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٤٠ ، الكشف ٣٠٣/٢ ، البحر المحيط ١٩٨/٨.

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١١٨/٣-١١٩ ، البحر المحيط ١٩٨/٨ .

سورة التحريم

وقرأ الكسائي بتخفيف الراء المفتوحة في الفعل : (عَرَفَ) من قول الباري جل وعلا : « وإذْ أَسَرَّ النّبيُّ إلى بعضِ أزواجِهِ حديثاً فلمّا نَبَّأَتْ به وأظهَرَه اللهُ عليهِ عَرَّفَ بعضَه وأعْرَضَ عن بعض... »[١](٣).

ووجه التخفيف في الفعل (عَرَف) أنه حمله على معنى (جازى) ، كما تقول للرجل يسيء إليك: أما واللهِ لأعرفَنّ لك ذلك ، بمعنى : لأجازينّك [٢].

قال مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) : «وحجة من خفّف أنه حمله على معنى (جازى) النبيُّ على بعض ،وعفا عن بعض تكرّمًا منه صلى الله عليه وسلم ، وجاء التفسير فيه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى بعض أزواجه سراً فأفشته عليه ، ولم تكتمه ، فأطلع اللهُ نبيَّه على ذلك ، فجازاها على بعض ما فعلت ، وأعرض عن بعض ، لم يُجازها عليه .. ولا يحسنُ أن يُحمل التخفيف على معنى (علم بعضه)؛ لأنّ الله جلّ ذكره قد أعلمنا أنه أطلعه عليه ، واذا أطلعه عليه لم يجز أن يجهل منه شيئًا ، فلابدّ من حمل (عَرَفَ) مخفّفاً على معنى (جازى) ، وذلك مستعمل في (عَرَفَ) ... وعلى ذلك يُتأوّل قوله تعالى : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » [٣]، أي : يجازيكم به الله » .[٤]

---

(١) انظر : السبعة ص ٦٤٠ ، الغاية ص ٢٧٦ ، التيسير ص ٢١٢ ، العنوان ص ١٩٣ ، الإقناع ٧٨٨/٢ ، النشر ٣٨٨/٢.

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ١٦٦/٣ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٦٤/٢ ، البحر المحيط ٢٩٠/٨

(٣) سورة البقرة/١٩٧.

(٤) الكشف ٣٢٥/٢ ، وانظر : إعراب القرآن ٤٦٢/٣ ، حجة القراءات ص ٧١٣ ، تفسير الطبري ١٥٩/١٤-١٦٠ ، تفسير البيضاوي ١٣٨/٥ ، تفسير ابن كثير ٤١٣/٤ .

سورة الملك

وقرأ الكسائي بضم السين والحاء في لفظ : (فَسُحُقاً) ، من قوله تعالى : « فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقاً لأصحاب السعير » [١](١١).

ووجه ذلك: أنّ ضم الحاء وإسكانها لغتان مستعملتان مشهورتان، مثل : الرُّعْب ، والرُّعُب ، والسُّحْت والسُّحُت [٢].

★★★★★★★★

وصح عن الكسائي - رحمه الله - أنه قرأ بياء الغيبة في لفظ : (فسيعلمون) ، من قول الله تعالى : « فستعلمون مَنْ هُوَ في ضلالٍ مبين » [٣](٢٩) . ذلك أنه « ردّه على لفظ الغيبة التي قبله في قوله : « فَمَنْ يُجِيرُ الكافرين»(٢٨) ، وقوله : « بل لَجُّوا » (٢١) ، وقوله : « وجوه الذين كفروا » (٢٧)» [٤].

---

(١) انظر: السبعة ص ٦٤٤ ، الغاية ص ٢٧٧ ، التيسير ص ٢١٢ ، العنوان ص ١٩٤ ، الإقناع ٧٨٩/٢ ، النشر ٢١٧/٢.

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٧١/٣ ، الحجة لابن خالويه ص ٨٥ ، حجة القراءات ص ٧١٦ ، الكشف ٣٢٩/٢ ، البحر المحيط ٣٠٠/٨.

(٣) انظر : السبعة ص ٦٤٤ ، الغاية ص ٢٧٧ ، التيسير ص ٢١٢ ، العنوان ص ١٩٤ ، الإقناع ٧٨٩/٢ ، النشر ٣٨٩/٢.

(٤) الكشف ٣٢٩/٢ ، وانظر كذلك : حجة القراءات ص ٧١٦ ، معاني القرآن للفراء ١٧٢/٣ ، البحر المحيط ٣٠٤/٨.

سورة المعارج

وورد عن الكسائي أنه يقرأ بالياء في الفعل : (يَعْرُجُ) على التذكير ، من قوله تعالى: « تعرجُ الملائكةُ والروحُ إليه في يومٍ كانَ مِقْدَارُهُ خمسينَ ألفَ سَنَةٍ »(٤) [١].

قال أبو زرعة بن زنجلة(كان حيًّا ٣٨٢ هـ) : « الجموع تُذكَّر إذا قَدَّرتَ بها الجمع ، وتُؤنث إذا أُريد بها الجماعة ، نحو : قال الرجال ، وقالت الرجال . قال الله : « كذبت قوم نوح المرسلين » [٢]، وقال : « إذ قالت الملائكة » [٣].

فمن قرأ (تعرج) بالتاء ، فإنه ذهب إلى جماعة الملائكة ، ومن قرأ بالياء فإنه ذهب إلى جمع الملائكة » [٤].

سورة النَّبَأ

وقرأ الكسائي بتخفيف الذال المفتوحة من لفظ : (كِذَاباً) في قول الله تعالى : « لا يسمعون فيها لَغْواً وَلا كِذَّابًا » (٣٥) ، بيد أنّه وافق جماعة القراء على تشديد الذال ، في قوله سبحانه قَبلُ : « وكذّبوا بآياتنا كِذَّابًا»(٢٨) من السورة نفسها [٥].

---

(١) انظر : السبعة ص ٦٥٠ ، الغاية ص ٢٧٩ ، التيسير ص ٢١٤ ، العنوان ص ١٩٧ ، الإقناع ٧٩٢/٢ ، النشر ٣٩٠/٢.

(٢) سورة الشعراء /١٠٥

(٣) سورة آل عمران /٤٥.

(٤) حجة القراءات ص ٧٢١ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ١٨٤/٣ ، إعراب القرآن ٥٠٣/٣ ، الكشف ٣٤٢/١ .

(٥) انظر: السبعة ص ٦٦٩ ، الغاية ص ٢٨٦ ، التيسير ص ٢١٩ ، العنوان ص ٢٠٢ ، الإقناع ٨٠٢/٢، النشر ٣٩٧/٢.

و(الكِذَاب) بالتخفيف مصدر (كَذَبَ) ، نحو : كتبه كِتاباً وحَسَبه حِسابًا ، قال الأعشى: [١].

فصدقتُهم وكذَبتُهم والمرءُ ينفعُه كِذَابُه [٢].

وسلك أبو زرعة بن زنجلة (ت ٣٨٢ هـ - تقريبا) مسلكًا آخر في توجيه تخفيف (كِذَابا) ، يتناغم مع انتظام الفواصل ، وانسجامها الموسيقي المتكامل ، وذلك بعد أن ينقل عن بعض الأئمة أقوالهم في ذلك ، فيقول : « وقال محمد بن يزيد المبرد : وقد يكون (كِذابا) من قولك : (كاذبته كِذابا) ، مثل : قاتلته قِتَالاً [٣].

قال الفراء : التخفيف كأنه - والله أعلم - لا يتكاذبون [٤]. وحجته[٥] في التخفيف أنَّ قوله : «لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا » ليست بمقيدة بفعل يكون مصدرا له ، كما شدّد قوله : « وكذَّبوا بآياتنا كِذَّابا » لمجيء (كذَّبوا) فقيّدها ، بل هو مصدر صدر عن قوله (كَذَبَ كِذَابا) بالتخفيف .. وأُخرى أنّ رؤوس الآيات من لدن قوله : « أحصيناه

---

(١) هو ميمون بن قيس ، أبو بصير ، من فحول شعراء الجاهلية ، سلك في شعره كل مسلك ، سُمّي (صنّاجة العرب) ، لجودة شعره ، انظر ترجمته في : الأغاني ١٠٨/٩-١٢٩ والشعر والشعراء ص ١١٤-١١٨ ، وخزانة الأدب ١٧٥/١-١٧٨ ، والأعلام ٣٤١/٧ ،ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ م.

(٢) لم أجده في ديوان الأعشى ، بتحقيق د. محمد محمد حسين ، ط دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، بيد أني عثرت عليه معزواً إلى الأعشى في المصادر الآتية : الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، ط مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ ، ٣٦٤/١ ، تفسير الطبري ٢٠/١٥، المخصّص لابن سيدة ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ٨٤/٣ ، ١٢٨/١٤ ، لسان العرب لابن منظور (١٩٣/١٠-صدق).

(٣) قارن بـ : المقتضب ٩٩/٢-١٠٠ ، ثم انظر : كتاب سيبويه ٧٩/٤-٨١ ، إعراب القرآن ٦٠٩/٣-٦١٠ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٦١ ، مشكل إعراب القرآن ٧٩٦/٢ .

(٤) قارنه بـ : معاني القرآن ٢٢٩/٣.

(٥) الهاء تعود إلى الكسائي.

كتاباً»[١] وإلى آخر السورة على التخفيف ، فكان التوفقة بين نظام رؤوس الآيات أولى من مخالفتها »[٢].

سورة المطفِّفين

قرأ الكسائي - عليه رحمة الله تعالى - بفتح الخاء وألف بعدها ، ثم بتاء مفتوحة فميم مضمومة ، وذلك في لفظ : (خَاتَمُهُ) من قول الله تعالى : « خِتَامُه مِسكٌ وفي ذلك فَلْيتَنَافَسِ الْمُتَنَافسون »[٣](٢٦).

يقول الفراء (ت ٢٠٧ هـ) : « والخاتَم والخِتام متقاربان في المعنى ، إلا أنّ الخَاتَم : الاسم ، والخِتَام : المصدر ... ومثل الخاتَم ، والخِتَام : قولك للرجل : هو كريم الطَّابَع ، والطِّباع ، وتفسيره: أنّ أحدهم إذا شرب وجدَ آخرَ كأسه ريحَ المسك »[٤].

سورة الأعلى

وصحّت الرواية عن الكسائي أنه قرأ بتخفيف الدال المفتوحة من لفظ : (قَدَرَ) ، في قول الحق تبارك وتعالى : « والذي قَدَّرَ فَهَدَى »[٥](٣) .

---

(١) الآية/٢٩ من السورة عينها.

(٢) حجة القراءات ص ٧٤٧ ، وانظر : الكشف ٣٥٩/٢ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٧٩/٢ ، البحر المحيط ٤١٥/٨.

(٣) انظر : السبعة ص ٦٧٦ ، الغاية ص ٢٨٩ ، التيسير ص ٢٢١ ، العنوان ص ٢٠٥ ، الإقناع ٨٠٦/٢ ، النشر ٣٩٩/٢.

(٤) معاني القرآن ٢٤٨/٣ ، وانظر : إعراب القرآن ٦٥٦/٣ - ٦٥٧ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٦٥-٣٦٦ ، حجة القراءات ص ٧٥٤ ، الكشف ٢/ ٣٦٦ ، تفسير الطبري ١٥/ ١٠٧)، البحر المحيط ٤٤٢/٨، تفسير ابن كثير ٥١٩/٤ .

(٥) انظر: السبعة ص ٦٨٠ ، الغاية ص ٢٩١ ، التيسير ص ٢٢١ . العنوان ص ٢٠٧ ، الإقناع ٨٠٨/٢ ، النشر ٣٩٩/٢.

وللعلماء في تخفيف (قَدَر) ملمحان : لفظيّ ومعنويّ :

فاللّفظي : أنّ من قرأ بالتخفيف أراد المطابقة بين اللفظين ، فجعل (قَدَرَ) كـ (هَدَى) من حيث تخفيفهما [١].

والمعنوي : أنّ (قَدَرَ) المخفّف يحتمل معنيين : القُدرة والتقدير ، « القدرة على جميع الأشياء ، والملك لها ، والمعنى فيه : فهدى وأضلّ ، ثم حذف لفظ الضلال ، لدلالة لفظ (الهدى) عليه . ويجوز أن يكون من التقدير ، كما قال : (يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر) [٢]، وقال : (فَقَدَرَ عليه رزقه) » [٣]. ولا يخفى على المتأمل ، أنّ قراءة الكسائي (قَدَرَ) مخففاً قد استوعبت واحتملت من المعاني ، مالم تحتمله قراءة الجمهور بالتثقيل .

سورة الفَجر

ومما صح تفرّد الكسائي به من القراءة ، أنه قرأ بفتح الذال المشدَّدة من الفعل : (يُعذَّبُ) ، وبفتح الثاء من الفعل (يُوثَق) على مالم يُسمَّ فاعله ، وذلك في قول الله تعالى: « فَيَوْمَئذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَه أحَدٌ » (٢٥) « ولا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ »[٤] (٢٦) .

ووجه القول في ذلك : أنّه أضاف الفعلين إلى الإنسان الكافر المعذب الموثق ، والهاء في (عذابه) وفي (وثاقه) تعود إليه، حيث قال الله تعالى قبل ذلك : « يومئذٍ

---

(١) يُنظر : الحجة لابن خالويه ص ٣٦٨.

(٢) سورة الرعد /٢٦.

(٣) الآية من سورة الفجر /١٦ ، والنص من : الكشف ٢/٣٧٠ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن للفراء ٢٥٦/٣ ، إعراب القرآن ٦٧٩/٣ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٦٨ ، حجة القراءات ص ٧٥٨ ، البحر المحيط ٤٥٨/٨ ، تفسير الطبري ١٥٢/١٥ .

(٤) انظر : السبعة ص ٦٨٥ ، الغاية ص ٢٩٢ ، التيسير ص ٢٢٢ ، العنوان ص ٢٠٩ ، الإقناع ٨١٠/٢ ، النشر ٤٠٠/٢.

يتذكر الإنسانُ وأنّىٰ له الذِّكرى » (٢٣) ، وعلى هذا يكون تقدير الكلام : (فيومئذ لا يعذِّب أحدٌ مثلَ تعذيبه ، ولا يوثق أحدٌ مثلَ إيثاقه) ، فرفع (أحدٌ) ، لأنه مفعول مالم يسمَّ فاعله ،و « أقام (العذاب) مقام (التعذيب) ، و (الوَثاق) مقام (الإيثاق) كما استعملوا (العطاء) في موضع (الإعطاء) . والعذاب والوثاق اسمان وقعا موقع مصدرين ، وذلك مستعمل في كلام العرب » [١].

سورة القَدر

وفيها آخر حرف تفرّد الكسائي به مخالفاً سائر القراء السبعة ، ذلك هو قراءته بكسر اللام من لفظ : (مَطْلِعِ) ،في قول الباري جل وعلا عن ليلة القدر : « سلامٌ هي حتى مَطْلَع الفجر » [٢](٥) .

وأعدل ما يُقال في توجيه ذلك : أنّ (مطلَعِ) بفتح اللام وكسرها ، لغتان مشهورتان صحيحتان، نطقت بهما العرب وسُمعتا منها .

جاء في اللسان :« طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلُعُ طُلُوعاً و مطلَعًا ومطلِعًا، فهي طالعة ، وهو أحد ما جاء من مصادر (فَعَلَ - يَفْعُلُ) على (مَفْعِل)، ومطلَعاً - بالفتح - لغة وهو القياس ، والكسر الأشهر » [٣].

---

(١) الكشف ٣٧٣/٢ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ٢٦٢/٣ ، ٢٨١ ، إعراب القرآن ٧٠٠/٣ ، الحجة لابن خالويه ص ٣٧١ ، حجة القراءات ص ٧٦٣ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٥١٣/٢ ، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٨٧/٢ ، البحر المحيط ٤٧٢/٨ .

(٢) انظر : السبعة ص ٦٩٣ ، الغاية ص ٢٩٣ ، التيسير ص ٢٢٤، العنوان ص ٢١١ ، الإقناع ٨١٣/٢ ، النشر ٤٠٣/٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور (٢٣٥/٨-طلع).

وقال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : « وقد كسروا المصدر في هذا كما كسروا في (يفعَل)، قالوا : أتيتك عند مطِلع الشمس ، أي عند طلوع الشمس . وهذه لغة بني تميم ، وأما أهل الحجاز فيفتحون .

وقد كسروا الأماكن في هذا أيضًا ، كأنهم أدخلوا الكسر أيضًا كما أدخلوا الفتح . وذلك : المنبِت ، والمطلِع لمكان الطلوع. وقالوا : البصرة مسقِط رأسي ، للموضع ، والسقوط المسقَط» [١].

على أنّ من المفيد - هنا - التذكير بما مر بنا قريبًا من أنّ العرب قد تضع الأسماء مواضع المصادر ، كما قال جل ثناؤه : « إلى الله مَرْجِعُكُم » [٢] أي : رجوعكم ، وقال عزّ وجل : « ويسألونك عن المحيض » [٣] أي : الحيض [٤].

ويقرّر يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، هذه الحقيقة وذلك حيث يقول : « وقرأه العوام[٥] بفتح اللام (مطلَع). وقول العوام أقوى في قياس العربية ، لأنّ المطلَع - بالفتح -هو : الطلوع ، والمطلِع : المشرق ، والموضع الذي تطلع منه ، إلا أنّ العرب يقولون : طلعت الشمسُ مطلِعاً ، فيكسرون ، وهم يريدون : المصدر ، كما تقول : أكرمتك كرامة ، فتجتزئ بالاسم من المصدر . وكذلك قولك : أعطيتك عطاءً ، أجتزى فيه بالاسم من المصدر » .[٦]

هذا ، وقد أيّد أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ذلك ، فنصّ على أنّ « العرب تضع الأسماء مواضع المصادر ، ولذلك قرأ مَنْ قرأ : (هي حتى مطلِع الفجر) ، لأنه ذهب بالمطلِع - وإن كان اسماً - إلى الطلوع مثل : المطلَع ، وهذا قول الكسائي والفراء » [٧].

---

(١) الكتاب (٤/ ٩٠- هارون).

(٢) سورة هود/٤.

(٣) سورة البقرة /٢٢٢.

(٤) انظر : أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٤٥.

(٥) هذا تعبير الفراء ، إذا أراد : عامة القراء أو جمهور القراء.

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، (١٦٩/٢ - طلع) ، لسان العرب (٢٣٥/٨ - طلع).

ومن ثَمَّ فلا التفات إلى ما قاله أبو جعفر النحاس ، (ت ٣٣٨ هـ) في سهوه في إطلاق حكم الشذوذ على القراءة بالكسر حيث قال : « وأيضاً فإنّ قراءة الجماعة الذين تقوم بهم الحجة (حتى مطلَع) ، هذا في قوته في العربية ، وشذوذ الكسر وخروجه من القياس»[١]! فأنّى له ذلك ، وقد تقدم ما يثبت شذوذ قوله ، وأنّه تحكُّم لا داعي له .

بل كيف يُحكم بشذوذ قراءة سبعية متواترة ، تكلمت بها العرب حتى أضحت لغة من لغاتهم الكثيرة ، كما ثبت لدى كل منصف بما سقته من نصوص أئمة العربية السابقين الفحول، الذين أصّلوا الأُصول ، والذين حفظ الله بهم هذه اللغة المجيدة من الأُفول ، كسيبويه والفراء ، فضلاً عن بعض أئمة القراء [٢]، ممّن لا قِبَلَ للنحاس بهم .

وأقول أيضًا : وفيما تقدّم ذكره عن الأئمة - رحمهم الله - نردّ على الأخفش (ت ٢١٥ هـ) إطلاق قوله : « وقال : (حتى مطلَع الفجر) ، يريد : الطلوع ، والمصدر ها هنا لا يُبنى إلاّ على (مفعَل) » [٣]. فقد تبيّن عن العرب غير ذلك [٤]، والله الموفق والمستعان.

---

(١) إعراب القرآن ٣/٧٤٦.

(٢) فقد وردت القراءة بكسر اللام من (مطلع) عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) من رواية عبيد عنه كما في (السبعة) ص ٦٩٣ ، وأيضاً فقد قرأ بذلك خلف البزار (ت ٢٢٩ هـ) وقراءته - كما هو معلوم - من القراءات العشر المتواترة ، هذا إضافةً إلى ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) و سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ) ، وغيرهم ، انظر : معجم القراءات القرآنية ، د. أحمد مختار عمر و د. عبد العال سالم مكرم ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، مطبوعات جامعة الكويت، ٨/٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٣) معاني القرآن ٢/٥٤٢.

(٤) وانظر في تأييد هذه المسألة - إضافةً إلى ما ذُكر من مصادر -:
العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، ط دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ م ، ٢/١١ ، أدب الكاتب ص ٤٤٥ ، المقتضب ٢/١٢٢-١٢٣ ، تفسير الطبري ١٥/٢٦١ ، حجة القراءات ص ٧٦٨ ، الكشف ٢/٣٨٥ ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٠ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٢٤، إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٢٩١ ، البحر المحيط ٨/٤٩٧.

الباب الثاني
الاصول الصوتية التي تميزت بها قراءة الامام الكسائي

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الاول : الإدغام.

الفصل الثاني: الإمالة.

الفصل الثالث : الإشمام

الباب الثاني

الأُصول الصَّوتية التي تميّزتْ بها قراءةُ الكسائي

تمهيد

تميزت قراءة الإمام الكسائي بخصائصَ وأصولٍ صوتيةٍ ، جعلتها ظريفةً فريدةً بين سائر القراءات القرآنية.

على أنّ هذا التميّز يدل على رسوخ قدم صاحب هذه القراءة ، وعُلُوِّ كعبه في علوم العربية وأصواتها ، كما يظهر لكل من اشتغل في هذا العلم ومارس فنونه ، مما أدّى إلى تبوّؤ الإمام الكسائي منزلةً خالدةً ، جعلته سابعَ سبعةٍ من أئمة القراءة المختارين ، في قَصَباتِ أمصار المسلمين ، المجمَعِ على إمامتهم وقراءاتهم ، وجلال شأنهم ، وعظيم قدرهم.

والباحث في مثل هذا الموضوع ، عندما يريد أن يسلّط الضوء على الأصول الصوتية المطّردة في قراءة الكسائي ، يهمُّه أن يختار منها أهمّها وأبرزها وأميزها ، ولا سيما تلك الأصول التي تفرَّد بها ، ولم يشاركه فيها أحد من سائر القراء السبعة المشهورين ، ذلك أنّ هذه الأُصول ، تشكّل النواة والمحور الذي تدور في فلكه حروفُ الإمام الكسائي – رحمه الله–.

ولّما عرضتُ إلى تناول هذه الخصائص الصوتية بعد الاستقراء والتتبع ، رأيتُ أن أبحث أهمَّ ثلاثةٍ منها ، وأكثرَها شيوعاً وذيوعاً ، وهي : الإدغام ، والإمالة ، والإشمام ، بكل جزئياتها ومتعلقاتها وفق منهج استقصائي تتبعيٍّ دقيقٍ ، أُلخصه بما يأتي :

١- سبرُ ما رُوي عن الكسائي من الأصول الصوتية المذكورة ، ملتزماً بما رواه أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) في كتابه الفذّ (التيسير) ، موثّقاً بأوثق الكتب ، مع الإشارة - غالباً - إلى المواضع التي وافق فيها الكسائيُّ شيخَه حمزةَ الزيات (ت ١٥٦ هـ) أو غيرَه من القراء السبعة أو الراوين عنهم.

٢- التركيز على ما تفرّد به الكسائي من بين سائر القراء السبعة.

٣- بحث هذه الخصائص ودراستها في ضوء كتب اللغة والنحو ، والكتب التي صُنِّفت- أساساً - للاحتجاج للقراءات وتعليلها.

٤- العناية بآراء المحدَثين من علماء الأصوات ، ولا سيما في المواطن التي لا مناص من المقابلة فيها بين القديم والحديث.

٥- التعرّض إلى كل المصطلحات الصوتية الواردة في النصوص المنقولة من بطون الكتب بالشرح والبيان ، والموازنة بينها وبين ما عليه الأصواتيون المحدَثون.

٦- تتبُّع ما أُورده من آراء ونقولٍ ، بالنقد والتعليق ، وترجيح الراجح منها بالدليل والبرهان ، كلّما اقتضى الأمر ذلك.

هذا ما أبغيه من جرّاء هذا الباب ، مؤمِّلاً أن يتم بحث سائر القضايا المتعلقة بقراءة الكسائي ، وفق المنهج المذكور ، فإن تمَّ لي ما أردتُ ، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

الفصل الاول

الإدغـــــــام

الفصل الاول

الإدغـــــــام

تمهيد :

الإدغام في أصل اللغة يدل على معانٍ عدّة ، منها : دخول شيء في مدخل ما ، ومن ذلك قولهم : أدغمت اللّجام في الفرس : إذا أدخلته فيه ، ومنه الإدغام في الحروف [١] . وأدغم الحرف في الحرف : أدخله [٢] .

أما الإدغام في عُرف القراء واصطلاحهم فهو : « النطق بالحرفين حرفاً كالثاني مشدَّداً.

وفائدته : سهولة النطق بالحرفين.

وسببه : التماثل ، والتجانس ، والتقارب .

ويعنون **بالتماثل** : اتحاد الحرفين مخرجًا [٣] وصفةً [٤] ، كالباء مع الباء.

وبالتجانس : اتحادهما مخرجاً لاصفةً ، كالطاء مع التاء.

وبالتقارب : تقاربهما في المخرج أو في الصفة ، أو فيهما ، كالدال مع السين أو

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط دار الكتب العلمية - إيران ، بدون تاريخ ، ٢/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) القاموس المحيط . للفيروزأبادي ، مادة (دغم) ص ١٤٣٠.

(٣) المخرج : هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف . انظر : التحديد في الإتقان والتجويد ، لأبي عمرو الداني، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٨م ، دار الأنبار - بغداد ، ص ١٠٤ .

(٤) الصفة : هي كيفية مصاحبة لتكوّن الحرف في المخرج ، سواء أكانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءاً مهماً في تكون الصوت وتميزه عن غيره. انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري ط١ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م ، مطبعة الخلود - بغداد ص ١٢٥ .

الشين [و] [١] كاللام مع الراء.

وشرطه : التقاء المدغَم بالمدغم فيه خطًا ، وأن يكون المدغَم فيه أكثرَ من حرف ، إذا كان الإدغام في كلمة ...

ثم إن كان الحرف المدغَم متحركاً سُمّي الإدغام: **كبيراً** ، وإن كان ساكناً سُمي : **صغيراً**»[٢].

ثم إنّ القراء قسَموا **الإدغام الصغير** إلى ثلاثة أقسام : **واجب** ،**وممتنع** ، **وجائز** .

١- **فالواجب**: إذا التقى حرفان مثلان أو متجانسان أو متقاربان ، أو لهما ساكن ، نحو : (ربحتْ تجارتهم) [٣] ، (قالتْ طائفة)[٤] ، (قَدْ تبيّن) [٥] ، بشرطين : أحدهما : أن لا يكون أول المثلين حرفَ مدٍّ ، نحو (في يَوْمٍ) [٦] ، والشرط الآخر : أن لا يكون أول المتجانسين حرفاً من حروف الحلق (الهمزة والهاء، والعين والحاء ، والغين والخاء) ، نحو : (فاصفحْ عنهم) [٧].

٢- **والممتنع** : وهو أن يتحرك أول الحرفين ويسكن ثانيهما ،نحو: (أضْلَلتم)[٨].

٣- **والجائز** : وهو المراد هنا ، وعليه خلف القراء ، وينحصر في ستة مباحث، هي :

---

(١) زدتُ هذه الواو ، لأنّ سياق الكلام لابد له منها ، وغالب الظن أنها سقطت من الطباعة سهواً من الأصل .

(٢) إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ، لعلي بن محمد الضباع ص٣٢ ، وانظر : كتاب سيبويه (٤٣٧/٤- هارون) ، والخصائص ، لابن جني ، ١٣٩/٢ وما بعدها ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١٤٣/١ .

والنشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ٢٧٤/١ - ٢٧٥

(٣) سورة البقرة (١٦) .

(٤) سورة آل عمران (٧٢) .

(٥) سورة البقرة (٢٥٦) .

(٦) سورة المعارج (٤)

(٧) سورة الزخرف (٨٩)

(٨) سورة الفرقان (١٧) .

إدغام ذال (إذْ) ،ودال (قَدْ)، وتاء التأنيث ، و لام (هَلْ) و (بَلْ) ، وحروف قَرُبت مخارجها ، وستأتي مفصلةً - إن شاء الله -[١] .

أما علماء الأصوات المحدَثون فيقولون: إنّ « الإدغام بنوعيه [٢] عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني ، بحيث يُنطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني ، وهو لهذا تأثّر رجعي [٣] ، وهو جائز الوقوع في كل صوت من أصوات اللغة العربية ، غير أنه نادر بين أصوات الحلق ، لأنها ليست بأصل للإدغام كما يقول (المبرد) في (المقتضب) [٤] . ولعل السر في إظهار النون ، ولام التعريف ، مع أصوات الحلق ، أنّ هذه الأصوات غير مستعدة بطبيعتها لفناء الأصوات فيها » [٥].

والذي يعنينا هنا ما ورد في قراءة الإمام الكسائي من الإدغام، حيث ورد عنه الإدغام الصغير - وهو : ما كان الحرف المدغَم منه ساكنا- في حروف عدّة ، انفرد في بعضها ووافقه بعض الأئمة من القرأة في بعضها الآخر .

على أني قبل أن ألج في هذا الباب ، لا بد أن أُبيّن أنّ القراء قد فرّعوا الإدغام الصغير الجائز على الحروف التي يطّرد إدغامها ، فذكروا إدغام ذال (إذْ) في ستة أحرف ، هي : التاء والجيم والدال والزاي والسين والصاد ، مبيّنين خُلف القراء السبعة في ذلك إدغاماً وإظهاراً .

---

(١) قارن بـ : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، لأحمد الدمياطي البناء ، ص ٢٧ .

(٢) أي الصغير والكبير .

(٣) أذكّر بأنّ من المقرر عند علماء الأصوات المحدَثين أنّه قد يتجاور صوتان لغويان ويتأثر أحدهما بالآخر ، فإذا تأثر الصوت الأول بالثاني سُمّي التأثر رجعياً (regressive) ، وإذا تأثّر الصوت الثاني بالأول سُمّي التأثر تقدمياً (progressive) . انظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس، ص ١٨٠ .

(٤) وهذه عبارة(المبرد) : " ولاتُدغم الحاء في الهاء ، لأنّ الحاء أقرب إلى اللسان ، ولأنّ حروف الحلق ليست بأصل للإدغام ، لبعدها من مخرج الحروف ، وقلّتها ".المقتضب ، بتحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ، ط عالم الكتب - بيروت ، بدون تاريخ ، ١/ ٢٠٧ .

(٥) الأصوات اللغوية ، ص١٨٧ .

وذكروا كذلك إدغام دال (قَدْ) في ثمانية أحرف ، وهي : الجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء .

وذكروا أيضاً إدغام (تاء التأنيث)في ستةأحرف . وهي : الثاء والجيم والزاي والسين والصاد والظاء . ثم ذكروا إدغام لام (هَلْ) و (بَلْ) عند ثمانية أحرف . هي : التاء ، والثاء و الزاي والسين والضاد والطاء والظاء والنون . ثم يذكرون بعد ذلك حروفًا قَرُبت مخارجها فيُدغم بعضها في بعض ، وعلى ذلك جرت عادتهم [١].

() انظر : العنوان في القراءات السبع ، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرىء الأنصاري الأندلسي ، ص٥٦-٥٧، والإقناع في القراءات السبع ، لأبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش الأنصاري ، ٢٣٨/١-٢٤٤ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القر اءات السبع ، لأبي شامة المقدسي ، ص ١٨٣ -١٨٤ علي أنني لم أتطرق في هذا الفصل إلى أحكام الإدغام الصغير (الواجب) عند جميع القراء ، كأحكام إدغام المثلينوالمتقاربين والمتجانسين والنون الساكنة والتنوين وغيره ، لأنّ ذلك من المتفق عليه لجميع القراء ، ولايكاد يخلو كتاب في علم (التجويد) من ذكره ، انظر مثلاً : ، الرعاية لتجويد القراءة ، لمكي القيسي، ص ٢٦٣ -٢٦٤ ، التحديد في الإتقان والتجويد ، للحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ص ١١٤ -١١٥ وهداية القاريء إلي تجويد كلام الباريء ، لعبد الفتاح المرصفي ، ط١ ١٤٠٢ هـ =١٩٨٢م ، السعودية ، ص٢٣٥-٢٤٢.

مذهب الكسائي في إدغام ذال (إذْ) :

أدغم الكسائي - رحمه الله - ذالَ (إذْ) في خمسة أحرف ، هي : التاء والدال والزاي والسين والصاد ، حيثما ورد في القرآن الكريم [١] . وذلك نحو : (إذْ تَبَّرأ) [٢] ، و (إذْ دَخَلُوا)[٣] و (إذْ زَيَّن)[٤] و (إذْ سَمعتموه)[٥] ، و(إذْ صَرَفْنَا)[٦] . ووافقَهُ في ذلك خلاّد[٧] عن حمزة ، بيد أنّ الكسائيَّ وخلاّداً لم يُدغما ذال (إذْ) عند الجيم خاصّة [٨] ، وهي الحرف السادس من الحروف التي تُدغم فيها ذال (إذْ) - كما مر - .

وحجة إدغام الذال من (إذْ) في التاء « أنهما تواخيا في المخرج ، وفي إدغام (لام التعريف) فيهما ، وأنهما تقاربا في القوة والضعف . فالذال فيها جهر (*) يقوّيها ، وفيها رخاوة تضعفها ، وكذلك التاء فيها شدّة تقوّيها ، وفيها همس يضعفها ، وقد تقاربا في القوة والضعف فجاز الإدغام لذلك . والإظهار حسن ،لأنه الأصل ، ولأنهما منفصلان ،

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ص ٤١-٤٢.

(٢) سورة البقرة (١٦٦) .

(٣) سورة الحجر (٥٢) .

(٤) سورة الأنفال (٤٨) .

(٥) سورة النور (١٢) .

(٦) سورة الأحقاف (٢٩) .

(٧) هو خلاّد بن خالد ، أبو عيسى ، الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي ، إمام في القراءة ، ثقة عارف محقق ، أخذ القراءة عرضاً عن سُليم ،- وهو من أُضبط أصحابه - ، عن حمزة الزيات ، وروى عنه القراءة عرضاً أحمد بن يزيد الحلواني ومحمد بن شاذان الجوهري ، وهو من أضبطهم ، ومحمد بن الهيثم قاضي عكبرا وغيرهم (توفي سنة ٢٢٠ هـ) ، انظر: غاية النهاية (٢٧٤/١) .

(٨) انظر : تحبير التيسير ، لابن الجزري ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٤ هـ =١٩٨٣ م ص٦٣ .

(*) الجهر والهمس والشدة والرخاوة ، صفات رئيسة لأصوات حروف العربية،فأما (الجهر) عند القدماء فهو : منع جريان النفَس عند النطق بالحرف ، لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه . هذا هو

=

. . . . . .

=

ضابط علماء الأصوات القدماء للجهر ، أما ضابط المحدَثين له ، فإنّه يختلف نظراً للتقدم العلمي في مجال الأجهزة الصوتية الحديثة ، فالصوت المجهور عند المحدَثين هو : الذي يصحبه صوت خارج من الحنجرة ، من اهتزاز الوترين الصوتيين ، والحروف المجهورة عند القدماء هي حروف الهجاء سوى الحروف المهموسة ، المجموعة في قولنا (سكت فحثه شخص)، وعند المحدثين كذلك إلاّأنهم يستبعدون (الهمزة) و (القاف) و (الطاء) تبعاً لضابطهم فيه .

وأما (الهمس) فهو يختلف أيضاً بين مفهوم القدماء منه والمحدثين ، وهو - اتفاقاً - ضد (الجهر)، فهو- إذن - عند القدماء : جريان النفس عند النطق بالحرف ، لضعفه ، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه .

والصوت (المهموس)عند المحدثين هو : الذي لايهتز معه الوتران الصوتيان ، ولايُسمع لهما رنين حين النطق به . والحروف المهموسة عند القدماء مجموعة في عبارة (سكت فحثه شخص) - كما سبق- ، وأما المحدثون فإنهم يضيفون حروف (أقط) الهمزة والقاف والطاء ، وعلّة الاختلاف بين القدماء والمحدثين في تعيين الحروف المجهورة والمهموسة ، هو اختلاف ضابط كل فريق منهم للجهر والهمس على ما تقدم بيانه .

وأما مدلول (الشدّة) عند القدماء والمحدثين ، فهو : منع جريان الصوت مع الحرف عند اللفظ به ، لاشتداد لزومه لموضعه وقوته . وحروفه عند القدماء مجموعة في كلم (أجدت كقطب) .

وأما (الرخاوة) - وهي ضد (الشدة)- . فهي : جريان الصوت مع الحرف عند النطق به ، لضعف الاعتماد عليه ، وحروفه هي سائر حروف الهجاء سوى الشديدة والحروف (المتوسطة) بين الشدة والرخاوة ، وهي المجموعة في قولنا (لِنْ عمر) .

والمحدَثون يُعبّرون عن الصوت الشديد بـ (الانفجاري) والرخو بـ (الاحتكاكي) ، كما أنهم يختلفون مع القدماء في تعيين الحروف الشديدة والرخوة والمتوسطة التي قد يعبرون عنها بـ (المائعة)، وذلك مبني على ماأجروه من تجارب اختبارية على ما سمعوا من لهجات عاميّة ، وما ينبغي لهم ! ، إذ كان عليهم أن يُجروا هذه التجارب ويعقدوا الدراسات على اللفظ العربي الصحيح الفصيح ، كما يلفظ به الناقلون المجيدون المتقنون من قراء القرآن الكريم ، لتكون دراساتهم منسجمةً مع أصالة العربية ، وخصائصها الصوتية الحقيقية ، المحفوظة بحفظ الله تعالى أعلى وأرقى نصٍّ عربيٍّ وصل إلينا متواتراً، " بلسان عربي مبين " (سورة الشعراء ١٩٥) ألا وهو القرآن العظيم ، الذي " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (سورة فصلت ٤٢) ، وعلى هذا ينبغي التعويل في الدراسة الصوتية العربية ، لابل الدراسة اللغوية العربية كافة ، لاعلى لهجاتٍ عاميةٍ ، داخلها الدخيل ، وعزّ فيها الصوت الأصيل . !

=

ولأنّ الجهر الذي في الذال أقوى من الشدّة التي في التاء » [١] .

وحجةُ إدغام ذال (إذْ) في الدال « أنهما من حروف الفم ، وأنهما اشتركا في إدغام لام التعريف فيها ، وأنهما مجهوران ، فحَسُن الادغام لاشتراكهما في ذلك ، وزاده قوّةً أنّ الدال من الحروف الشديدة ، والذال من الحروف الرخوة ، والرخاوة أضعف من الشدّة ، فإذا أُدغمت انتقلت الذال من الرخاوة إلى الشدّة ، وذلك تقوية للحرف ، فحَسُن الإدغام وقوي»[٢] .

وهنا أمر نلحظه عند كثير من العلماء الذين يعلّلون ما روي صحيحاً من قراءات قرآنية ، وهو أنّهم تارةً يرجّحون حكمًا ما ، وتارةً يضعّفون حكمًا آخر ، من خلال إنزال تلك المرويات على أحكام العربية وتعليلها وتوجيهها وفقًا لذلك ، وهذا أمر - كما أرى - غير مقبول ، لأنّ الرواية الصحيحة مناط القراءات ، والقراءة متى صحت روايةً كانت حُجةً على العربية ، وليست العربية بحجةٍ عليها ، بغض الطرف عن تحسين بعض العلماء لقراءةٍ ما أو تضعيفه وتقبيحه ،ولأنّ ما كان حسنًا في لهجةِ قوم، ربما كان قبيحًا في لهجة قوم آخرين ، وذلك تبعًا للبيئات اللغوية القبلية ، وعادات العرب في كلامها والله أعلم .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « والإدغام أو تأثّر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ، ومزجها بعضها ببعض ، فلا يُعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به .. فإذا تذكرنا أنّ البيئة العراقية قد نزح إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممن عاشوا في البيئة الحجازية

=

وانظر في مداليل هذه المصطلحات : التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، ص٩٧- ٩٨ .
وأصوات العربية بين التحول والثبات ، للدكتور حسام سعيد النعيمي ، ص٢٧-٢٨
والأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ص٢٠ ، ٢٣ - ٢٥ .

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب القيسي . ١/ ١٤٧

(٢) المصدر السابق ، ١/ ١٤٨

، أمكننا أن نتصوّرأنّ الإدغام كان أكثر شيوعًا في لهجات القبائل النازحة إلى العراق . أما البيئة الحجازية فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيًّا ، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها » [١] إلى أن يخلص إلى القول : « نستطيع بعد هذا أن نستنبط أنّ القبائل التي أثّرت في البيئة العراقية كانت تميل لهجاتها بوجهٍ عامّ إلى الإدغام ، وأنّ قبائل الحجاز كانت تميل إلى الإظهار .

وقد عرفنا من قبل أنّ البيئة العراقية قد تأثّرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها . وعلى هذا فيمكن الحكم على أنّ القبائل التي عُرفت بالإدغام هي : تميم ، طيء ، أسد ، بكر بن وائل ، تغلب ، عبد القيس وأنّ القبائل التي آثرت الإظهار هي:

قريش ، ثقيف ، كنانة ، الأنصار ، هُذيل » [٢] .

والذي يعنينا هنا الكسائي وقراءته ، فإذا طبّقنا ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس عليه، وعلى ما روي من قراءته ، نجد أنّه أسديُّ الولاء كوفي البيئة [٣] ، فإذا كانت البيئة العراقية بوجه عام تميل إلى الإدغام تبعًا للهجات القبائل النازلة فيها ، فمن الطبيعي أن يُكثر الكسائي في قراءته من الإدغام ، بحسب بيئته الكوفية العراقية ، وبحسب قبيلته التي ينتمي إليها ولاءً ، وهي قبيلة (أسد) .

ومما يؤيّد ما تقدّم ماترويه بعض كتب القراءات من أنّه « قيل للكسائي : إنّك تُميل ما قبل هاء التأنيث ؟ فقال : هذه طباع العَرْصَة ، قال الداني : يعني بذلك أنّ الإمالة هنا لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب ، يقولون : أخذت أخذة ، وضربت ضربة » [٤] . فقول الكسائي – رحمه الله – : (هذه طباع العَرْصَة) يريد بذلك بيئته اللغوية التي نشأ فيها، ودرج على سنن كلامها ، لأنّ (العَرْصَة) بوزن (الضَّرْبَة) هي

---

(١) في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ٧١- ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٣) انظر ترجمته في مطلع الدراسة .

(٤) إبراز المعاني ، لأبي شامة المقدسي ، ص ٢٤٢ .

البقعة الواسعة بين الدور، وتُجمع على (عِرَاص و عَرَصَات وأعْرَاص) [١] .

وقد ذَهَل الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي عندما ظنّها (العَرْضَة) - بالضاد المعجمة - ! ، كما وجدها في (إبراز المعاني) لأبي شامة المقدسي ، اعتماداً على نسخته المطبوعة من الكتاب المذكور ، ثم رجّح أنّها تصحيف لكلمة (العرض) بمعنى جانب البلد وناحيته [٢] ! ، وقد تبيّن أنّ الأمر ليس كما قال ، وكان يكفيه أن يزيل إعجام (الصاد) الذي وقع في الطباعة لا بدّ سهواً ، لأنّ هذا أقرب إلى طبيعة رسم الكلمة ، وأولى فيما يرشد إليه المعنى ، على ما فيه من تجنب التكلّف والتأويل وتحميل الأقاويل.

بقي أن أشير إلى أنّ هذه اللفظة - (العَرْصة) - قد وردت مصحَّحةً في الطبعة الجديدة للكتاب المذكور [٣] ، وعليها كان اعتمادي في هذه السطور ، وبالله التوفيق في كل الأمور .

وعودة الآن إلى الإمام الكسائي وما قيل في تعليل إدغامه ذال (إذْ) في الزاي ، حيث « أنّ الزاي أقوى من الذال ، للصفير [٤] الذي فيها ، وقد اشتركا في الجهر والرخاوة، وفي الخروج من الفم وفي إدغام لام التعريف فيهما ، فلما كان الإدغام يزيد الزاي قوةً

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، مادة (عرص) ص ٨٠٣ .

(٢) انظر : الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط٢ ، سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م ، ص ٢٤٠ حاشية (٢) .

(٣) وهي بتحقيق إبراهيم عطوة عوض ، الطبعة الجديدة ، سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م ، وجدير بالذكر أنّ هذة الكلمة (العرصة) وردت في(النشر في القراءات العشر)، بتصحيح ومراجعة العلامة علي محمد الضباع (٨٢/٢) ، وردت بلفظ (العربية)، وأرى تصحيحها إلى (العرصة) ، ولاسيما أنّ النشر في طبعته الحالية مليء بالتصحيفات لمن تأمله !.

(٤) الصفير صفة لثلاثة أحرف هي : الزاي والسين والصاد ،« سُمّيت بذلك ، لأنّ الصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير ، فالصفير من علامات القوة ، والصاد أقواها ، للإطباق والاستعلاء اللذين فيها، والزاي تليها لجهر فيها ، والسين أُضعفها لهمس فيها » .
التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، ص ١٠١ .

بالصفير ، حَسُنَ إلادغام وقَوِي» [١].

وأما حجّة إدغامه ذال (إذْ) في السين هو « أنّ السين فيها ضعف وقوة ، والضعف فيها مكرر ، لأنها مهموسة رخوة ، وقوتها أنّها فيها صفير ، والذال فيها رخاوة تضعفها كالسين ، وفيها جهر يقوّيها يوازن الصفير الذي في السين ، والصفير أقوى ، فجاز الإدغام ، لتقاربهما في القوة والضعف ، ولأنهما من حروف الفم ، ولأنّ لام التعريف تُدغم فيهما . و الإظهار أحسن فيهما ، ... لنقلك الذال عند الإدغام إلى الهمس ، ولأنه الأصل ، ولأنهما منفصلان. » [٢] .

وأدغم الكسائي - رحمه الله تعالى - ذال (إذْ) في الصاد ، ووجه ذلك في العربية « أنّ الصاد أقوى من الذال بالصفير والإطباق [٣] والاستعلاء والتفخيم [٤] اللواتي فيها ، فإذا أدغمتَ فيها الذال ، أبدلتَ من الذال حرفًا أقوى منها بكثير ، فحَسُنَ الإدغام لذلك معها ، أنهما قد اشتركا في المخرج، واشتركا في إدغام لام التعريف فيهما ، فزاد ذلك في الإدغام قوة » [٥] .

وأما وجه إظهار الكسائي - رحمه الله - ذال (إذْ) عند الجيم خاصّة ، فيمكن تلخيصه فيما يأتي [٦] :

---

(١) الكشف ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، ١/ ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ١/ ١٤٩ .

(٣) الإطباق :هو إطباق وتلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند التلفظ بالحرف ، وهي صفة للصاد والضاد والطاء والظاء ، وهو أخص من الاستعلاء ، وأبلغ منه . انظر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، لمكي محمد نصر ، ص٥٠ .

(٤) والاستعلاء : هو ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الاعلى ، وحروفه مجموعة في لفظ (خص ضغط قظ)، وهي حروف التفخيم . انظر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، ص٤٩ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ، لمكي القيسي ، ١/ ١٤٧ - ١٤٨ .

(٦) انظر : المصدر السابق ، ١/ ١٤٨ وإبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة المقدسي ، ص ١٨٦

أولاً : لأنّ الإظهار هو الأصل.

ثانيًا : لأنّ الجيم ليست كباقي الحروف التي تُدغَم فيها ذال (إذْ) من حيث القرب من الذال مخرجًا .

ثالثًا : لأنّ لام التعريف لا تُدغم في الجيم.

رابعًا : لانفصال (إذْ) عن الجيم بعدها في أي كلمة ، نحو: (إذْ جَعَلْنَا)[١] مثلاً .

مذهب الكسائي في إدغام دال (قَدْ) :

اختلف القرأة السبعة في إدغام دال (قَدْ) في ثمانية أحرف هي : الجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء .

فمنهم من أظهرها عند الحروف الثمانية ، ومنهم من أدغم في بعضها دون بعض ، ومنهم من أدغمها في الثمانية قولاً واحداً [٢] ، وهما - إضافةً إلى الكسائي - : أبو عمرو ابن العلاء البصري [٣] ، وحمزة الزيّات [٤] - رحم الله الجميع - .

وأما وجه إدغام الدال من (قدْ) في الجيم ، والذال في نحو قوله تعالى : « ولقدْ جَآءَهُم » [٥]، وقوله سبحانه : « ولقَدْ ذَرَأْنَا » [٦] هو القرب في المخرج بين الدال من جهة ، والجيم والذال من جهة أخرى ، إضافةً إلى اشتراك الدال والجيم في صفتي : الجهر والشِّدة .

---

(١) سورة البقرة (١٢٥) .

(٢) انظر : سراج القاريء المبتدي وتذكار المقريء المنتهي ،لأبي القاسم علي بن عثمان بن القاصح البغدادي، ط دار الفكر - بيروت ، سنة ١٤٠١ هـ =١٩٨١ م ، ص٩٤- ٩٥ .

(٣) زبّان بن العلاء بن عمار ، المازني، التميمي ، البصري ، أحد القراء السبعة ، ليس في القراء السبعة ، أكثر شيوخاً منه ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد ، توفي سنة ١٥٤ هجرية. (انظر : غاية النهاية ١/ ٢٨٨، تهذيب التهذيب ١٩٧/١٢ ، ميزان الاعتدال ٥٥٦/٤) .

(٤) سبقت ترجمته في مطلع الدراسة عند الكلام على شيوخ الكسائي ص ١٧ .

(٥) سورة النحل (١١٣) .

(٦) سورة الأعراف (١٧٩) .

ومما يزيد قوة إدغام دال (قدْ) في الذال، أنّ لام التعريف تُدغم فيها بخلاف الجيم ، فزاد ذلك إدغامها قوةً [١].

والقول في إدغام دال (قَدْ) في الزاي مثل ذلك ، إلا أنّ الإدغام يزداد فيها قوةً ، بالصفير الذي فيها ، على أنّها رخوةٌ والدال مجهورةٌ[٢] . وذلك في نحو قوله تعالى : « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمآءَ .. » [٣].

وأما حجّة الإدغام في الصاد والضاد والظاء ، في مثل قوله تعالى : « ولقدْ صَرَّفْنَا في هذا القرآنِ للنَّاسِ مِنْ كُلّ مَثَل .. » [٤] ، وقوله سبحانه : « قَدْ ضَلُّوا وما كانوا مهتدين»[٥] ، وقوله جلّ وعلا : « .. وَمَنْ يفعلْ ذَلك فقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه .. » [٦] فهي الاشتراك في المخرج مع الدال ، وإدغام لام التعريف فيها جميعًا ، على أنّ الدال مجهورة بالنسبة إلى الصاد التي هي مهموسة ، بيد أنّها أقوى من الدال كثيراً ، بالاستعلاء والاطباق والصفير ، الذي اجتمع فيها . وكذلك الأمر في الضاد والظاء ، غير أنهما مجهورتان كالدال ، فجاز إدغامها فيهما ، لأنهما أقوى من الدال بالاستعلاء والاطباق اللّذين فيهما ، فبإدغام الدال في الضاد والظاء تنتقل إلى حرف أقوى منها بالصفات التي ذكرتُ ، فجاز الإدغام لذلك وحَسُن [٧].

وأما إدغام دال (قَدْ) في السين ، في نحو قول الحق سبحانه : « لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قولَ الذينَ قالوا .. » [٨]، فقد علّق عليه ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) بقوله : « يُقرأ بإدغام الدال

---

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ١/ ١٤٤

(٢) انظر : المصدر السابق ، ١/ ١٤٤ .

(٣) سورة المُلك (٥) .

(٤) سورة الكهف (٥٤) .

(٥) سورة الأنعام (١٤٠) .

(٦) سورة البقرة (٢٣١) .

(٧) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ١/١٤٥

(٨) سورة آل عمران (١٨١) .

في السين وإظهارها . وكان الكسائي يقول : إدغامها أكثر وأفصح وأشهر ، وإظهارها لُكْنة ولَحْن »[١] .

وعن وجه إدغام الدال من (قد) في السين، والشين في مثل قوله تعالى : « .. قَدْ شَغَفَهَا حبًّا.. »[٢]. يحدثنا أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، فيقول : « وحجة مَنْ أدغم دال (قدْ) في السين والشين : المؤاخاة التي بينهما في المخرج ، وفي إدغام لام التعريف فيهنّ ، وأنّ السين قويّة بالصفير الذي فيها ، فهي وإن كانت غير مجهورة ، فالصفير الذي يوازي الهمس والرخاوة اللّذين في الشين [٣] ، التي فيها قوّة التفشّي [٤] ، أو يقرب من ذلك ، فجاز الإدغام في السين وفيه بعض البُعد ، لأنك تبدل من الدال ، وهي مجهورة ، حرفًا ضعيفًا بالهمس الذي فيه والرخاوة ، فإدغام الدال في السين أقوى من إدغامها في الشين ، لأنّ السين فيها صفيرٌ يقوّيها ، ولاصفير في الشين . وإنما جاز إدغامها في الشين ، لما في الشين من التفشّي الذي يقوّيها،والجهر الذي يزول من الدال عند الإدغام ، أقوى من التفشّي الذي في الشين ، فالإظهار عندهما أحسن » [٥].

ولستُ أميل إلى ما ذهب إليه الكسائي – رحمه الله – فيما رواه ابن خالويه عنه – إن

---

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، ص ١١٧.

(٢) سورة يوسف (٣٠) .

(٣) في النسخة المطبوعة التي بين يدي من كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع) لمكي بن أبي طالب القيسي ، بتحقيق الدكتور محي الدين رمضان ، ط٣ ، سنة ١٤٠٤ هـ =١٩٨٤ م ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١/ ١٤٥ ، وردت هذه اللفظة (السين) بالإهمال ! والصواب هو (الشين) المعجمة ، كما يدل عليه سياق الكلام ، ولعله فات المحقق سهواً – والله اعلم – .

(٤) التّفشّي: " هو الانتشار ، فسُمّيت (الشين) بذلك ، لأنّه انتشر صوتها حتى اتصل بمخرج (الظاء)". شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، لأحمد بن محمد بن الجزري ، بتحقيق علي محمد الضباع، ط١، سنة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، مصطفي البابي الحلبي – مصر ، ص ٣٤.
وانظر: الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ، للشيخ خالد الأزهري ، ص ١٥ .

(٥) الكشف ١/ ١٤٥ – ١٤٦ .

صحت الرواية - ، في تلحينه من أظهر دال (قدْ) عند السين ، ولا إلى ما ذهب إليه مكي من تحسين الإظهار عندها ، لأمور منها :

١- ورود الرواية الصحيحة للقراءة القرآنية بالإظهار والإدغام، عن القراء المختارين ، عند جمهور المسلمين . فلا فضل لإحدى القراءات على الأخرى بما أنها منتظمة جميعًا في عقد التواتر ، الذي هو محور قبول القراءة أوردًها، مع موافقتها لرسم المصحف العثماني الإمام [١] .فقد قرأ عاصم الكوفي[٢] ، والحِرْمِيَّان : نافع المدني [٣] وابن كثير المكي [٤] ،

---

(١) وانظر في أركان وشروط القراءة الصحيحة المقبولة : .

- مقدمة محقق كتاب (السبعة) في القراءات ، لابن مجاهد ، بتحقيق د. شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف بمصر - بدون تاريخ ، ص ٢٤.

- الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، بتحقيق د. محي الدين رمضان ، ط١، ١٣٩٩ هـ= ١٩٧٩ م ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ص ٣٩- ٤٣.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة المقدسي ، بتحقيق طيار آلتي قولاج ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م ، دار صادر - بيروت ، ص ١٧١ .

- لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلاني ، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د. عبد الصبور شاهين ، ط١ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية - مصر ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢ م ، ص٦٧.

(٢) هو عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي ، أبو بكر الأسدي بالولاء ، شيخ الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، أحد القراء السبعة ، كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فصيحاً مجوداً ، متقناً ، توفي سنة ١٢٨ هجرية.(انظر : غاية النهاية ١/ ٣٤٦ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨) .

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رُويم ، اللّيثي ولاءً ، أحد القراء السبعة المشهورين ، ثقة صالح ، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من التابعين ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة ، وصار الناس إلى قراءته فيها ، توفي سنة ١٦٩ هجرية.(انظر : غاية النهاية ٢/ ٣٣٠ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠٧) .

(٤) عبد الله بن كثير ، أبو معبد الداري المكي ، مولى عمرو بن علقمة ، أحد القراء السبعة ، تابعيّ ، لقي عدداً من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - ، كان فصيحاً بليغاً ، اجتمع على قراءته أهل مكة قاطبةً ، توفي سنة ١٢٠هجرية .

(انظر : غاية النهاية ١/٤٤٣، سراج القاريء المبتدي ص ١٠) .

وابن ذكوان [١] الراوي عن عبد الله بن عامر الشامي [٢] ، كلهم بالإظهار[٣] . على أنّ ورشًا[٤] عن نافع المدني وهشامًا [٥] الراوي الآخر عن عبد الله بن عامر الشامي ، قرآ بالإظهار عند بعض الحروف ، وبالإدغام في بعضها دون بعض ، جمعًا بين اللهجتين الواردتين عن العرب في ذلك بما يوافق النقل عن شيوخهم [٦].

٢- جاء في الرواية التي رواها ابن خالويه عن الكسائي التي تقدم ذكرها : « وكان الكسائي يقول :إدغامها أكثر وأفصح وأشهر ...» [٧] ولا يخفى أنّ هذه العبارة لا تدلّ على عدم فصاحة مَنْ لم يُدغم ، بل لا تعدو كونها إخباراً عن أنّ الإدغام في السين عن العرب هو الأكثر والأشهر والأفصح ، وهذه صيغة تفضيل لا تعطيل ،مما يناقض ما ورد في آخر النص عن الكسائي ، وهو ما يحملنا على الريب في صحة ما نُسب إليه من تلحين القراءة بالإظهار .

فالإظهار - إذن - عند السين أوغيرها، لغةٌ صحيحةٌ فصيحةٌ ثابتةٌ مرويةٌ عن العرب ولاسيما أهل الحجاز ، ذلك « أنّ الحجازيّين بوجه عام كانوا يلتزمون الإظهار ، ويحترزون من

---

(١) هو عبد الله بن أحمد (أبن ذكوان) ، أبو محمد القرشي الدمشقي ، الراوي الثقة ، شيخ الإقراء بالشام ، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث عن عبدالله بن عامر ، توفي سنة ٢٤٢ هجرية ، (انظر : غاية النهاية ١/ ٤٠٤ ، تهذيب التهذيب ١٢٣/٥) .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم ، اليحصبي ، أبو عمران ، من خيار التابعين ، أحد القراء السبعة، إمام أهل الشام في القراءة التي أخذها عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - وُلّي قضاء دمشق ، توفي سنة ١١٨هجرية . (انظر : غاية النهاية ٤٢٣/١، تهذيب التهذيب ٢٧٤/٥).

(٣) انظر : إبراز المعاني لأبي شامة ، ص ١٨٧ ، وارشاد المريد للضباع ، ص٨٣ .

(٤) هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان ، أبو سعيد المصري ، المعروف بـ (ورش) ، أخذ القراءة ورواها عن الإمام نافع المدني ، وكان من خير أصحابه وأضبطهم ، توفي سنة ١٩٧ هجرية . (انظر : غاية النهاية ٥٠٢/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٩٥/٩) .

(٥) هو هشام بن عمار بن نصير ، أبو الوليد السلمي الدمشقي ، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، مشهور بالنقل والفصاحة والعلم في القراءات والحديث رواية ودراية ً ، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم وغيره عن يحيى بن الحارث عن عبد الله بن عامر ، توفي سنة ٢٤٥ هجرية .
(انظر : غاية النهاية ٢/ ٣٥٤ ، الجرح والتعديل ٩/ ٦٦) .

(٦) انظر : إبراز المعاني ، ص ١٨٦ .

(٧) الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ١١٧.

تأثّر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وهذا لا يتأتّى إلا بمراعاة الدقة في النطق ، والتأنّي والتؤدة في الأداء ، بحيث يُظهرون كل صوت ويُعطونه حقّه من جهرٍ وهمسٍ أو شِدّةٍ ورخاوةٍ[١] » .

مذهب الإمام الكسائي في إدغام (تاء التأنيث) الساكنة :

القراء السبعة مختلفون في إدغام (تاء التأنيث) الساكنة ، وإظهارها عند ستة أحرف، هي: الثاء والجيم والزاي والسين والصاد والظاء . وقد أدغم الكسائي – رحمه الله – (تاء التأنيث) الساكنة فيها كلّها ، موافقًا في ذلك أبا عمرو البصري [٢] وشيخه حمزة ابن حبيب الزيّات قولاً واحداً [٣].

فأما علة إدغام (تاء التأنيث) الساكنة في الجيم والزاي والصاد والطاء « أنّهن اشتركن في المخرج ، واشتركن في إدغام لام التعريف فيهنّ سوى الجيم ، ولأنّ هذه الحروف أقوى من التاء ، لأنّ التاء حرف مهموس ، وهذه الحروف مجهورة سواء ، والصاد والظاء قويتان بالإطباق الذي فيهما والاستعلاء ، والزاي حرف قويّ ، للصفير الذي فيه والجهر ، مع مافي التاء من المؤاخاة بينها وبين الصاد من الهمس ، لكنّ الصاد تقوى بالصفير والإطباق والاستعلاء على التاء ، فَحَسُنَ الإدغام لذلك لأنك تُبدل من التاء عند الإدغام حرفًا أقوى منها ، فتنقلها بالإدغام إلى القوة ، وذلك حسن » [٤] . وذلك نحو قوله تعالى : « .. كلّما

---

(١) في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ٧٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٩٣ .

(٣) انظر : كتاب (السبعة) في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ، والعنوان في القراءات السبع ، لأبي طاهر الأنصاري ، ص ٥٦ ، والنشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، ٤/٢، ومرشد الأعزة إلى شرح رسالة حمزة، بقلم الأستاذين محمودحافظ برانق ومحمد سليمان صالح ، ط١ ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ، مكتبة تاج بداير بطنطا ، ص ٢٥ .

(٤) الكشف ١٥٠/١ ، وجدير بالتنبيه أنّ (الظاء) المعجمة في النص الذي نقلت عنه قد تصحفت في كل مواضع ذكرها إلى (الطاء) المهملة في الكتاب المذكور ، وصححتها في النقل إلى الجادة،إصلاحاً للنص ووصولاً به الى الصحة كما أراده مؤلفه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي – رحمه الله – .

نضجتْ جُلودُهم بَدَّلْنَاهم جُلُوداً غَيْرَهَا ..» [١] وقوله : « أوْجَآؤوكم حَصِرَتْ صُدُورُهُم..» [٢].

وقوله : « وكَمْ قَصَمْنا من قريةٍ كانتْ ظَالمةً وأنْشَأنَا بَعْدَهَا قومًا آخَرِين » [٣] .

وقوله : « .. مأواهم جهنّم كلّما خَبَتْ زِدْناهُم سعيراً » [٤].

أما عن كيفية إدغام (تاء التأنيث) في الجيم في مثل : (نضجتْ جُلودهم) الذي سبق ذكره ، فيقول الدكتور إبراهيم أنيس : « وفي هذا الموضع جُهِرَ أولاً بالتاء ، فصارت (دالاً)، ثم انتقل مخرج الدال من أُصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك ، وبهذا التقى بالجيم، لأنها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدال في الصفة ، وبهذا تَمَّ الإدغام . » [٥].

والقول في كيفية إدغام (تاء التأنيث) في الزاي في نحو : (خبتْ زِدْنَاهم) كذلك ، إلا أنّه يُسمح للهواء بالمرور مع (الدال) الناشئة عن جهر (التاء) أولاً ، وعندئذ تصبح رخوة فتُحدِث عند النطق بها صفيراً كالزاي ، ومن أجل ذلك جاز إدغام التاء في الزاي [٦].

والأمر كذلك في إدغام (تاء التأنيث) في الظاء في قوله تعالى (.. كانتْ ظَالمة..) فبعد أن « جهرنا أولاً بالتاء فصارت دالاً ، لأنّ الصوت الثاني أي الظاء صوت مجهور ، ثم سُمح للهواء معها بالمرور فصارت رخوة ، ثم انتقل مخرجها إلى الأصوات المسمّاة باللّثَويَّة[٧] ، وبهذا صارت (ذالاً) ، ولا فرق بين الذال والظاء إلا أنّ الصوت الثاني من

---

(١) سورة النساء (٥٦) .

(٢) سورة النساء (٩٠) .

(٣) سورة الأنبياء (١١) .

(٤) سورة الإسراء (٩٧) .

(٥) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ١٩٠ .

(٦) المرجع نفسه ، ص١٩٢ .

(٧) اللّثَة: هي اللحم الذي رُكِّبت فيه الأسنان ، والحروف اللّثَوِيَّة هي : الظاء والذال والثاء ، سمّاهنّ الخليل ابن أحمد (لِثَويّة) ، لأنّ مبدأها من اللّثة . وانظر : كتاب (العين) للخليل بن أحمد ٥٨/١ . ولسان العرب ، لابن منظور المصري ، ١٨٨/٢. والرعاية ، لمكي ، ص١٤٠ .

أصوات الإطباق . فالإدغام هنا له ما يبرّره من الناحية الصوتية » [١].

ويتم الإدغام بين التاءوالصاد في مثل : (حَصِرَتْ صُدورهم) بالسماح للهواء بالمرور مع التاء حتى تصير رخوة كالسين ، فإذا أُطبقت صارت صاداً ، وليس هناك من فرق بين السين والصاد إلاّ أنّ الأخيرة مطبقة ، وهكذا أيضًا يتمّ الإدغام بين (تاء التأنيث) والسين، في نحو قوله تعالى : « وجاءتْ سَيّارةٌ .. » [٢] ، لكن من غير إطباق [٣].

وأما علّة إدغام (تاء التأنيث) في الثاء ، في نحو قوله سبحانه : « كذّبَتْ ثَمُودُ بطغواها »[٤] فهو « أنّ الثاء حرف فيه بعض الشدّة ، والرخاوة أغلب عليه ، والتاء حرف مهموس ، والهمس ضعف في الحرف ، فكأنّما تقاربا لاشتراكهما في الهمس والمخرج.. »[٥].

هذا، وتتم في هذا الإدغام عمليتان صوتيتان : « الأولى أن نسمح للهواء مع التاء بالمرور لتصبح رخوة كالثاء ، والثانية أنّ مخرج الصوت الأول قد انتقل إلى الأمام متّجهًا نحو مخرج الأصوات المسمّاة باللّثويّة ، وبها ماثل الصوتُ الأول الصوتَ الثاني كلّ المماثلة فتمّ الإدغامُ »[٦].

بقي أن أُشير إلى علّة إدغام (تاء التأنيث) في السين ، وهي « أنّ السين فيها صفير يقوّيها ، وهي مؤاخية للتاء في المخرج من الفم ، ومؤاخية لها في الهمس ، ومؤاخية لها في إدغام لام التعريف فيهما ، لكن التاء حرف فيه شدّة ، تقوم الشدّة في القوة مقام الصفير الذي في السين ، فقد تساويا ، فحَسُنَ الإدغام ، لأنك لا تنقل الأول إلى ضعف ، بل تنقله إلى

---

(١) الأصوات اللغوية ، ص ١٩١ . على أنّ هذا الذي ذكره د. أنيس مفتقر إلى الدليل ،على مافيه من التكلف في التعليل .

(٢) سورة يوسف (١٩) .

(٣) انظر : الأصوات اللغوية ، ص ١٩١.

(٤) سورة الشمس (١١) .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١٥١/١ .

(٦) الأصوات اللغوية ، ص ١٩٠ .

مثل حاله من القوة والضعف ، على أنّ الصفير أقوى من الشدّة ، فحسُن الإدغام » [١]، ومثال ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى قوله : « وإذا أُنْزِلَتْ سُورةٌ أن آمِنوا باللّهِ وجاهدوا مَعَ رسولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ منهم .. » [٢].

وبالجملة فإنّ التاء (تاء التأنيث) أُدغمت في الحروف المذكورة ، لقربها من التاء مخرجًا .

مذهب الكسائي في إدغام لام (هَلْ) و (بَلْ) :

تُدغم اللام من (هَلْ) في الثاء على وجه الخصوص ، وفي التاء والنون بالاشتراك مع لام (بَلْ) [٣] كما سيأتي - إن شاء الله - .

وقد صَحّ إدغام لام (هل) في الحروف المذكورة عن الإمام الكسائي - رحمه الله -[٤] وذلك في مِثْل هذه المُثُل القرآنية.

ففي الثاء لم يرد في القرآن الكريم إلا موضع واحد ، ذلك هو قول الحق سبحانه : « هَلْ ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفعلون » [٥] .

ومثال الإدغام في التاء ، قوله تعالى : « .. مَا تَرَى في خَلْقِ الرحمٰن من تفاوتٍ فَارْجِعِ البصرَ هَلْ تَرَى من فُطُور » [٦] .

---

(١) الكشف ١ /١٥١ .

(٢) سورة التوبة (٨٦) .

(٣) انظر : إبراز المعاني ، لأبي شامة ، ص ١٩٠ ، وإرشاد المريد ص ٨٥ .

(٤) انظر : الغاية في القراءات العشر ، للحافظ أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١هجرية) ، ص ٨١.

وانظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، للشيخ أحمد الدمياطي الشهير بـ (البناء) - ت ١١١٧هجرية - ، ص ٢٨ .

(٥) سورة المطففين (٣٦) .

(٦) سورة الملك (٣)

وفي النون ، قوله جل وعلا : « قُلْ هَلْ نُنَبئكم بالأخسرين أعمالاً » [١].

وأما لام (بَلْ) فإنها تُدغم في حروفٍ خمسةٍ مخصوصة ، وهي : الزاي والسين والضاد والطاء والظاء . إضافةً إلى التاء والنون المشتركة بينها وبين (هَلْ) - كما مرّ -. وقد أدغم الكسائي لام (بل) في الحروف المذكورة كلّها أينما ورد ذلك في الذكر الحكيم[٢]. ودونك أمثلة ذلك : فإدغامها في الزاي ، نحو قوله تعالى : « ..بَلْ زُيّن للذين كفروا مكرُهم .. » [٣] .

وفي السين ، قوله : « .. بَلْ سَوَّلَتْ لكم أنفسُكُم أمراً » [٤]، وفي الضاد ، قوله : « .. بَلْ ضَلُّوا عنهم .. » [٥] .

وفي الطاء ، نحو : « .. بَلْ طَبَعَ اللهُ عليها بكفرهم .. » [٦].

وفي الظاء ، قوله : « .. بَلْ ظَنَنْتُم أنْ لَنْ ينقلبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً.. »[٧]

وفي التاء ، نحو قوله سبحانه : « .. بَلْ تَأتيهم بغتةً فَتَبْهتُهم فلا يستطيعون رَدَّهَا.. » [٨].

وفي النون ، قوله تعالى : « .. بَلْ نَقْذِفُ بالحقِّ عَلَى الباطلِ فَيَدْمَغُه .. » [٩].

وحجَّة الكسائي - رحمه الله - في إدغامه لاميْ (هَلْ) و (بَلْ) ، في هاتيك

---

(١) سورة الكهف (١٠٤) .

(٢) انظر : إبراز المعاني ، ص ١٩١ ، وسراج القارئ ، ص ٩٧ ، وإرشاد المريد ، ص ٨٥.

(٣) سور الرعد (٣٣).

(٤) سورة يوسف (٨٣).

(٥) سورة الأحقاف (٢٨).

(٦) سورة النساء (١٥٥).

(٧) سورة الفتح (١٢).

(٨) سورة الأنبياء (٤٠).

(٩) سورة الأنبياء (١٨).

الحروف الثمانية « أنّ هذه اللام لمّا كانت ساكنة في الخِلْقَة أشبهت لام المعرفة [١] ، فأدغمها عند هذه الحروف كما تُدغم لام المعرفة عندهنّ ، فأجرى لام (هلْ) و (بَلْ) مجرى لام المعرفة فأدغمها فيما أدغم فيه لام المعرفة .

ألا ترى أنه لم يُدغم لام (قُلْ) في شيء ، لأنّ سكونها عارضٌ ، وأنّ الحركة أصلُها ، وكذلك [٢] : (ومَنْ يُبَدّلْ نِعْمَةَ اللهِ) »[٣].

وأمّا اعتراض مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) على أبي الحارث [٤] الراوي الثقة عن الكسائي ، في مخالفته الأصل الآنف عن الكسائي في إدغامه اللام الساكنة في الأصل ، وعدم اعتداده بإدغامها عند عروض حركتها ، ففيه نظر أُبيّنه بعد أن أسوق نص مكي .

ذكر مكي أنّ « أبا الحارث قد أدغم اللام من (يفعلْ) [٥] في الذال وسكونها عارض ، وذلك لشبهها بلام التعريف في اللفظ بالسكون ، والإدغام فيها قبيح ، لأنَّ سكونها عارض ، ولأنّه قد انفرد به أبو الحارث ، وقد كان يلزمه إدغام اللام في النون في (يُبَدّلْ نعمة الله) « البقرة ٢١١ » لأنّ اللام أقرب إلى النون منها إلى الذال » [٦].

وهذا الكلام - فيما يبدو لي - عليه ملاحظتان أُسجّلهما فيما يأتي :

١- ليس هناك ما يمنع إدغام اللام الساكنة لعارض فيما يقاربها من الحروف مخرجًا ، لا بل ذهب بعض العلماء إلى تفضيل الإدغام على الإظهار في الحالة المشار إليها ، يقول ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) عن الإدغام بوجه عام :

---

(١) أي لام التعريف (أل) وأحكام إدغامها في الحروف المسماة (شمسية) ، انظر : الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٥٧- هارون) .

(٢) المراد أنّ الكسائي لم يدغم اللام التي عرض سكونها بعامل الجزم في قوله تعالى : " ومن يبدّلْ نِعمة اللّه ." وهو في سورة البقرة (٢١١) .

(٣) حُجّة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ص١٢١ . وانظر كذلك : معاني القرآن للأخفش الأوسط ٥٣٣/٢ ، والحجة لابن خالويه ، ص٨٤ ، وكتاب سيبويه (٤٥٧/٤- هارون) .

(٤) انظر : ترجمته في الباب الأول من هذه الدراسة ص ١٩ .

(٥) وذلك في قول الله تعالى : " ومنْ يفعلْ ذلك .." في سورة البقرة (٢٣١) وغيرها .

(٦) الكشف ١٥٣/١ .

« فإن كان الحرف الأول [١] ساكنًا لعلّةٍ أو لعامل دخل عليه ، كان الإدغام أولى من الإظهار » [٢] . على أنّا نجد الإمام أبا عمرو بن العلاء البصري [٣] يدغم الحرفين المتحركين من كلمتين إدغامًا كبيراً ، إذا عرض أحد أسباب الإدغام ، فمثلاً في نحو قوله تعالى : « وإذا النفوسُ زُوّجَت » [٤] أدغم السين المتحركة في الزاي المتحركة ، لأجل التقارب بينهما .

وأدغم الحاء في العين في قوله : « فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النار وأُدْخِلَ الجنَّةَ فَقَدْ فَازَ .. » [٥].

وأدغم الجيم في الشين في قوله تعالى : « كزَرعٍ أَخْرَجَ شَطْأَه .. » [٦] .

وكذلك أدغم اللام في الراء في قوله : « فاسلكي سُبُلَ رَبّك.. [٧]. على أنّ الإدغام بصورة عامة بين المتقاربين أو المتجانسين من الحروف ، هو في حقيقته قلب الحرف المدغَم إلى حرف يماثل الحرف المدغَم فيه ، فيصيران حرفاً واحداً ، فهو - إذن - التلفظ بالحرفين حرفًا واحداً مشدّداً [٨].

٢- وأما قوله : « ولأنّه قد انفرد به أبو الحارث ، وقد كان يلزمه إدغام اللام في النون في (يبدّلْ نِعْمَةَ الله) « البقرة ٢١١ » .. » [٩]. فلا التفات إليه ، لأنّ « القراءة سنةٌ متّبعة ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر » [١٠]،

---

(١) أي : المدغَم .

(٢) الحجة في القراءات السبع ، ص ٦٣ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٩٣ .

(٤) سورة التكوير (٧) .

(٥) سورة آل عمران (١٨٥) .

(٦) سورة الفتح (٢٩) .

(٧) سورة النحل (٦٩)، وانظر في الإدغام الكبير : السبعة ، ص ١١٦-١٢٢، النشر ١/ ٢٧٤ ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري حمد ، ص ٣٩٨.

(٨) انظر : شرح الرضي علي شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين ، ط حجازي ، ٢٣٥/٣ ، والنشر ١/ ٢٧٩ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص ٣٩٩ .

(٩) الكشف ١/ ١٥٣

(١٠) إشارة إلى قوله تعالى :" ولقد يسّرنا القرآنَ للذكر فهل من مدّكر " في سورة القمر (١٧)،وغيرها من الآيات في السورة نفسها . والنص من تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ٧/ ٢٦١ .

فالإدغام وغيره من أمور القراءة مدارها كلها على الرواية ، والتعليل والاحتجاج للقراءة تابعان لها ولا عكس .

كما ينبغي أن لا ننسى أنّ (اللام) من أكثر الأصوات العربية استعمالاً في كلام الناس ، وصوت مثل (اللام) لابد أن يميل العربي إلى تخفيفه - عادةً- ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « والذي يبرر إدغام اللام في كل هذه الأصوات ، أنّ اللام أكثر الأصوات الساكنة [١] شيوعاً في اللّغة العربية ، لأنّ نسبة شيوعها حوالي ١٢٧ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة. ولاشكّ أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال ، تكون أكثر تعرضاً للتطور اللغوي من غيرها . هذا إلى أنّ جميع الأصوات التي تُدغم فيها اللام تندرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج ..» [٢].

وهكذا فقد تبيّن صحة إدغام اللام الساكنة سكونًا أصليًا أو عرضيًا فيما يقاربها من الحروف في المخرج ، روايةً ودرايةً والله الموفق .

على أنّ من المفيد أن أذكر أُنموذجًا لواحدٍ من أكابر النحاة، أُبيّن به كيفية معالجة النحاة مثل هذه القضايا الصوتية الواردة عن العرب ، ومنهجهم في النظر فيها وفق أُصول منطقية عقلية محضة ، وهذا - كما قلت - أُنموذج يقاس عليه كل ما ورد من هذا القبيل ، يكفينا مؤنة الإعادة والتكرار .

يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ) عن إدغام اللام من (هل) و (بل) : « وهي مع الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين جائزة ، وليس ككثرتها مع الراء ، لأنهنّ قد تراخين

---

(١) قسّم المحدّثون الأصوات اللغوية إلى قسمين : أصوات ساكنة (Consonants) وأصوات لين (Vowels) وقَسّم قدماء علماء التجويد الأصوات اللغوية إلى : جامدة وذائبة ، وبعضهم قَسّمها إلى : صامتة وصائتة أو مصوّتة ، ويعنون بالساكنة أو الجامدة او الصامتة : سائر أصوات اللغة سوى أصوات المد واللين والحركات التي يسمونها : أصوات لين أو ذائبة أو صائتة أو مصوّتة .
انظر : الأصوات اللغوية ، ص ٢٦ . و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص ١٥٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ، ص ٢٠٢ .

عنها، وهنّ من الثنايا وليس منهنّ انحراف [١] .

وجواز الإدغام على أنّ آخر مُخرج اللام قريبٌ من مخرجها ، وهي حروف طرف اللسان. وهي مع الظاء ،والثاء،والذال جائزة ، وليس كحسنه مع هؤلاء ، لأنّ هؤلاء من أطراف الثنايا وقد قاربنَ مخرج الفاء.

ويجوز الإدغام لأنهنّ من الثنايا كما أنّ الطاء وأخواتها من الثنايا ، وهنّ من حروف طرف اللسان كما أنّهنّ منه .

وإنّما جُعل الإدغام فيهنّ أضعف وفي الطاء وأخواتها أقوى ، لأنّ اللام لم تَسْفُلْ إلى أطراف اللسان كما لم تفعل ذلك الطاء وأخواتها . وهي مع الضاد والشين أضعف ، لأنّ الضاد مخرجها من أول حافة اللسان ، والشين من وسطه ، ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لما ذكرتُ لك من اتصال مخرجهما ، قال طَريف بن تميم العنبري :

تقول إذا استهلكت مالاً للذةٍ فُكَيهةُ هَشَّيءٌ بكفَّيكَ لائقُ

يريد : هلْ شَيء ؟ فأدغم اللام في الشين .

وقرأ أبو عمرو [٢] : « هَثُّوّبَ الكفّارُ » [٣] ، يريد : هلْ ثُوّب الكفار ، فأدغم في الثاء .

وأما التاء فهي على ما ذكرت لك ، وكذلك أخواتها . وقد قُرِيء بها :

«بَتُّؤْثِرونَ الحياة الدنيا » [٤] فأدغم اللام في التاء ....

---

(١) الانحراف في اللغة هو الميل ، وهو صفة لحرفي اللام والراء ، يوصفان بذلك لانحرافهما عن مخرجيهما حتى يصلا مخرج غيرهما ، وذلك أنّ اللام فيه انحراف إلى طرف اللسان ، والراء فيه انحراف إلى ظهره، وميل قليل إلى جهة اللام ، ولذلك يجعلها الألثغ لاماً . انظر : الحواشي الأُزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ، للشيخ خالد الأزهري ، ص ١٥ .

(٢) هو ابن العلاء المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، وسبق أن ترجم ص ٩٣ .

(٣) سورة المطفّفين (٣٦) ، والإدغام هنا لأبي عمرو هو من طريقي : هارون الأعور ويونس بن حبيب عنه ، وروى هارون عن أبي عمرو أنه قال : إن شئت أدغمت ما كان مثل هذا وإن شئت بيّنت . انظر : (السبعة) ص ١٢٠ .

(٤) سورة الأعلى (١٦)، وهي قراءة الإمامين الكوفيين : حمزة والكسائي . انظر : إرشاد المريد ، ص٨٥.

والنون إدغامها فيها أقبح من جميع هذه الحروف ، لأنها تُدغم في الياء والواو والراء والميم ، فلم يجسروا على أن يُخرجوها من هذه الحروف التي شاركتها في إدغام النون وصارت كأحدها في ذلك ».[١].

ومما يُشار إليه هنا كثرة ورود لفظة (ويجوز) و (لايجوز) و (تُدغم) و (لا تُدغم) في مواضع كثيرة في (كتاب سيبويه) [٢] مَرّ بنا بعضها في النص السابق ، وبعض منها جاء مفتقراً إلى الشاهد والدليل ، فمثل هذه الأحكام التي يُطلقها النحاة تعبيراً عن وجهات نظرهم العقلية ، لا قيمة لها في ميزان الصحيح المروي عن العرب الفصحاء ، ولاسيما إذا كان هذا المرويُّ قرآنًا يُتلى ، لا شعراً يُلقى ، فأعْظِمْ به حجةً عظمى .

وإن أنس فلا أنسى أنّ أبا زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) قد اختار إظهار اللام من (هل) عند (التاء) وأشباهها، وإظهار لام (بل) عند (النون) وأشباهها ، « لأنّ الحرف ليس بمتصل مثل الألف واللام، ألا ترى أنك لا تقف على الألف واللام مما هي فيه. فلذلك لم أظهر اللام عند التاء وأشباهها »[٣] . هذا ما يقوله الفراء في تعليله اختياره الإظهار على الإدغام ، في لام (هل) و(بل) ، وذلك لمفارقة حال اللام فيهما حالها في (أل) التعريف عندما تُدغم في الحروف الخاصّة بها [٤]، من حيث الاتصال اللفظي والرسمي والانفصال فيهما كذلك .

---

(١) الكتاب (٤/ ٤٥٧-٤٥٩- هارون) .

(٢) المصدر السابق (٤/٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١) .

(٣) معاني القرآن ، للفراء ٢/٣٥٣-٣٥٤، والمراد بقوله : (فلذلك لم أظهر ..) أل التعريف وما تدغم فيه من الحروف .

(٤) انظر : كتاب سيبويه ٤/٤٥٧.

مذهب الكسائي في إدغام الحروف القريبة المخارج:

مَرَّ بنا في المبحث السابق أنّ أبا الحارث في روايته عن الكسائي قد أدغم اللام المجزومة من (يَفْعَلْ) في (الذال) من (ذلك) في مواضعه الستة في القرآن الكريم [١] ، وذلك في ثنيات الكلام على إدغام لامي (هل) و (بل) وما ورد عن الكسائي في ذلك ، ورددتُ هنالك اعتراضَ مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) على أبي الحارث ، في مخالفته الأصل في إدغام اللام الساكنة سكونًا أصليًا ، فيما يقاربها من الحروف ، إلى إدغام اللام الساكنة سكونًا عرضيًا لعامل ٍ ونحوه . كما هو الحال في (ومَنْ يفعلْ ذَلك) الآنف الذكر . وجدير بالإشارة إلى أنّ محل هذا الموضوع هنا في هذا المبحث ، لولا مناسبة عرضت فذُكِرَ في ذلك المبحث ، والشيء بالشيء يُذكر - كما يُقال -.

والآن أعرض المواضع التي وردت عن الكسائي من هذا الباب ، مُتْبعًا إياها بالتعليل والتوجيه والاحتجاج.

إدغام (الفاء) في (الباء) :

أدغم الكسائي وحده دون القراء السبعة ، الفاء في الباء في موضع واحد من القرآن الكريم ، ذلك هو قول الحق سبحانه : « .. إنْ يَشَأْ يَخْسِفْ بِهِم الأرض ..» [٢] . وقد تعرّض إدغام الكسائي هنا إلى اعتراضات وانتقادات من بعض النحاة لا غيرهم! .

فقد قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) في سياق كلامه على الآية الكريمة نفسها : « واتفق القراء على إظهار الفاء عند (الباء) ، إلا ما قرأه (الكسائي) مدغمًا . وحجته : أنّ

---

(١) وذلك في السور الآتية على التوالي : البقرة (٢٣١) ، آل عمران (٢٨) ، النساء (٣٠) و (١١٤) ، الفرقان (٦٨) ، المنافقون (٩) ، وَلْيُحْتَرَزْ من (يفعلُ) غير المجزوم فلا خلاف في إظهاره .

(٢) سورة سبأ (٩)، وقراءة عاصم بالنون في (يشأ) و (يخسف) مكان ياء المضارعة فيهما، وقد أثبتُّ قراءة الكسائي ومن وافقه ، لأنها مدار البحث وعليها تعويله .

وانظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، ص٢٥٩ ، وإبراز المعاني ، ص ١٩٧ .

مخرج الباء من الشفتين ، ومخرج الفاء من بطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العُلَى ، فاتفقا في المخرج للمقاربة إلا أنَّ في الفاء تفشِّيًا يُبطل الإدغام . فأما إدغام الباء في الفاء فصواب » [١] . قلت : بل إنّ حقيقة الإدغام بين الحرفين المتقاربين في هذا الموضع وغيره تبطل كلام ابن خالويه - رحمه الله -، فقد بيّن أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) حقيقة الإدغام بنوعيه الكبير والصغير حيث قال : « وحقيقة إدغام الحرف المتحرك في مثله أن يُسكَّن ثم يُدغَم ، وحقيقة إدغام المتقارب [٢] أن ينقلب إلى لفظ الثاني ثم يُدغم » [٣] فإذا قمنا بتطبيق هذه الحقيقة أدائيًا ، وجدنا أنّها الحق الصُّراح الذي لا لَبس فيه ولا تكلّف ، وذلك حينما نلفظ بـ (يخسف) ، نلفظ بها بقلب الفاء فيها باءً هكذا (يخسب) ، فيلتقي الصوت مع إطباق الشفتين بصوت باء (بِهم) ، فيخرجان صوتًا واحداً .. و كذلك يكون الإدغام ، ومن ثمَّ ، فلا داعي إلى ما تكلّفه الدكتور إبراهيم أنيس في تسويغ الإدغام بين الفاء والباء وإبعاد النجعة فيه وهو قريب المتناول ، سهل المأخذ ، قال : « ولتبرير هذا الإدغام يمكن أن يُقال إنّ الفاء جُهر بها أولاً ، فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوربية والذي يُرمز إليه بالرمز (V)، ومثل هذا الصوت إذا ذهبت رخاوته بانحباس الهواء معه ليصبح انفجاريًا ، أشْبَهَ الباءَ كلَّ الشبه ، وبهذا يمكن الإدغام » [٤] وبهذا ثبت أنّ (التفشي) الذي أشار إليه ابن خالويه في (الفاء) لا يُبطل إدغامَها في (الباء) بل إنّ حقيقة الإدغام بين هذين الحرفين المتقاربين لَتؤكِّد كلّ التأكيد صحة حدوث الإدغام بينهما ، وأن لا فرق بين إدغام الفاء في الباء ، أو العكس ، بما أنّ حقيقة الإدغام في كل ذلك واحدةٌ، متمثلةٌ بعمليةٍ صوتيةٍ أدائيةٍ واحدةٍ أيضًا . فإذا انضاف إلى كل ذلك صحةُ النقل والرواية ، كان الكمالُ سربالَ الدراية .

---

(١) الحجة في القراءآت السبع ، ص ٢٩٢ ، وانظر : الكتاب لسيبويه (٤/٤٤٨- هارون) .

(٢) أي الحرف الذي يقارب غيره مخرجاً .

(٣) الإدغام الكبير ، للداني ، نقلاً عن الدراسات الصوتية ، ص ٣٩٩ . وقريب منه كلام ابن الجزري في النشر ١/٢٧٩ فانظره .

(٤) الأصوات اللغوية ، ص ٢٠٠ .

وأمّا قول أبي القاسم بن فيرُّه الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) في لاميته المشهورة بـ (الشاطبية) عن الإدغام في هذا الموضع :

« ..... ونخسفْ بهم رَعَوْا وشَذَاً تَثَقَّلَا » [١]

فقد كفانا الردَّ عليه غيرُ واحد من شراحها ، فقال ابن القاصح البغدادي (ت٨٠١هـ): « .. أي وشذّ إدغام هذين الحرفين عند النحاة لا القراء لأنّ الشاذ عند القراء ما لم يتواتر ، وهذان تواترا ، والشاذ عند النحاة ما خرج عن قياسه أو ندر » [٢] . وقال علي بن محمد الضّباع : « وقوله وشذاً تثقلا » تعليّل لقوة الإظهار فيهما على مُقابِله [٣] ، ولكن لا حاجة إليه ، لأنّ القراءة سنة متبعة » [٤].

وأما أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) فقد ردّ على أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تضعيفهما لما ورد عن الإمام الكسائي – رحمه الله – من إدغام الفاء في الباء ، حيث قال : « وأدغم الكسائي الفاء في الباء في (نخسف بهم) ، قال أبو علي : وذلك لا يجوز ، لأن الباء أضعف في الصوت من الفاء ، فلا تُدغم فيها وإن كانت الباء تُدغم في الفاء ، نحو : اضربْ فُلانًا ، .. وقال الزمخشري : وقرأ الكسائي (نخسف بهم) بالإدغام وليست بقوية [٥] . انتهى . والقراءة سنةٌ متّبعةٌ ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر ، فلا التفات لقول أبي علي ولا الزمخشري » [٦].

---

(١) متن (الشاطبية) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، بمراجعة متولي عبد الله الفقاعي ، ط محمد علي صبيح – مصر ، بدون تاريخ ، ص ٤٥.

(٢) سراج القارىء المبتدي ، ص ٩٩.

(٣) أي الادغام .

(٤) إرشاد المريد ، ص ٨٧.

(٥) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل ،للزمخشري ، ط دار المعرفة – بيروت ، بدون تاريخ ، ٢٥٣/٣ .

(٦) البحر المحيط ٢٦١/٧ .

وأما مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) فقد احتجّ لإدغام الكسائي هذا وعلّله بقوله : « وعلّة إدغامه أنّ الفاء والباء اشتركا في المخرج من الشفة واشتركا في منع إدغام لام التعريف فيهما ، والباء حرف قوي للشدة التي فيها والجهر ، والفاء أضعف من الباء ، للهمس الذي فيها والرخاوة ، فإذا أدغمتَ نقلتَ الحرف إلى ماهو أقوى منه . »[١].

إدغام (الباء) في (الفاء):

وهذه عكس الحالة الإدغامية السابقة ، وقد قرأ الكسائي بإدغام (الباء) في (الفاء) في خمسة مواضع في القرآن الكريم [٢] هي :

١- قوله تعالى : « .. ومَنْ يُقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلبْ فَسوفَ نؤتيه أجراً عظيمًا »[٣].

٢- وقوله سبحانه :« وإنْ تعجبْ فَعَجَبٌ قَولُهم .. » [٤].

٣- وقوله : « قال اذهبْ فَمَنْ تَبِعَكَ منهم .. »[٥]

٤- وقوله جلّ وعزّ : « قال فاذْهَبْ فَإنَّ لك في الحياة .. » [٦].

٥- وقول الباري : « .. ومَنْ لم يَتُبْ فَأُولئك هُمُ الظالمون » [٧].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١٥٦.

(٢) انظر : تحبير التيسير ، ص ٦٤ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٩ ، الكتاب لسيبويه (٤/٤٤٨- هارون) ، والأصوات اللغوية ، ص ١٨٩ .

(٣) سورة النساء (٧٤) .

(٤) سورة الرعد (٥) .

(٥) سورة الإسراء (٦٣) .

(٦) سورة طه (٩٧)

(٧) سورة الحجرات (١١) .

وأما الحجة للكسائي - رحمه الله - في إدغام الباء في الفاء « أنّ الفاء حرف فيه تفشٍّ ، وذلك قوة فيه ، والباء أقوى منه ، لأنها شديدة مجهورة ، والفاء مهموسة رخوة ، فلمّا كان في كل واحد منهما قوة واشتركا في المخرج من الشفتين ، وفي أنّ لام المعرفة لا تُدغم في واحدة منهما ، جاز إدغام الأول في الثاني .. » [١].

إدغام (الباء) في (الميم) :

أدغم الكسائي الباء في الميم في قوله تعالى : « .. يابُنَيِّ [٢] اركبْ مَعَنَا ولا تكن مع الكافرين » [٣]، وفي قوله سبحانه : « .. ويُعذّبْ مَنْ يشآء ..» [٤]، وقد صحّ إدغامه في الموضع الأخير ، لأنه يقرأ بجزم الفعل المضارع (يُعَذّبْ) [٥].

والأصل في إدغام الباء في الميم مقاربة مخرج الحرفين ، وسكون الباء في الموضعين ، فـ « الميم حرف قويٌّ بالغُنّة [٦] التي فيها ، والجهر والشدّة اللذين فيها ، فإذا أدغمتَ فيها الباء نقلتَ الباء إلى حرف أقوى منها بكثير ، لأنك تُبدل من الباء عند الإدغام ميمًا .وأيضًا فإنهما اشتركا في المخرج من الشفتين ، واشتركا في أنّ لام المعرفة لا تُدغم في واحدة منهما » [٧].

---

(١) الكشف ١/١٥٥ .

(٢) قرأ الكسائي هذا الحرف أينما ورد في القرآن بكسر الياء المشددّة ، ولذلك أثبتُّه على ما تقتضيه قراءة هذا الإمام ، وقد وافقه كل السبعة إلا عاصماً . انظر : السبعة ص(٣٣٤) ، وتحبير التيسير ص (١٢٤) .

(٣) سورة هود (٤٢) .

(٤) سورة البقرة (٢٨٤) . وانظر في هذا الإدغام : ابراز المعاني ، ص (٢٠٠) ، وإرشاد المريد ، ص ٨٨، ٨٩ ، والكتاب (٤/ ٤٤٧ -هارون) والأصوات اللغوية ، ص ١٨٩

(٥) انظر : السبعة ، ص١٩٥ ، والعنوان في القراءات السبع ، ص ٧٦.

(٦) الغُنّة: صوت يخرج من الأنف مصاحب لصوتي الميم والنون . انظر : الرعاية ، لمكي ، ص ١٣١ ، والكتاب ٤/٤٣٥ .

(٧) الكشف ١/١٥٦ ، وانظر أيضاً : الحجة في القراءات السبع ، ص ١٨٧ .

إدغام (الذال) في (التاء):

وقرأ الكسائي - رحمه الله - بإدغام الذال في التاء في كلمتين هما: (عُذْت) و (فنبذْتُها) ، وذلك في قوله تعالى : « وقال موسى إنِّي عُذْتُ بربي ..» [١]، وفي قوله جلَّ وعلا : «... فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول فنبذْتُها ..» [٢]، وقد ذكر العلماء أنّ مثل هذا الإدغام الواقع في (كلمة) ، أقوى وأكثر من الإدغام الواقع بين (كلمتين)، لأنّ الحرفين المدغم أحدهما في الآخر فيه ،لا ينفصل أحدهما من أخيه [٣] .

أما الحجة والتوجيه لهذا الإدغام فهو «أنّ قوة التاء والذال معتدلة ، لأنّ التاء شديدة ، والذال مجهورة ، والشدة في القوّة كالجهر ، ولأنّ التاء مهموسة والذال رخوة ، والهمس في الضعف كالرخاوة ، فاعتدلا في القوة والضعف ، فحَسُنَ الإدغام لذلك ، إذ لايدخل على الحرف الأول نقص في قوته بالإدغام ، على أنهما قد اشتركا في المخرج من الفم ، واشتركا في إدغام لام التعريف فيهما ، وقَوِيَ ذلك لاتصالهما في كلمة ..» [٤].

ومن ذلك إدغام الذال في التاء في نحو :(أَخَذْتُم) [٥] و (اتَّخَذْتُم) [٦] و (اتخذْتُ)[٧] و (أخذْتُها) [٨] حيث وقع وكيف جاء في القرآن الكريم ، ورد ذلك عن الكسائي وغيره [٩]، والحجة فيه كسابقه ، ويمكن أن نضيف إلى هذا- استحسانًا للإدغام - قلّة حروفِ الكلمات المذكورة [١٠]، فتصير بالإدغام خفيفةً على اللسان سهلةً في الكلام.

---

(١) سورة غافر (٢٧) وسورة الدخان (٢٠) ، وانظر مظانّ هذا الضرب من الإدغام في : إبراز المعاني ، ص١٩٧ ، النشر ٢/ ١٥-١٦ ، والكتاب (٤/٤٧٢ - هارون) ، الأصوات اللغوية ، ص١٩٧ .
(٢) سورة طه (٩٦) .
(٣) انظر : الكشف ١/١٥٩ ، وكتاب سيبويه ٤/٤٧٢ .
(٤) الكشف ١/١٥٩.
(٥) انظره في سورة آل عمران (٨١) وسورة الأنفال (٦٨) .
(٦) انظره مثلاً في سورة البقرة (٥١) (٨٠) و(٩٢) .
(٧) من مواضعه : سورة الفرقان (٢٧) ، وسورة الكهف (٧٧) .
(٨) سورة الحج (٤٨) .
(٩) انظر : إبراز المعاني ، ص ٢٠٠ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص٣٠ .
(١٠) انظر : الكشف ١/ ١٦٠ .

إدغام (الثاء) في (التاء) :

وأدغم الكسائي (الثاء) في (التاء) من كلمة: (أُورِثْتُموها) في قوله تعالى : « .. ونُودُوا أَنْ تِلكُمُ الجنةُ أُورِثْتُمُوها بما كنتم تعملون » [١] . وفي الكلمتين الآتيتين حيث وقعتا في القرآن الكريم، وهما (لبثْتُ) [٢] و (لبثْتُم) [٣] ، وذلك لقرب مخرج التاء من الثاء ، واتفاقهما في الهمس ، بيد أن التاء أقوى من الثاء للشدّة التي فيها ، ومما يُقوّي إدغام الثاء في التاء هنا، اتصالهما في كلمة ، وإدغام لام التعريف فيهما [٤] .

إدغام (الدال) في (الثاء) :

وقرأ الكسائي بإدغام (الدال) في (الثاء) في الموضعين من قوله تعالى : « .. وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدنيا نؤته منها ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخرة نؤته منها .. » [٥] .

وقد ضعّف الإدغامَ في هذا الموضع مكيُّ بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، فقال: « وعلّة الإدغام ضعيفة ، لأنّ الدال أقوى من الثاء ، للجهر الذي في الدال ، فأنت تنقلها بالإدغام إلى أضعف من حالها . فالإظهار أقوى وأولى » [٦]. والقول في ردّ هذا

---

(١) سورة الأعراف (٤٣) ، وسورة الزخرف (٧٢) .وانظر في هذا الإدغام : سراج القاريء المبتدي ، ص١٠٠ ، والنشر ٢/١٧ ، وإرشاد المريد ، ص٨٧-٨٨ ، والأُصوات اللغوية ، ص١٩٤ .

(٢) انظر هذا اللفظ مستقصًى في : سورة البقرة (٢٥٩) في مواضعه الثلاثة ، وفي سورة يونس (١٦) وطه (٤٠) ، والشعراء (١٨) .

(٣) في سورة الاسراء (٥٢) ، وسورة الكهف (١٩) في الموضعين ، وسورة طه (١٠٣) و(١٠٤) ، وسورة المؤمنون (١١٢) و(١١٤) ، وسورة الروم (٥٦)

(٤) انظر : الحجة في القراءات السبع ، ص١٠٠ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١٥٩.

(٥) سورة آل عمران (١٤٥).

(٦) الكشف ١/ ١٥٧ ، وانظر : الأُصوات اللغوية ، ص١٩٧ .

التضعيف المبني على التعليل والتحليل ، ما ذكرتُه في غير ما مرة من أنّ القراءة سنةٌ متبعةٌ والتعليل والاحتجاج تابعان لها ولا عكس .

إدغام (الدال) في (الذال):

وقد ورد عن الإمام الكسائي إدغام (الدال) من هجاء كلمة (صادْ) في (الذال) من أول كلمة (ذِكْر) في مطلع سورة (مريم) [١] في قوله تعالى : « كهيعص * ذِكْرُ رحمتِ ربّكَ عَبْدَهُ زكريا » [٢] .

والعلّة في ذلك المقاربة بين الحرفين في المخرج ، إضافةً إلى اشتراكهما في صفة (الجهر) واشتراكهما أيضًا في إدغام (أل التعريف) فيهما [٣] ، وقد تقدّم الكلام على الإدغام بين (الدال) و (الذال) عند استعراض الحروف التي تُدغم فيها دال (قدْ) فلْيُرجع إليه .

---

(١) انظر : إبراز المعاني ، ص ١٩٨-١٩٩ ، والبدور الزاهرة ، ص ١٩٨ .

(٢) سورة مريم (١) و (٢) .

(٣) انظر : الحجة في القراءات السبع ، ص ٢٣٤ ، والكشف ١٤٤/١ ، والأُصوات اللغوية ، ص ١٩٥ .

الفصل الثاني

الإمالة

الفصل الثاني

الإمالـــــــــة

تمهيد

أصل(الإمالة) في اللغة من (المَيْل) وهو : العُدول إلى الشيء والإقبال عليه ، وكذلك (المَيَلاَن)، ونقول : مال الشيءُ يميلُ مَيْلاً ومالاً ومِيلاً وتَمْيَالاً . و(أَمَالَ) الشيءَ إمالةً فَمَال . وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلاتٌ ، رؤوسهنّ كأسنمة البُخْتِ المائلة ، لا يدخلنَ الجنة ، ولا يجدنَ ريحها . وإنّ ريحها ليُوجَد من مسيرة كذا وكذا »[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم : (مائلات مُمِيلات) أي : يَمِلْنَ بالخُيلاء ، ويُصبينَ قلوبَ الرجال .

وألف الإمالة : هي التي تجدها بين الألف والياء [٢].

وأما الإمالة في الاصطلاح فهي « أن تُقرِّبَ الفتحةَ قصيرةً كانت أو طويلةً إلى الكسرة قصيرة أو طويلة كذلك » ، وهذا أدق تعريف وأجمعه وأمنعه وقفتُ عليه للإمالة[٣].

جدير بالذكر أنّ المحدَثين قد درجوا على تسمية الحركات الثلاث (الفتحة والكسرة والضمة) أصوات لين قصيرة ، ويسمُّون ما يسمّية القدماء (ألف المد وياء المد وواو المد)

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١٢٨)، وأحمد في مسنده ٣٥٥/٢ -٣٥٦ ، والبغوي في شرح السنة ٢٧١/١٠ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٤/٢ ، وهو في جامع الأصول لابن الأثير ٧٨٨/١١ .

(٢) انظر : لسان العرب (٦٣٦/١١، ٦٣٨- ميل) ، و المصباح المنير ، للفيومي ص(٢٢٥-ميل) .

(٣) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ص٥١ .

أصوات لين طويلة ، فالفتحة مثلاً في نحو : (كَتَب) صوت لين قصير ، وألف المد الناتجة عن إطالة صوت الفتحة في نحو (كَاتب) ، هي صوتٌ لفتحة طويلة وهكذا [١] .

وهذا الذي ذكروه ليس بدعًا من القول ، فلقد أشار إليه علماء العربية القدماء على ما يُفهم من كلامهم ، فسيبويه (ت ١٨٠ هـ) عندما قال : « فالألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور . وذلك قولك : عَابِدٌ ، وعَالِمٌ ، ومساجِدُ ، ومفاتِيحُ ، وعُذَافِر ، وهابِيلُ ، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يُقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر .. فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يُقرّبوها منها » [٢] . يؤخذ من كلامه أنه لم يُفرّق بين الكسرة والياء [٣] .

وقال في موضع آخر : « وإنّما الحركات من الألف والياء والواو » [٤].

ونحوه قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : « .. لأنّ الفتحة من الألف ، والضمة من الواو ، والكسرة من الياء » [٥].

وقَرّر ذلك أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) بقوله : « .. فإذا ثبت أنّ هذه الحركات أبعاضٌ للحروف ومن جنسها ، وكانت متى أُشبعت ومُطلت تمّت ووفت جرت مُجرى الحروف ؛ كما أنّ الحروف أنفسها قد تجد بعضها أتمّ صوتاً من بعض ، وإن كانت كلها حروفًا يقع بعضها موقع بعض في غالب الأمر .

فما أُجرى من الحروف مُجرى الحركات الألف والياء والواو ، إذا أُعرب بهنّ في تلك الأسماء الستة: أخوك وأبوك ونحوهما ، وفي التثنية والجمع على حد التثنية ، نحو : الزيدان والزيدون والزيدين»[٦].

---

(١) انظر : الأُصوات اللغوية ، ص ٣٨ .

(٢) الكتاب (١١٧/٤- هارون) .

(٣) انظر : الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، ص ٥٢.

(٤) الكتاب ١٠١/٤ ، ونحوه ص (٤٤٢) من الجزء نفسه .

(٥) المقتضب ٥٦/١ ، ونحوه ص ٢١١.

(٦) الخصائص ، لابن جني ، ٣١٦/٢ ، ونحوه ، ١٢٣/٣.

كما أنّ ابن جني لم يفرق بين الفتحة والألف وبين الكسرة والياء في تعريفه الإمالةَ ، حيث قال : «معنى الإمالة ، هو : أن تنحو بالفتحة ، نحو الكسرة ، فتميل الألف نحو الياء لضربٍ من تجانس الصوت »[١] .

إذن فعلماء العربية القدماء أقرّوا هذه الحقيقة الصوتية وأدركوها ، وأشاروا إليها ، فمن ادّعى أنّ المحدَثين قد أتوا من هذا الأمر بجديد ، فهو محض تحايل وتجاهل على القدماء، وهم الذين أصّلُوا الأصول وفصّلُوها ، وقعّدوا القواعد وفرّعوها . فاللهم هُداك. وعلى هذا فلا فرق في أن تمال الفتحة أو الألف ، لأنّ العملية العضليّة في الحالتين واحدة ، ولا فرق بينهما إلا في الكمية [٢].

هذا ، وقد يطلق بعض العلماء على الإمالة أسماء أُخر سمّوها بها ، سواء أكانوا نحاةً أم قراءً ، فهم يقولون عن الإمالة الشديدة أي : إمالة الفتحة القصيرة أو الطويلة إلى الكسرة قصيرةً كانت أو طويلةً كثيراً ، يقولون عنها : الإضجاع ، والبطح ، والكسر ، والإمالة المحضة ، والألف المعوج ، واللّي ، ويُطلقون على الإمالة الخفيفة التي هي إلى الفتح أقرب ، بين اللفظين ، والتقليل ، وبين بين ، والتلطيف ، وإلامالة اللّطيفة ، وبين الفتح والكسر [٣] .

وأما قول الدكتور عبد الفتاح شلبي : « إنّ الكسر والبطح والإضجاع الإشباع والألف المعوج واللّي ، كلها تُطلق على الإمالة بنوعيها (الشديدة والخفيفة) حتى جاء ابن الجزري فجعل المحض والإضجاع والبطح والكسر من أسماء الإمالة الشديدة ، وجعل بين اللفظين والتلطيف والتقليل وبين و بين للإمالة الخفيفة ، وتابعه السيوطي في ذلك » [٤]. فلا أعلم له

---

(١) اللمع في العربية ، لابن جني ، تحقيق حامد المؤمن ، ط٢، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ، عالم الكتب - بيروت ، ص ٣١١.

(٢) انظر : الإمالة ص٤١.

(٣) انظر : السبعة ، لابن مجاهد ، ص١٤٥ ، والغاية في القراءات العشر ، لابن مهران النيسابوري ، ص ٩٣ ، والنشر ٢/٢٩-٣٠ ، والإمالة في القراءات واللهجات العربية .ص ٣٦.

(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، ص٣٦.

حقيقة ، ولا أدري من أين له به ! ، فلقد فرّق العلماء بين نوعي الإمالة، من لدن أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وربما قبله لكني قلت بذلك بناء على كتابه ، الذي يُعدّ من الناحية التوثيقيّة ، أول كتاب وصل إلينا في هذا الفن ، كيف لا « وهو شيخ الصنعة، وأول من سبّع السبعة » ! [١].

وتدعيمًا لما سبق، أذكر بعضاً من نصوص أقدم الكتب التي روت لنا القراءات في القرن الرابع الهجري ، يُفرّق فيها أصحابها بين نوعي الإمالة.

يقول ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) : « .. واختلفوا في قوله : (بالهدى) [٢] فكان نافع لا يفتح ذوات الياء ولا يكسر ..

وأما أبو عمرو فكان يقرأ من ذلك ما كان في رؤوس الآي بين الكسر والفتح مثل آيات سورة طه والنجم .. وما أشبه ذلك فهو بين الكسر والفتح » [٣].

وعند كلامه على الإمالة الشديدة كان يطلق لفظها ، فها هو يقول عن الكسائي : « وكان الكسائي يُميل ذلك كله .. » [٤].

فإذن هناك تفرقة بين نوعي الإمالة في عصر ابن مجاهد بَلْهَ عصر ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) .

ثم هناك الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١ هـ) يشير إلى نحو ما نقلته عن ابن مجاهد ، فنجده يقول : « ويُميل أبو عمرو برواية شجاع وروايات اليزيدي غير أبي حمدون وأبي أيوب : ما كان علي (فَعْلَى وفِعْلَى وفُعْلَى) بين الفتح والكسر ، وكذلك : كل سورة آيها على الياء » . [٥]. وقال في موضع آخر : « إمالة لطيفة»[٦] بدل قوله (بين الفتح والكسر) . فنراه مفرّقاً بين نوعي الإمالة بشكل واضح ،

(١) انظر : ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ١٣٩/١.

(٢)سورة البقرة (١٦) .

(٣) السبعة ص ١٤٥.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٧

(٥) الغاية في القراءات العشر ، ص٩٣ -٩٤ .

(٦) انظر : الغاية ص ٩٧ - الحاشية .

ولو أنني أردتُ استقصاء أقوال الأئمة في البرهنة على زعمي السابق لطال بي الأمر ، لكني أكتفي بما أوردت ، لأنّ المجال لا يتسع ، والمقام لا يحتمل .

وتتميمًا للفائدة لا بدّ من التذكير بأنّ (الفتح) هو ضد الإمالة ، وقد يُقال له : التفخيم أو النّصب ، وأكثر مَن يطلق عليه ذلك النحويون [١] .

كما أنّ الإمالة الشديدة بالاعتبار السابق ، قد يسّميها القراء (كبرى) والإمالة الخفيفة يسّمونها (صغرى)[٢] ، والإمالة عند إطلاقها يُراد بها الإمالة الشديدة الكبرى ، وينبغي أن « يُجتنب معها القلب الخالص [٣]، والإشباع المبالغ فيه .. قال الداني : والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم . فالفتح لغة أهل الحجاز . والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .. » [٤] .

وينبغي لي أن أقف هنا على كلام الداني (ت ٤٤٤ هـ) وأنبّه على أنّ المراد به التغليب ،لا الحصر والتحديد إذ « أنّ الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم ، وإنما كانت ظاهرةً أكثر شيوعاً مما ذكروه ، فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية ، وإن تفاوتت قلةً وكثرةً ، فهي إذن صفة كثيرة الشيوع جداً عن العرب في نطقهم [٥] ... ولكنّ النحاة عندما ذكروا المميلين في القبائل أعطوا أهمية خاصة - كعادتهم

---

(١) وانظر أُمثلةً لذلك في مظانّ المصادر الآتية :

الكتاب ١٢٢/٤ ، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧ ، والمقتضب ٤٢/٣.

والحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، ط دار الكاتب العربي - بدون تاريخ ، ١/ ٣٠٩ .

والمفصل في علم العربية ، للزمخشري ، ط٢ - بدون تاريخ ، دار الجيل - بيروت ، ص ٣٣٧ ، والإمالة في القراءات واللهجات العربية ، ص ٢٩ -٣٤ .

(٢) انظر : إرشاد المريد ص٩٢ .

(٣) المراد : أن لا تتحول من إمالةٍ إلى إلياء إلى ياءٍ خالصةٍ .

(٤) النشر ٢/ ٢٩ -٣٠ .

(٥) فمثلاً : أهل اليمن يغلب على ألسنتهم الإمالة في أكثر الكلام ، حتى أنهم يميلون (حتى) على الرغم من أنّ عامة العرب والقراء على فتحها . انظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، ١٩٧/٦.

- الحديث عن الحجازيين ، وعن تميم وأسد وقيس. وكان سبب هذا الاهتمام الظاهر بالحجازيين أنّ لغتهم هي لغة القرآن الكريم، وناهيك بهذا سببًا باعثًا على العناية بلهجاتهم . أما قبائل تميم وأسد وقيس فهي القبائل التي أخذ عنها علماء العربية الأعلام ، وبخاصة تميم ، حيث كانت تسكن جانب نجد المجاور للعراق . فكانت أرضهم مهبط العلماء الذين يفدون إليها ، للتلقي عن فصحائها وأعرابها الذين لم تفسدهم العُجمة .

ولم يكن قرن الحجازيين بالتميميين في الحديث عن الإمالة فقط، بل نجد ذلك منثورا في أبواب النحو المختلفة » . [١].

كما ينبغي - أيضًا - أن يُحمل قول من قال أنّ (الفتح لغة أهل الحجاز) على التغليب لا على العموم والحصر ، فمن أهل الحجاز مَن وردت عنهم الإمالة في كثير من الكلمات ، كما أنّ أكثرهم اشتهر عنه الفتح [٢]، والعكس صحيح بالنسبة إلى تميم[٣] . ولا أدلّ على ذلك من قول سيبويه (ت ١٨٠ هـ) إذ يقول : « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يُميل ، ولكنّه قد يُخالف كلٌّ واحد من الفريقين صاحبَه ، فينصبَ بعضَ ما يميلُ صاحبُه ، ويُميلُ بعضَ ما ينصبُ صاحبُه ، وكذلك مَنْ كان النصب من لغته لا يوافق غيرَه ممّن ينصب ، ولكنّ أمره وأمر صاحبه كأمر الأوّلين في الكسر . فإذا رأيتَ أعرابيًا كذلك فلا تُرَيِّنَّهُ خَلْط في لغته ، ولكن هذا من أمرهم » [٤] .

على أنّه يمكننا « بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل ، التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز ، أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة ، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها ، وأشهرها : تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب .

---

(١) الإمالة ص ٩٥ .

(٢) انظر مُثْلاً لذلك في : كتاب سيبويه (٤/١٢٠، ١٢١ ، ١٢٥ - هارون)

(٣) انظر : الكتاب ٤/١٢٠ ، ١٢٥.

(٤) الكتاب ٤/١٢٥ .

والقبائل التي كثر انتشارها في أمصار العراق بعد الفتح الإسلامي ، تكاد تنحصر في الشعبة الثانية [١]. وقد اتخذ علماء الكوفة والبصرة مُثُلَهمُ من القبائل التي انتشرت في تلك الأصقاع ، أو تعوّدت النزوح إليها » [٢].

فإذا عُلم هذا لم يكن من الغريب « أن نرى الإمالة شائعة في القراءات القرآنية ، التي انتظمت البيئة العراقية في القرن الثاني الهجري » [٣] .

والإمام الكسائي الأسدي الكوفي (ت ١٨٩ هـ) مِن أشهر مَن رُويت عنه الإمالة من بين القراء العراقيين ، ويرجع ذلك - في رأيي - إلى أنه عاش في الكوفة متأثراً بتلك القبائل التي تفشّت الإمالة في لهجاتها ، وكانت تقيم في العراق ، أو تنزح إليه لقرب مساكنها منه .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « ويظهر أنّ حمزة [٤] هو الذي رسم طريق القراءة الكوفية بين القراء العشرة ، مستمداً نماذجه من البيئة التي عاش فيها ، ثم تبعه الكسائي ، ولكنّه أسرف في اعتزازه بالإمالة ، ولاسيما إمالة الفتحة قبل تاء التأنيث ، فله فيها مذهب خاص عُرف به واشتهر في فن القراءات[٥]. ولا غرابة في ذلك فقد كان للكسائي شخصيّة متميزة في القراءات ، وكان كما وصفه أبو عبيد في كتاب القراءات بقوله : « كان الكسائي يتخيّر القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضًا »[٦].

ومما يؤيّد ما ذكرته من تأثر الكسائي ببيئته اللغوية ما قيل له مرة : « إنك تُميل ما قبل هاء التأنيث ؟ فقال : هذه طباع العَرْصَة ، قال الداني : يعني بذلك أنّ الإمالة هنا لغة

---

(١) أي القبائل المميلة التي عاشت في وسط الجزيرة وشرقيها.

(٢) في اللهجات العربية ، للدكتور ابراهيم أنيس ، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ٦١.

(٤) هو حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، شيخ الكسائي (ت ١٥٦ هـ). انظر ترجمته في غاية النهاية ٢٦١/١.

(٥) سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد - إن شاء الله تعالى -.

(٦) في اللهجات العربية ص ٦١.

أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن .... » [١]، وهذا يعني أيضًا أنّ هذا النوع من الإمالة ، كان ما يزال شائعاً في عصر أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) بين أبناء الكوفة .

وإذا تأملنا حياة الإمامين حمزة والكسائي مليًا ، نجد أنهما عاشا في الكوفة التي نزل بها رجالٌ من بني أسد ، التي اشتهرت بالإمالة - كما تقدم بيانه - ، ولا غرو أن يقرأ أفراد بني أسد القرآن بلهجتهم في الإمالة ، فإذا أضفنا إلى ذلك « أنّه قد مضت مدة كافية على نزول هؤلاء الأسديين الكوفة واستيطانهم إياها حتى تكاثروا وسيطرت لهجتهم على لهجة الأعاجم والمستعربين والمتفصحين من أمثال الكسائي وحمزة وغيرهم ، و .. إذا علمنا أنّ الكسائي كان مولى هؤلاء الأسديين وربيبهم ، إذا لحظنا هذه الاعتبارات جميعًا أمكننا أن نفهم سبب إكثار حمزة والكسائي من الإمالة ، إذا كان ذلك في جماع من القول : (بهدي من شيوخهما الذين عنهم يقرآن ، وبيئتهما التي كانا فيها يضطر بان ويعيشان) » [٢] . وهذا خير ما يُقال في تعليل إكثار الكسائي وشيخه حمزة ، من الإمالة في قراءتيهما المتواترتين .

ولا بأس أن أشير - هنا - إلى أنّ هذه الظواهر الصوتية ، التي تواترت عن هؤلاء الأئمة القراء العشرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، داخلة في عموم الرخصة الربانية في تيسير القرآن للذكر بقوله سبحانه :« ولقد يسّرنا القرآنَ للذكر فهل من مُدّكر » [٣] وقوله: « فإنما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لُدًا » [٤] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسّر منه » [٥] . وهذه

---

(١) انظر : إبراز المعاني ، لأبي شامة المقدسي ، ص ٢٤٢ ، وقد تقدم التعليق على هذه الرواية عند الكلام على الإدغام فليُراجع ص ٩١ .

(٢) الإمالة ص ١٢٨.

(٣) سورة القمر (١٧).

(٤) سورة مريم (٩٧).

(٥)هذا الحديث اتفق على روايته إما ما المحدّثين : البخاري ومسلم كما في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٥٧/١.

ورواه مالك في الموطأ ١/ ١٥٧ ، وأبو داود برقم (١٤٧٥) ، والنسائي ١٥٠/٢ ، والترمذي (٢٩٤٣).

الظواهر الصوتية كالفتح والإمالة ، والإظهار و الإدغام ، والهمز والإبدال والإشمام ، هي لابُدَّ من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها تخفيفًا وتيسيراً وتسهيلاً على العرب التي اعتادت كل قبيلةٍ منها على عادة لهجيّة درجت عليها ، واستقامت ألسنتها بها ، فيعسر عليها مخالفتها ، والتخلّي عنها ، والانتقال منها إلى سواها ، فكان من واسع رحمة الباري جل وعلا ، أن سمح للأمة ويسّر لها قراءة قرآنه العظيم ، وذكره الحكيم ، بما تقتضيه لهجات العرب ولحونهم وأصواتهم ، بما لا يخل بأصل ألفاظه ، ومقاصد معانيه ،في إطار المصحف العثماني الذي أجمعت عليه الأُمة.

ولعلّ من المفيد هنا - أيضًا - أن أُنبه على ما نبّه عليه الدكتور إبراهيم أنيس من «أنّ معظم هؤلاء القراء كانوا من الموالي ، فكان من الطبيعي أن يعظم تأثرهم بطرق النطق والأداء التي شاعت في القبائل حولهم . ولا غرابة إذن أن يظهر إعجابهم بالقبائل التي عاشوا بين ظهرانيها ، وأن يحتذوا حذوها في معظم الصفات التي عُرفت بها لهجاتها »[١]. قلت : وما أجاب به الكسائي ومرّ غير مرّة ، عندما سُئل عن علة إمالته تاء التأنيث، فقال : (هذه طباع العَرْصَة) خيرُ دليل على هذا التأثّر النفسي البيئي اللغوي .

فالعامل النفسي اللغوي الذي أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس ، لا ريب أنه كان ذا أثرٍ واضح المعالم ، انعكس جليًا على قراءة هؤلاء القراء ، ولاسيّما الموالي منهم ، وبالمناسبة فالقراء السبعة كلهم من الموالي إلا أبا عمرو المازني البصري وعبد الله بن عامر اليحصُبي الشامي ، اللّذَيْن كانا عربيَّين صراحةً ، وقد أشار إلى ذلك أبو القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) في لاميته الشهيرة بـ (الشاطبية) في القراءات السبع ، فقال :

أبو عَمْرِوهم واليحصُبيّ ابنُ عَامرٍ صريحٌ ، وباقيهم أحَاطَ به الولا [٢]

---

(١) في اللهجات العربية ، ص٦٢.

(٢) متن (الشاطبية) المسمى (حرز الأماني ووجه التهاني) ، ص٨.

وعن عدم تأثر الإمام أبي عمرو البصري ببيئته فيما يخص الإمالة . ينظر : في اللهجات العربية . ص٦٢.

علل الإمالة وكيفيّة حدوثها :

ومن المناسب أن أذكر علل الإمالة ، ثم كيفية حدوثها في الجهاز الصوتي الإنساني ، قبل الشروع في بيان إمالات الإمام الكسائي موزعةً على هاتيك العلل ، ليكون ذلك مفتاحاً لمغاليق هذا الموضوع .

يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) : « اعلم أنّ العلل التي توجب الإمالة ثلاث : وهي الكسرة ، وما أميل ليدلّ على أصله ، والإمالة للإمالة » [١]. وستتضح هذه العلل الثلاث جليّةً عند الكلام على إمالات الكسائي من خلال توجيهها وفق هذه العلل .

أما كيف تحدث الإمالة في جهاز النطق لدى الانسان ؟ فلا بد من الحديث عن وضعيّة اللسان في الفم لتتضح الصورة ، حيث أنّ « اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا في قاع الفم ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يُسمّى بالإمالة . وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذي يُسمّى عادة بالكسرة ، طويلة كانت أو قصيرة . فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر ، لا مرحلة واحدة . من أجل ذلك كان القدماء يقسّمون الإمالة إلى نوعين : إمالة خفيفة وإمالة شديدة .

وهكذا نرى أنّ الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافًا في وضع اللسان مع كل منهما ، حين النطق بهذين الصوتين ، واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح » [٢].

هذا ، وقد عزا المحدثون من علماء الأصوات إمالة الفتح إلى الكسر بوجه عام إلى أحد عاملين :

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ١٧٠ .

(٢) في اللهجات العربية ، ص٦٤ -٦٥ .

١- الأصل اليائي .

٢- الانسجام بين أصوات اللين [١].

على أنّ قضية الانسجام الصوتي بين أصوات اللين ، كانت حيويّةً في موضوع الإمالة وتسويغ حدوثها؛ « لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة ، سواء كانت سابقةً أولاحقةً. ولاشك أن الانتقال من الكسر أو الفتح أو بالعكس يتطلب مجهوداً عضويًا أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأنّ حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة .

ومتى سلّمنا بنظريّة السهولة والاقتصاد في الجهد العضوي ، استطعنا أن نتصور أنّ الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام ،ونستطيع لهذا أن نقول إن كلمة (كِتاب) كما يُنطق بها بغيرِ أمالة أقدم في نسجها منها مع الإمالة » [٢] .

لكن ينبغي أن لا نتصوّر هذا الأمر كله إلا من خلال النظر إلى عادة كل قوم في كلامهم، فالنظريات تحكمها العادات اللغوية لكل قبيلة على حدة ، فقد تكون الإمالة سهلة عند قوم ، ويكون الفتح أسهل عند قومٍ آخرين .

وبعد هذا التمهيد الذي هو مدخل للولوج في ميدان الموضوع ، أنتقل الآن إلى بحث الإمالة وضروبها عند الإمام الكسائي درايةً ، فيما صحّ عنه روايـةً ، ومن الله العظيم أستلهم التوفيق إلى الصواب .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧-٦٨.

مذهب الكسائي في إمالة (الألف المتطرفة) [*] ، للدلالة على أصلها (اليائي) أو ما يلحق به:

تمهيد :

وأستهلّ بقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) قبل الكلام على ما ورد عن الكسائي من إمالات تندرج تحت هذا الباب.

يقول مكي : « على هذه العلّة تجري أكثر الإمالات ، وذلك أن تكون الألف أصلها الياء ، أو تكون زائدة رابعة وأكثر ، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء ، أو تكون الألف للتأنيث ، فتجب الإمالة لتدلّ على أصل الألف ، أو على أنّ الألف في حكم ما أصله الياء ، وذلك باب واسع » [١].

وعند فحص ما ورد عن الإمام الكسائي من إمالات ، نجد – حقًا – أنّ غالب الإمالات المروية عنه ، تجري على الألف المتطرفة المنقلبة عن (ياء) أومايلحق بها من المشبَّهة بالمنقلبة عن الياء . ويظهر ما زعمته جليًا عند عرض إمالات الكسائي من هذا الواد .

ولزامًا عليّ قبل الدخول في الموضوع أن أُبيّن أنه « قد يأتي من الإمالة ما تُتَّبع فيه الرواية ، ولا تقوى فيه علّة » [٢]. وهذا يدل على أنّ القراءات مدارها على الأثر والرواية لا على التعليل والقياس ، بل إنّ أمور القراءات جميعًا مقيَّدةٌ بالنصوص والنقول والسماع من الأئمة شيخًا عن شيخ، لا مجال فيها للأهواء ، ولا للأقيسة والآراء.

فمثلاً : « قد يجتمع في بعض الحروف من أسباب الإمالة ما لا يجتمع في حروف أُخرى من جنسها ، فيميل بعض القراء ما كان سبب الإمالة فيه ضعيفًا ، ويترك إمالة ما كان السبب فيه قَويًا »[٣] ، وذلك للأثر والرواية ، وللتدليل على ماسبق أطرح المثالين الآتيين :

(*) وأقصد بإمالة (الألف المتطرفة) أي : إمالة الفتحة الطويلة في نهاية الكلمة الممالة ، لكني آثرت هنا استعمال اصطلاح القراء والنحاة في كتبهم ، فلا مشاحة في الاصطلاح بما أنّ النتيجة واحدة .

(١) الكشف ١/ ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٦ .

(٣) الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، ص٢٣٠ .

١- انفرد الدوري عن الكسائي بإمالة الألف من : (نُسارِع) [١] و (يُسارِعون)[٢] حيث وقع في القرآن الكريم [٣] ، مع أنّ الدوري في روايته عن الكسائي يفتح (يُوارِي)[٤] و (فأُوارِي)[٥] والإمالة في هذا أولى وأحسن ، لكسرة الراء التي تقوم مقام كسرتين لأنها كسرة طويلة وقعت في طرف الكلمة [٦].

٢- وكذلك فعل حفص [٧] عن عاصم في إمالة راء (مَجْرَاها) [٨] حيث لم يُمل في القرآن غير هذا الحرف للأثر [٩]، والمُثُل على مارمتُ إثباته كثيرة ، وحسبي بما أوردتُ دليلاً عليها ،ومرشداً إليها ، والله الموفق .

---

(١) سورة المؤمنون (٥٦) .

(٢) من مواضعه : سورة آل عمران (١١٤) و (١٧٦) ، وسورة المائدة (٤١) .

(٣) انظر : إبراز المعاني ، ص٢٣٥ ، وارشاد المريد ، ص١٠٣.

(٤) في سورتي : المائدة (٣١) ، والأعراف (٢٦) .

(٥) سورة المائدة (٣١) .

(٦) وقارن بينه وبين (الإمالة)ص ٢٣١.

(٧) هو حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبو عمر الاسدي الكوفي البزّاز ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن عاصم ، وكان ربيبه ابن زوجته ، ثقة ثبت ضابط في القراءة ، كانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي - رضي الله عنه - (ت ١٨٠ هـ) . انظر في ترجمته : (غاية النهاية ١/ ٢٥٤ ،تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥).

(٨) سورة هود (٤١) .

(٩) انظر : السبعة ص ٣٣٣، وتحبير التيسير ص ٦٨ ، وسراج القاري ء المبتدي ص ١١٠، وإرشاد المريد ص٩٧ .

الألفات الممالة عند الكسائي على نحو ما سبق:

تفيد كتب القراءات بأنّ الكسائي - رحمه الله - قد قرأ موافقاً شيخه حمزة الزيات (ت١٥٦ هـ) بإمالة كل ألف متطرفة منقلبة عن ياء ، حيث وقعت في اسم أو فعل إمالة كبرى (شديدة) ، حال الوصل والوقف [١]، ففي الأسماء نحو : (الهُدَى)[٢] ، (القُرْبَى)[٣] ، (القُرَى) [٤] ، (مَأْوَاه) [٥] ، (مَثْوَاكُم)[٦]، وفي الأفعال نحو : (أَتَى)[٧] ، (سَعَى) [٨] ، (اجْتَبَاه)[٩] ، (اشْتَرَى) [١٠]. ولا بد لهذه الألف أن تكون لام الكلمة .

ويلحق بها من الألفاظ ما كان أصل ألفه الواو ، لكنّه زاد على ثلاثة أحرف فإنّه يصير يائيًا ، والزيادة في الفعل تكون بأحرف المضارعة أو أحرف الزيادة أو التضعيف [١١] ، وذلك نحو : (يَتَزَكَّى)[١٢] (تُتْلَى) [١٣] ، (اسْتَعْلَى) [١٤] ، (نَجَّانَا) [١٥].

---

(١) انظر : إبراز المعاني ، ص ٢٠٥ ، إرشاد المريد ، ص٩٢ .

(٢) سورة البقرة (١٦) .

(٣) سورة البقرة (٨٣) .

(٤) سورة الأنعام (٩٢) .

(٥) سورة آل عمران (١٦٢) .

(٦) سورة الأنعام (١٢٨) .

(٧) سورة النحل (١) .

(٨) سورة البقرة (١١٤) .

(٩) سورة النحل (١٢١) .

(١٠) سورة التوبة (١١١) .

(١١) ينظر : سراج القاريء المبتدي ، ص ١٠٣ . وإرشاد المريد ص ٩٣ .

(١٢) سورة فاطر (١٨) .

(١٣) سورة آل عمران (١٠١) .

(١٤) سورة طه (٦٤) .

(١٥) سورة الأعراف (٨٩) .

أما في الأسماء فعلى زنة (أَفْعَل) ، نحو : (أدنَى) [١] ، (أزكَى)[٢] ، (الأعلَى) [٣] ، لأنّ لفظ الماضي من ذلك كله يظهر فيه الياء إذا رددتَ الفعل إلى نفسك[٤] فتقول : أدنيتُ وأزكيتُ وأعليتُ . كل ذلك « يميله حمزة والكسائي ، ليدلا على أنّ الألف ، قد صارت في حكم ما أصله الياء » [٥].

وكذلك أمال حمزة والكسائي كلَّ ألفِ تأنيثٍ زائدةٍ رابعةٍ فصاعداً ، دالّةٍ على مؤنثٍ حقيقيٍّ أو مجازيٍّ ، وتكون على زنة (فُعلى) بتثليث الفاء [٦] ، وذلك نحو : (طُوبَى)[٧] ، (بُشرَى)[٨] ، (السَّلوَى) [٩] ، (التَّقوَى) [١٠] ، (صَرعَى) [١١] ، (إِحدَى)[١٢]،(ذِكرَى) [١٣] ، (ضِيزَى)[١٤] .

وأُلحق بذلك ، نحو : (مُوسى)[١٥] ، (يَحيى) [١٦] ، (عِيسى)[١٧]« إِذْهي

---

(١) سورة البقرة (٦١)

(٢) سورة البقرة (٢٣٢)

(٣) سورة النحل (٦٠)

(٤) انظر : إرشاد المريد ص ٩٣ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ١٧٨ .

(٦) انظر : إرشاد المريد ص ٩٣ .

(٧) سورة الرعد (٢٩)

(٨) سورة البقرة (٩٧)

(٩) سورة البقرة (٥٧)

(١٠) سورة العلق (١٢)

(١١) سورة الحاقة(٧)

(١٢) سورة الأنفال (٧)

(١٣) سورة الأنعام (٦٩)

(١٤) سورة النجم (٢٢)

(١٥) سورة البقرة (١٣٦) وهو أحد مواضعه الكثيرة في القرآن وكذلك تالياه .

(١٦) سورة مريم (١٢)

(١٧) سورة البقرة (١٣٦)

أعجمية وإنما بوزن العربي ، لكنها مندرجة عند حمزة والكسائي تحت أصل ما رُسم بالياء»[١].

وكذلك أمال حمزة والكسائي الألف الزائدة التي تجري على حكم الأصلية مما كان على وزن (فُعالى)و (فَعالى)- بضم الفاء وفتحها- [٢] ، وذلك نحو :(أُسارَى) [٣]، (سُكارَى)[٤] ، (كُسالَى) [٥] ، (يَتامَى) [٦] ، (الأَيامَى) [٧]، (الخَوايَا) [٨] .

ولا يفوتني التنبيه هنا على أنّ الألف الممالة في هذا وغيره من الألفات الممالة ، إذا وقع قبلها (راء) فإنّ (الراء) تُرقَّق تبعًا لإمالة الألف بعدها نحو الياء ، وهذا - كما لا يخفى - من مسوّغات ترقيق الراء [٩] ، وذلك مثل : (النَّصارَى)[١٠] ، (ذِكرَى)[١١] ، (يَرَى) [١٢] ، (تَتمارَى) [١٣] ، (افترَى) [١٤] ونحوها .

وأمال حمزة والكسائي أيضًا كلَّ ألفٍ متطرفةٍ رُسِمَتْ في المصحف (ياءً) ، سواء

---

(١) إرشاد المريد ص ٩٣ .

(٢) انظر : سراج القاريء ص ١٠٤ .

(٣) سورة البقرة (٨٥)

(٤) سورة النساء (٤٣) وسورة الحج (٢)

(٥) سورة النساء (١٤٢) وسورة التوبة (٥٤)

(٦) سورة النساء (١٢٧)

(٧) سورة النور (٣٢)

(٨) سورة الأنعام (١٤٦)

(٩) انظر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، للعلامة محمد مكي نصر، ص ٩٥ .

(١٠) سورة البقرة (٦٢)

(١١) سورة الأنعام (٦٩)

(١٢) سورة النجم (١٢)

(١٣) سورة النجم (٥٥)

(١٤)سورة آل عمران (٩٤)

أكانت في الأسماء أم في الأفعال [١] ، وذلك نحو : (بَلَى) [٢] ، (مَتَى) [٣] ، (يا أَسَفَى) [٤] ، (ياحَسرتَى)[٥] ، (عَسَى) [٦] ، ياويلتَى) [٧] ، وكذلك (أنَّى) [٨] الاستفهامية ، حيث وقعت في الكتاب العزيز .

هذا واستُثنيت من ذلك خمس كلمات : اسم ، وفعل ، وثلاثة أحرف ، لم تُمل بحال .

أما الاسم فهو (لدا) ، حيث رُسم بالألف في قوله تعالى : « لدا الباب » في سورة يوسف [٩] ، واختُلف في قوله سبحانه : « لدى الحناجر » في سورة غافر [١٠] ، فرُسم في بعض المصاحف بالياء ، وفي بعضها بالألف ، وأكثرها على الياء ، وروى الداني (ت٤٤٤هـ) بإسناده عن الكسائي أنّه قال : (لدا الباب) كتبت في يوسف بألف [١١] . والحاصل أنّ (لدا) لم يُمَل ليجري مُجرًى واحداً [١٢].

---

(١)وذلك اتباعاً للرسم العثماني الإمام ، وان لم تكن الياء فيها أُصلية ً، لكنها قد تعود إلى الياء في صورة، وذلك نحو :(ضُحى) في سورة الأعراف (٩٨) وسورة طه (٥٩) ، و(الضحى) في سورة الضحى(١)، وانظر : إبراز المعاني ص ٢٠٩ ، وسراج القاريء المبتدي ص١٠٥ ، وإرشاد المريد ص ٩٣ .

(٢) سورة البقرة (٨١) .

(٣) سورة البقرة(٢١٤)

(٤) سورة يوسف (٨٤)

(٥) سورة الزمر (٥٦)

(٦) سورة البقر ة (٢١٦)

(٧) سورة المائدة (٣١)

(٨) سورة البقرة (٢٢٣)

(٩) سورة يوسف (٢٥)

(١٠) سورة غافر (١٨)

(١١) انظر : المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، لأبي عمرو الداني ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، ط مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٠- ٧١ .

وانظر : الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف ، لابن وثيق الأندلسي ، تحقيق د .غانم قدوري حمد ، ط١، ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨ م ، دار الأنبار – بغداد ، ص٥٩ .ولطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن،للشيخ أحمد محمد أبو زيت حار ط٢، مطبعة محمد علي صبيح –مصر ، بدون تاريخ ،٥٢/١.

(١٢) انظر : إبراز المعاني ، ص ٢١٠

وأما الفعل فهو (زَكَى) من قوله تعالى : « ما زَكَى منكم من أحد » [١]، وهو من ذوات (الواو)، بدليل قولنا في الماضي (زكوت) ، فلم يُمله أحد تنبيهًا على ذلك .

وأما الحروف فهي (إلى) و (حتى) و (على)[٢] فلم تُمل ، لأن الحرف « لاحظَّ له في الإمالة بطريق الأصالة ، إنما هي للأفعال والأسماء ، فلم يؤثر فيها رسمها بالياء ، وكل ما أُميل من الحروف (بلى) ، و(يا) في النداء .. لإغنائها عن الجمل ، فأشبهت الفعل والاسم » [٣].

أما علة إمالة ذلك كله الذي ذُكرفهو تقريب الألف من أصلها أو حكمها [٤].

وهنا يُشير القراء إلى ألفاظ رُسمت بالألف ، قد يُتَوَهم عدم إمالتهنَّ والصواب أنهنّ من الممال ، وهذه الألفاظ : (الأقصَا) [٥] ، (أقصَا المدينة) [٦]، (طَغَا الماء) [٧] .

ومما أماله الكسائي من هذا الباب الفعل (أحيا) كيف وقع ،نحو : (أحيَاكم) [٨] ، (فأحيَاكم) [٩] ، (ومن أحيَاها) [١٠] ، (أمات وأحيَا) [١١] . وقد وافق في الأخير شيخَه حمزةَ ، حيث عُطف الفعل بالواو [١٢].

---

(١) سورة النور (٢١)

(٢) حيث وقعت في التنزيل الكريم

(٣) إبراز المعاني ، ص٢١٠ ، وانظر : سراج القارىء ص ١٠٥ ، وإرشاد المريد ص ٩٣ .

(٤) انظر :الكشف عن وجوه القراءات ١٧٩/١ .

(٥) سورة الإسراء (١)

(٦) سورة يس (٢٠)

(٧) سورة الحاقة (١١) . وانظر : إرشاد المريد ص ٩٤ .

(٨) سورة الحج (٦٦)

(٩) سورة البقرة (٢٨)

(١٠) سورة المائدة (٣٢)

(١١) سورة النجم (٤٤)

(١٢) انظر :التيسير ص ٤٨ -٤٩ ، إبراز المعاني ص ٢١١ .

وأمال الكسائي - وحده - لفظ (الرؤيَا) المعرّف بـ (أل) ، في سور يوسف [١] والصافات [٢] والفتح [٣] ، وكذا موضع سورة الإسراء إذا وقف عليه [٤] .

وأمال - أيضًا - وحده لفظ (رؤيَاي) [٥] المضاف إلى ياء المتكلم ، وأمال (رؤياك)[٦] المضاف إلى كاف الخطاب ، من رواية حفص الدوري عنه [٧] .

وأمال وحده كذلك : (مرضَاة) [٨] و (مرضَاتي)[٩] كيف جاء في القرآن الكريم ، ومثله (خَطَايَا) كيف وقع ، نحو : (خطايَانا) [١٠] ، (خطايَاكم)[١١] ، (خطايَاهم) [١٢].

وأمال وحده لفظ (مَحيَاهم) [١٣]. وكذلك قوله تعالى : (حق تُقَاته) [١٤] و (قد هَدَان) [١٥]، واندرج مع حمزة في (إنّني هَدَاني) [١٦] و (لو أنّ الله هَدَاني) [١٧].

---

(١) الآية (٤٣)

(٢) الآية (١٠٥)

(٣) الآية (٢٧)

(٤) وهو في الآية (٦٠)

(٥) سورة يوسف (٤٣)و (١٠٠)

(٦) سورة يوسف (٥)

(٧) انظر : إبراز المعاني ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، وسراج القاريء ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٨) سورة البقرة (٢٠٧) وهو أحد مواضعه .

(٩) سورة الممتحنة (١)

(١٠) سورة طه (٧٣)

(١١) سورة البقرة (٥٨)

(١٢) سورة العنكبوت (١٢)

(١٣) سورة الجاثية (٢١)

(١٤) سورة آل عمران (١٠٢)

(١٥) سورة الأنعام (٨٠)

(١٦) سورة الأنعام (١٦١)

(١٧) سورة الزمر (٥٧)

وأمال الكسائي وحده ألف الأفعال الآتية : (ومن عصَاني) [١] و (أنسَانيه) [٢] و (أوصاني) [٣] ، (آتَاني الكتاب) [٤] و (فماآتَاني الله) [٥].

ومما أماله الكسائي لأنّ أصل ألفه الياء (رَأَى كوكبا) [٦] و (رَآه) [٧] ، بيد أنّ الكسائي لم يقتصر على إمالة الألف فيهما ، بل أمال الراء تبعًا لإمالة الألف انسياقًا للانسجام الصوتي ، وهذا ما يُعرف عند القراء والنحاة بالإمالة للإمالة ، وذلك من أجل أن يعمل اللسان عملاً واحداً في الكلمة [٨] .

وأما إذا وَلِيَ الهمزةَ من (رأى) ألُ التعريف ، في نحو قوله تعالى : (رأى القمر)[٩] و (رأى الشمس) [١٠] ، فلا إمالة للكسائي في هذا اللفظ ، لا في رائه ولا في ألفه حال الدرج - كما لا يخفى - خلافًا لحمزة وشعبة [١١] عن عاصم ، أما إذا وقف عليه فيرجع إلى أصله فيه ، فيميل الراء والألف منه مثل : (رأى كوكبا) [١٢] .

---

(١) سورة إبراهيم (٣٦)

(٢) سورة الكهف (٦٣)

(٣) سورة مريم (٣١)

(٤) سورة مريم (٣٠)

(٥) سورة النمل (٣٦) ، وانظر : التيسير ص ٤٨- ٤٩ ، ابراز المعاني ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، سراج القاريء ص ١٠٧

(٦) سورة الأنعام (٧٦)

(٧) سورة النمل (٤٠)

(٨) انظر : الكشف عن وجوه القراءات ١٨١/١ .

(٩) سورة الأنعام (٧٧)

(١٠) سورة الأنعام (٧٨)

(١١) هو شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحنّاط ، الأسدي ، النهشلي ، الكوفي ، الإمام ، الثقة ، الراوي عن الإمام عاصم ، حيث عرض عليه القرآن ثلاث مرات ، كان عالماً عاملاً عابداً ، ت ١٩٣هـ. (انظر ترجمته في : غاية النهاية ٣٢٥/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٧/١٢)

(١٢) انظر : غيث النفع في القراءات السبع ، ص ٢٠٩ ، والبدور الزاهرة ص ١٠٧

ومما أُميل - أيضًا - لأنّ أصل ألفه الياء الألفُ من قوله تعالى : (بل رَانَ)[١] وهو من (الرَّيْن): « صَدأ يعلو الشيء الجليل » [٢] ، و (ران) أيضًا بمعنى : غلب [٣]، « تقول : رَان يَرين ، أي : غلب ، فالياء ظاهرة في مصدره وفعله ، فلذلك أُميل ، ولم تمنعه فتحة الراء من الإمالة ، لأنّ الألف أصلية ،وأكثر ما تمنع فتحةُ الراء الإمالة في الألف الزائدة ، نحو : راق ، ودوران وشبهه » [٤].

ومما ورد إمالته عن الكسائي الألف في (أدْرَاك) [٥] و (أدرَاكم) [٦] ، لأنّ أصل ألفه ياءٌ ، فهو من (دريت) ومن (الدراية) ومن (درى - يدري) ، فالياء فيه ظاهرة[٧].

ومن ذلك كلمة (التوراة) حيث وقعت في القرآن [٨] ، والحجّة في إمالتها « أنّ أصل ألفها الياء ، لأنها من (وَرَى الزَّنْد) [٩] ، وأصلها (وَوْرَيَة) ، فأبدلوا من الواو الأولى تاءً ، كما فعلوه في (تجاه ، وتُقاة) ، وهما من الوجه والوقاية ، ثم لما تحركت الياء بالفتح، وقبلها فتحة قُلبت ألفًا ، فصارت (توراة) ، التاء بدل من واو ، والألف بدل من ياء ،

---

(١) سورة المطففين (١٤) .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ ، ص٢٠٨

(٣) انظر : تفسير الجلالين : المحلي والسيوطي ، ط مكتبة العلوم الدينية - بيروت ، بدون تاريخ ، ص٧٧٩.

(٤) الكشف ١٨٢/١ .

(٥) سورة الحاقة (٣)

(٦) سورة يونس (١٦)

(٧) انظر : الكشف عن وجوه القراءات ١٨٢/١ .

(٨) أول مواضعه في سورة آل عمران (٣) ، وانظر : التيسير ، ص٨٦ .

(٩) وَرَى الزَّند وَرْيًا وَوُرِيًا وَرِيَةً ، فهو وارٍ وَوَرِيّ : خرجت ناره . انظر : القاموس المحيط (ورى) ص ١٧٢٩ .

فحسُنت أمالته لذلك »[١] ، لكن الذي يتجه لي في الكلام على هذا اللفظ (التوراة) ، هو أنّ هذه الكلمة عبريّة ، فلا يُعرفُ لها أصل إلاّ أن يُقال : أجروها بعد التعريب مُجرى الكلم العربية ، وتصرفوا فيها [٢].

وأمال الكسائي من رواية حفص الدوري عنه الألفَ من الكلمات الآتية : (هُدَاي) [٣] و (مَحيَاي) [٤] و (مثوَاي) [٥] و (كمشكَاة) [٦] ، أمال ذلك كلّه من أجل تقريب الألف من أصلها اليائي [٧] .

وأمال الكسائي ألف (رمَى) [٨] و (أعمَى) [٩] ، و أمال ألفي (سُوَى) [١٠] و(سُدَى)[١١] إذا وقف عليهما ، وأما حال وصلهما فلا خلاف في فتحهما [١٢].

وأمال ألف (تُقَاة)[١٣] موافقاً شيخه حمزة ، وتفرّد بإمالة (تُقَاتِه)[١٤]، أمال الكسائي كلَّ ذلك لأنَّ أصلَ الألفِ فيه الياءُ ، وهو علة إمالته [١٥].

---

(١) الكشف ١/ ١٨٣ ، وانظر : الحجة في القراءات السبع ، ص١٠٦ .

(٢) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، منشورات دار ومكتبة الحياة - بيروت ، بدون تاريخ (٣٨٩/١٠ -ورى).

(٣) سورة البقرة (٣٨)

(٤) سورة الأنعام (١٦٢)

(٥) سورة يوسف (٢٣)

(٦) سورة النور (٣٥)

(٧) انظر : الكشف ١/ ١٨٤

(٨) سورة الأنفال (١٧)

(٩) في موضعي سورة الإسراء (٧٢)

(١٠) سورة طه (٥٨)

(١١) سورة القيامة (٣٦) .

(١٢) انظر : إبراز المعاني ص ٢١٦ -٢١٧ ، إرشاد المريد ص ٩٦ .

(١٣) سورة آل عمران (٢٨)

(١٤) سورة آل عمران (١٠٢) . وانظر : إبراز المعاني ص ٢١٢ - ٢١٣

(١٥) انظر : الكشف ١/ ١٨٥.

ومن ذلك أيضًا ما روي عنه من إمالة ألف (ولو أَرَاكَهُم)[١] ، أماله لأنّ أصل ألفه الياء ، فدلّ بالإمالة على أصله [٢] .

وأمال الكسائي الألف المتطرفة من الفعل (تَرَاءَى) في قوله تعالى : « فلما تَرَاء ى الجمعان » [٣] حال الوقف عليه [٤] ، وذلك على أصله الذي تقدّم في إمالة ذوات الياء ، لأنّ « أصل هذه الكلمة (تراءى) تفاعل : فعل ماض كـ (تخاصم) و (تناصر) ، تحركت الياء وانفتحَ ما قبلها قلبت ألفاً » [٥] .أما إذا وُصلت هذه الكلمة بما بعدها - وهو الأصل - فلا إمالة حينئذ للكسائي فيها [٦].

وأمال الكسائي وشيخه حمزة كلّ ألف بعد راء مفتوحة في فعل أو في اسم للتأنيث[٧].

فمثالها في الأفعال نحو : (اشترَى)[٨] ، (أرَى)[٩] ، (يرَى) [١٠] ، (فأرَاه)[١١] ، (يُفترَى) [١٢] ، (تتمارَى) [١٣] ، (يتوارَى) [١٤] ، وكل ألفات هذه الأفعال منقلبة عن ياء أو ملحقة بها.

---

(١) سورة الأنفال (٤٣) . وانظر : غيث النفع ص ٢٣٤ ، البدور الزاهرة ص ١٣٢.

(٢) انظر : الكشف ١/ ١٨٦ .

(٣) سورة الشعراء (٦١)

(٤) انظر : غيث النفع ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، البدور الزاهرة ص ٢٣٠ .

(٥) غيث النفع ص ٣٠٨

(٦) انظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، ص٢٣٠ .

(٧) انظر : إبراز المعاني ص ٢١٩ ، سراج القاريء ص ١١٠ .

(٨) سورة التوبة (١١١) .

(٩) سورة الانفال (٤٨) .

(١٠) سورة النجم (١٢) .

(١١) سورة النازعات (٢٠) .

(١٢) سورة يوسف (١١١) .

(١٣) سورة النجم (٥٥) .

(١٤) سورة النحل (٥٩) .

ومثالها في الأسماء : (بُشرَى)[١] ، (ذِكرَى) [٢] ، (أَسرَى)[٣] ، (النَّصارَى)[٤] ، (سُكارَى) [٥] ، (أُسارَى)[٦] . وكلها للتأنيث[٧].

وقد رُوى عن الكسائي قوله : « للعرب في كسر الراء رأيٌ ليس لها في غيره » [٨] يريد بذلك أنّ العرب مكثرة في إمالة الراء المفتوحة .

وقد قَدّمتُ أنّ الراء عند إمالتها يلزمها الترقيق ، وذلك في مِثْل المُثُل السابقة .

ما أماله الكسائي من الكلمات ذوات الأصل (الواوي) الملحقة بما أصلها (الياء):

أمال الكسائي (الألف) من أفعال وأسماء مخصوصة ، أصل الألف فيها (الواو) .

أما الأفعال فهي أربعة ، وهي : (تَلَاهَا) [٩] و (طَحَاهَا)[١٠] و (إذا سَجَى)[١١] و (دَحَاهَا) [١٢] . تفرّد بإمالتها الكسائي وحده .

---

(١) سورة البقرة (٩٧) .

(٢) سورة الأنعام (٦٩) .

(٣) سورة الأنفال (٦٧) .

(٤) سورة البقرة (٦٢) وهو أول مواضعه .

(٥) سورة النساء (٤٣) .

(٦) سورة البقرة (٨٥) .

(٧) انظر : سراج القارىء ص ١١٠ .

(٨) إبراز المعاني ، ص٢١٩ ، وانظر في إمالة (الراء) وما ورد عن العرب في ذلك : الكتاب لسيبويه (٤/ ١٣٦ - هارون) .

(٩) سورة الشمس (٢) .

(١٠) سورة الشمس (٦) .

(١١) سورة الضحى (٢) .

(١٢) سورة النازعات (٣٠) .

وأما الأسماء فقد وافق شيخه حمزة الزيات في إمالتها ، وهي : (العُلَى)[١] ، (الرِّبَا) [٢] ، حيث وقع في القرآن ، و(الضُّحَى) [٣] و (ضُحَاهَا)[٤] و(القُوَى)[٥] . فهذه الألفات كلها أُميلت تشبيهًا لها بالألف التي أصلها (الياء) . على أنّ (الواو) التي في الأفعال الأربعة المذكورة أصالةً ، قد ترجع في بعض تصاريف هذه الأفعال إلى الياء ، وذلك كقولنا : (تُلي - طُحي ، سُجي ، دُحي) فترجع الواو في هذه الأفعال (يتلو - يطحو - يسجو - يدحو) إلى الياء ، « فشابهت بذلك الألف التي أصلها الياء ، فأمالها الكسائي وحده على هذا التشبيه.

وَحَسُنت إمالتها ، لأنّ بعدها وقبلها ، ما أصل ألفه الياء [٦]، فأُتبعت لفظ ما قبلها وما بعدها ، من الألفات الممالات اللواتي أصلها الياء . وحَسُن ذلك أيضًا لأنها لغة لبعض العرب ، يحملون الإمالة في ذوات الواو على حكم ذوات الياء في الأفعال خاصة ، فتفردّ الكسائي بإمالتها » [٧].

ويقول أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) في التعليق على إمالة هذه الأفعال للكسائي: « وإنما حَسُنَ إمالتها للكسائي كونها رؤوس آي ، فَأُميلت تبعًا لذوات الياء ، فهو من باب إمالة لإمالة ، ولأنها رُسمت في المصاحف بالياء كأخواتها من ذوات الياء ، فلما أُلحقت بها كتابةً طلبًا للمشاكلة ، أُلحقت بها إمالةً لذلك ، والله أعلم » [٨].

---

(١) سورة طه (٤) .

(٢) سورة البقرة (٢٧٥) .

(٣) سورة الضحى (١) .

(٤) سورة الشمس (١) .

(٥) سورة النجم (٥) ، وانظر : إبراز المعاني ص ٢١٤ ، إرشاد المريد ص٩٥ .

(٦) المراد فواصل الآي التي قبلها والتي بعدها في السورة نفسها ، فإنهنّ من ذوات (الياء) الممالات.

(٧) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ١٨٩ -١٩٠ .

(٨) إبراز المعاني ص ٢١٤ ، وانظر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ١٩٣/٦ -١٩٤ .

أما علة إمالة الألف من الأسماء - المذكورة آنفًا - ذوات الأصل الواوي فهو « أنّ لغة كثير من العرب أن يُثنّوا ما كان من الأسماء من ذوات الواو مضمومَ الأول أو مكسورَه بالياء ، فيقولون في تثنية (ربا) : ربَيَان ، وفي (ضُحى) : ضُحَيان .

والعرب تفرُّ من الواو إلى الياء في كثير من الكلام ، نحو : ميّت [١] ، وهيّن [٢] ، ومرضي ، وشبهه كثير ، فأمالوا هذه الأفعال [٣] من ذوات الواو ، والأسماء ، فراراً من الواو إلى الياء ، فأتَوا بلفظٍ يدل على الياء ، وهو الإمالة ، فراراً من الواو ، والفتح أكثر وأصوب ، وهو الأصل » [٤].

هذا، ونقل أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) عن مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) أنّ « مذهب الكوفيين أن يُثنّوا ما كان من ذوات الواو مضموم الأول أو مكسوره بالياء ، فأمالا [٥] على أصل مذهبهما ، لأنهما كوفيان ، ولم يُعتبر الأصل » [٦] .

ومما أماله الكسائي من هذه البابة أيضًا لفظ (العُلَى) [٧] وهو « جمع (علياء) وأصل الياء في (العلياء) الواو ، لأنه من (العُلُو)، لكنها رُدَّت إلى الياء ، لأنه صفة ، والصفة أثقل من الاسم ، والياء أخف من الواو فرُدَّت إلى الياء للخفّة ، كما قالوا : دنيا ، وهو من (الدنو). وحق الجميع أن يتضمن باقي الواحد من الحروف ، فبقيت الياء التي في (علياء) على حالها في الجمع ، وهو (العلى)، فأُميل لذلك . وأيضًا فإنّ الواحد وهو (العلياء) يُمالُ لألف التأنيث ، فجرى الجمع في الإمالة على ذلك ، وإن لم تكن فيه ألف التأنيث للإتباع » [٨].

---

(١) مثاله في القرآن في سورة آل عمران (٢٧) وهو أول مواضعه .

(٢) انظره في سورة مريم (٩) .

(٣) أي : الأفعال التي تقدم ذكرها وهي : (تلاها - طحاها - دحاها - سجى) .

(٤) الكشف ١٩١/١ . وانظر : كتاب سيبويه (١١٩/٤-هارون) .

(٥) أي : الإمامان حمزة والكسائي - عليهما من الله الرحمة - .

(٦) إبراز المعاني ، ص٢١٤ .

(٧) سورة طه (٤) و (٧٥) . وانظر : إرشاد المريد ص ٩٥ .

(٨) الكشف ١/ ١٩٠ .

الكسائي وإمالة (كِلا) و(كِلْتا) :

صحّ عن الكسائي إمالة الألف من (كِلَا) و (كِلْتَا) حال وقفه عليهما ، موافقًا بذلك أُستاذه حمزة الزيات[١] ، وذلك في قوله تعالى : (..إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاَهُمَا ..) [٢] ، وقوله سبحانه (.. كِلْتَا الجنتين آتت أُكُلَهَا ..) [٣].

وإنما ساغت الإمالة في هذين اللفظين (كلا - كلتا) لحمزة والكسائي الكوفيَّين ، لأنهما اتبعا في القراءة هنا مذهب نحاة البصرة ، الذين يرون أنّ فيهما إفراداً لفظيًا ، وتثنيةً معنويةً ، والألف فيهما كالألف في (عَصًا) و (رَحًا) وخالفا بذلك مذهب نحاة الكوفة التي ينتمون إليها ، يقول أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) مفصّلاً الخلاف في هذه المسألة بين البصريين والكوفيين : « ذهب الكوفيون إلى أنّ (كلا) و (كلتا) فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصل (كلا) « كُلٌّ » فَخُفِّفت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، وزيدت التاء في (كلتا) للتأنيث ، والألف فيهما كالألف في (الزيدان) ، و (العَمْران) ولزم حذف نون التثنية منهما للزومها الإضافة .

وذهب البصريون إلى أنّ فيهما إفراداً لفظيًا وتثنيةً معنويةً ، والألف فيهما كالألف في (عصا) و (رحا) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنهما مثنّيان لفظًا ومعنًى ، وأنّ الألف فيهما للتثنية : النقل والقياس .

أما النقل فقد قال الشاعر:

في كِلْتَ رجليها سُلاَمى وَاحِدَه كلتاهما مقرونةٌ بزائـــــــــــــــــده.

فأفرد قوله (كِلْتَ) فدلَّ على أنّ (كلتا) تثنية .

---

(١) يُنظر : النشر ٧٩/٢ ، إرشاد المريد ص ٩٩.

(٢) سورة الإسراء (٢٣) .

(٣) سورة الكهف (٣٣) .

وأما القياس ، فقالوا : الدليل على أنها ألف التثنية ، أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر ، إذا أُضيفتا إلى المضمر ، وذلك نحو قولك : (رأيت الرجلين كليهما) و (مررت بالرجلين كليهما) و (رأيت المرأتين كلتيهما) و (مررت بالمرأتين كلتيهما) ، ولو كانت الألف في آخرها كالألف في آخر (عصا) و (رحا) لم تنقلب ألفهما نحو : (رأيت عصاهما ورحاهما) و (مررت بعصاهما ورحاهما) ، فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف (الزيدان) و (العَمْران) ، دلّ على أنّ تثنيتهما لفظية ومعنوية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنّ فيهما إفراداً لفظيًا ، وتثنيةً معنويةً ، أنّ الضمير تارة يُردّ إليهما مفرداً حملاً على اللفظ ، وتارة يُردّ إليهما مثنًّى حملاً على المعنى . فأما ردُّ الضمير مفرداً حملاً على اللفظ فقد جاء ذلك كثيراً ، قال الله تعالى : (كلتا الجنتين آتت أُكُلَها) فقال (آتت) بالإفراد حملاً على اللفظ ، ولو كان مثنى لفظاً ومعنًى لكان يقول (آتتا) كما تقول : الزيدان ذهبا ، والعَمْران ضربا ، وقال الشاعر :

كلا أخوينا ذو رجال ، كأنهم أُسودُ الشَّرى من كل أغلبَ ضَيْغَمِ

فقال (ذو) بالإفراد حملاً على اللفظ ، ولو كان مثنى لفظاً ومعنًى لقال (ذوا) »[١].

وأما مكي القيسي (ت ٤٣٧ هـ) - وهو من القراء - فيقول معلّلاً الفتح والإمالة في (كلتا) : « فإن قيل : كيف الوقف على (كلتا) من قوله : (كلتا الجنتين) (الكهف ٣٣)؟.

فالجواب: أنك إن جعلتَ ألف (كلتا) ألف تثنية على مذهب الكوفيين فالوقف عليها بالفتح ، لأنّ ألف التثنية لا تُمال ، إذ لا أصل لها في الياء .. ، وإن قَدَّرتَ أنّ ألف (كلتا) ألفَ تأنيث على مذهب البصريين ، وقفتَ بالإمالة ، لأنها عندهم (فِعْلَى) كـ (ذِكْرَى) والتاء بدل من واو ، وأصلها (كِلْوَا) ، وهذه أحرف نأخذ فيها بالوجهين [٢] ، لاحتمالهما

---

(١) إلانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري النحوي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ ، ٤٣٩/٢ -٤٤٢ .

(٢) أي : بالفتح والإمالة .

الوجهين اللّذيْن ذكرنا » [١].

وعند إنعام النظر في النصوص السابقة نجد أنّ « الكسائي يتخذ موقفين متغايرين كلّ المغايرة ، فهو نحويًا يرى أنّ (كلتا) ألفها ألف تثنية ، ويخالف بذلك البصريين الذين يقولون أنّ (كلتا) ألفها ألف تأنيث .

وهو قارئًا يُميل (كلتا) ، وهذا يدل على أنّ ألفها للتأنيث متفقا في ذلك مع البصريين .

وفي هذا دليل جديد على أنّ القراء المميلين أمالوا الأحرف التي أمالوها متبعين في ذلك الأثر والنقل عن أئمتهم ، دون السير وراء النظر أو القياس ، لأنّ الكسائي - وهو إمام من أئمة النحاة الكوفيين - لو سار وراء النظر أو القياس ، ما أمال (كلتا) ، ولكنه اتّبع ما نقل عن شيوخه القراء ، فرأى أنّ (كلتا) للتأنيث قارئاً ، وللتثنية نحويّاً ، واختلف موقفه في الحالين "[٢] .

وهنا قد يعترض معترض ويقول : وكيف لنا أن نسلّم بأنّ الكسائي لم يخالف مذهب نحاة الكوفة في ألف (كلتا) في النحو ، بينما نجد قراءته في إمالة ألف (كلتا) قد جرت على مذهب البصريين ؟ بل يُحتمل أن يكون " الكسائيَ النحوي قد رأى رأيَ البصريين في ألف (كلتا) للتأنيث ، وعلى هذا أمالها - قارئاً- متبعاً في ذلك مذهبه نحويًّا من غير تخالف بين نحوه وقراءته " [٣].

ويجيبنا الدكتور عبد الفتاح شلبي عن هذا السؤال والاحتمال بقوله: " لو اتبع الكسائي النحوي مذهب البصريين لنصّ أبو البركات الأنباري على ذلك ، كما جرت بذلك طريقته في إيراد مسائل الخلاف في كتابه (الإنصاف) إذ ينص على النحاة البصريين الذين اتبعوا الكوفيين الذين خالفوا مذهب عامة الكوفيين ، واتبعوا مذهب البصريين "[٤] .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٢٠٢ ، وانظر :همع الهوامع ، للسيوطي ، ١٣٦/١ - ١٣٧.

(٢) الإمالة في القراءات واللهجات العربية ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ص ٢٣٣ .

(٣)المرجع السابق ص ٢٣٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٣ .

هذا، وقد عرض الدكتور عبد الفتاح شلبي المسائل التي نص فيها على اتباع بعض الكوفيين مذاهبَ عامة البصريين ، أو المسائل التي اتبع فيها بعضُ البصريين عامة الكوفيين بصورة عامة ، وما يتعلق بعلي بن حمزة الكسائي بصورة خاصة ، كونه رأس المذهب الكوفي[١]. وعند استقراء هذه المسائل ، يخلص الباحث إلى أنّ الكسائي ، لو كان اتفق مع البصريين في أنّ ألف (كلتا) للتأنيث ، لنصّ عليه أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) كما نصّ على غيره في سائر المسائل التي من هذه الشاكلة ، حيث كان هذا منهجه في مثل هذه القضايا الخلافية الدقيقة ، ولاسيما فيما يتعلق بأئمة النحو ورؤوس مذاهبه الأعلام كالكسائي مثلاً . وبما أنهُ قد ترك النص هنا على الكسائي ، فهذا دليل واضح على أنّ الكسائي يخالف مذهب البصريين نحوياً، ويتفق معهم قارئاً [٢] .

ما أماله الكسائي من الأحرف المقطّعة في فواتح السور :

صح عن الكسائي إمالة فتحة (الراء) من قوله تعالى : (آلر) [٣] ، و (آلمر)[٤] حيث وقع في القرآن الكريم [٥] .

" وعلة إمالة هذا النوع أنّ الألف التي من هجاء (رَا) في تقدير ماأصله الياء ، لأنها أسماء ما يُكتب به ، فَفَرِّقْ بينهما وبين الحروف التي لا تجوز إمالتها نحو : (ما) و (لا) و (إلا) . هذا مذهب سيبويه في إجازة إمالة هذه الحروف التي في أوائل السور ، فإن سمِّيتَ بشيء من هذه الحروف جازت الإمالة " [٦] .

---

(١) انظرها في : الإمالة ص ٢٣٤- ٢٣٦.

(٢) انظر : الإمالة ، ص ٢٣٧ .

(٣) افتُتحت به أوائل آيات السور الآتية على التوالي : يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٤) في فاتحة سورة الرعد (١) .

(٥) انظر :التيسير ص ١٢٠ ، إبراز المعاني ص ٥٠٣ ، إرشاد المريد ص ٢٠٨

(٦) الكشف ١/ ١٨٦-١٨٧، وانظر: كتاب سيبويه ٢٦٤/٣ وما بعدها ،وإيضاح الوقف والابتداء ، لأبي بكر بن الأنباري ، تحقيق محي الدين رمضان ، ط مجمع اللغة العربية - دمشق ، ١٩٧١م ، ص٤٧٩ .

أما ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) فقد احتج لمن أمال بأنه أراد التخفيف ، ولمن فتح بأنه أتى باللفظ على الأصل،ثم قال : " وكلهم قصروا (الراء) [١] ، وأهل العربية يقولون في حروف المعجم : إنه يجوز إمالتها ، وتفخيمها ، وقصرها ومدُّها ، وتذكيرها وتأنيثها " [٢] .

وأمال الكسائي من هذا الباب (الهاء) و (الياء) من قوله تعالى : (كٓهٰيٰعٓصٓ)[٣]؛ إيثاراً للخروج من تَسفّل إلى تَسفّل لخفة ذلك ، كمن فتحها جميعاً ، فآثر الخروج من تَصعُّد إلى تصعُّد ، ليعتدل اللفظ[٤] ، وكل ذلك عائد إلى الانسجام الصوتي في القراءة .

ويميل الكسائي – أيضاً– (الطاء) و (الهاء) من قوله تعالى : (طه) [٥] ، وأمال (الطاء) كذلك من (طٰس) ، [٦] و (طٰسٓم) [٧] ، والقول في علة إمالة هذه الحروف كالقول في إمالة (الهاء)و(الياء) من (كٓهٰيٰعٓص) – فيما سبق – سواء بسواء ، من حيث الانسجام في الصوت ، والانسياق وراء الخفة في اللفظ [٨] .

ومما أماله الكسائي من الحروف المقطعة في فواتح السور (الحاءَ) من قوله تعالى (حٰمٓ)[٩] ، والياء من (يٰس) [١٠] ." وعلة الإمالة في ذلك كله أنّ هذه الحروف ليست بحروف معانٍ كـ (ما) و (لا) ، إنّما هى أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية

---

(١) المراد : هجاء كلمة (راء) .

(٢) الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص١٧٩ .

(٣) سورة مريم (١) ، انظر : التيسير ص ١٤٧ ، إبراز المعاني ص ٥٠٣ ، وإرشاد المريد ص ٢٠٨ .

(٤) انظر : الكشف ١/ ١٨٧ ، والحجة ، لابن خالويه ص ٢٣٤ .

(٥) سورة طه (١) ، وانظر : سراج القارىء ، ص ٢٤١ .

(٦) سورة النمل (١) .

(٧) الآية الأولى من سورتي : الشعراء والقصص ، وانظر : التيسير ص١٦٥ . سراج القارىء ص ٢٤١ .

(٨) انظر : الكشف ١/ ١٨٧ ، والحجة لابن خالويه ، ص ٢٣٤ .

(٩) في فواتح سبع سور ، هي : غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف . وانظر: التيسير ، ص ١٩١ ، سراج القارىء ص٢٤١ ، إرشاد المريد ص ٢٠٨ .

(١٠) سورة يس (١) ، وانظر : التيسير ص ١٨٣ ، سراج القاريء ص٢٤١ .

المقطّعة ، والأسماء لا تُمتنع إمالة ألفها مالم تكن من الواو ، وليست الألف فيها من الواو . ويدل على أنها أسماء أنك تخبر عنها فتعربها ، فتقول : حاؤك حسنة ، وصادك محكمة ، وإذا عطفتَ بعضها على بعض أعربتَها كالعدد ، فلمّا كانت أسماء أمالها مَنْ أمالها ، ليفرق بالإمالة بينها وبين الحروف التي للمعاني ، التي لا تجوز إمالتها نحو : (ما) و (لا) و(إلا)، وإنما لم تجز إمالة هذه الحروف ، ليفرق بين الحرف والاسم. ولو سمّيتَ بهذه الحروف جازت إمالتها » [١] .

الحروف التي أمالها الكسائي لعلّة (الكسرة) :

روى أبو عمرالدوري عن الكسائي إمالة الألف إذا وقع بعدها (راء) متطرفة مكسورة كسرةَ إعراب [٢] ، نحو : (الدارِ) [٣] ،(الغارِ)[٤] ، (النهارِ) [٥] ، (النارِ) [٦] ، (القهارِ) [٧] ، (الديارِ) [٨] ، (الكفارِ) [٩] ، (قنطارِ) [١٠] ، (الإبكارِ) [١١]

---

(١) الكشف ١٨٨/١ ، وانظر : كتاب سيبويه ٣/ ٢٦٦ ، إيضاح الوقف والابتداء ، ص ٤٧٩ .

(٢) انظر : إبراز المعاني ص ٢٣٢ -٢٣٤ ، سراج القارىء ، ص ١١٤ ، إرشاد المريد ص ١٠١ .

(٣) أول مواضعه المجرورة في سورة الأنعام (١٣٥)

(٤) سورة التوبة (٤٠) .

(٥) أول مواضعه سورة البقرة (١٦٤)

(٦) من مواضعه الكثيرة ، سورة البقرة (٣٩)

(٧) سورة إبراهيم (٤٨) .

(٨) سورة الإسراء (٥) .

(٩) سورة التوبة (١٢٣).

(١٠) سورة آل عمران (٧٥) .

(١١) سورة آل عمران (٤١) .

(أوبارِها) [١] ، (أشعارِها) [٢] ، (ديارِهم) [٣] ، (أبصارِهنّ)[٤] ، (حمارِك) [٥] .

وينبغي أن يُنتبه هنا إلى أنَّ الألف في (تُمارِ) من قوله تعالى : « .. فلا تُمارِ فيهم إلا مرآءً ظاهراً ..» [٦] لا إمالة فيها لأحدمن القراء السبعة ؛ لأنّ أصل الكلمة (تُمارِي) آخرها ياء هي لام الفعل ، وإنّما حُذفت للجازم ، وهذا بخلاف الضمائر المتصلة في نحو: (أبصارِهم) ، فإنها منفصلة تقديراً باعتبار مدلولها [٧] .

أما علة الإمالة في مثل ما سبق « أنّه لمّا وقعت الكسرة بعد الألف قَرّب الألف نحو الياء ، لتقرب من لفظ الكسر ؛ لأنّ الياء من الكسر ، ولم يمكن ذلك حتى قُرِّبت الفتحة ... نحو الكسر ، فحَسُنَ ذلك ، ليعمل اللسان عملاً واحداً متسفِّلا ، فذلك أخفّ من أن يعمل متصعِّداً بالفتحة .. ثم يهبط متسفّلاً بكسرة الراء ، وهو مع الراء أحسن ؛ لأنّ الكسرة عليها قوية ، كأنها كسرتان ، فقويت الإمالة لذلك مع الراء لأنها حرف تكرير[٨] ، الحركة عليها

---

(١) سورة النحل (٨٠) .

(٢) سورة النحل (٨٠)

(٣) سورة البقرة (٨٥) .

(٤) سورة النور (٣١) .

(٥) سورة البقرة (٢٥٩) .

(٦) سورة الكهف (٢٢) .

(٧) انظر : إبراز المعاني ص ٢٣٢ ، إرشاد المريد ص ١٠١ .

(٨) التكرير : ارتعاد طرف اللسان عند النطق بـ (الراء) ، وهي صفة خاصة بها ، مقوِّية لها . والراء – في الأصل – حرف شديد جرى فيه الصوت ، لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فصار كالحروف (الرخوة)، فهو لذلك من الحروف (البينية)–التي بين الشدة والرخاوة–،وأكثر ما يكون تكرير الراء ظاهراً إذا جاءت مشدَّدة ، لكنّ المحققين من علماء التجويد ، يشدِّدون على إخفاء تكرير الراء حال لفظها ، لأنّ هذه الصفة إنما تُعرف لتُجتنب المبالغة فيها ، فمتى كُرِّرت الراء – ولاسيّما المشدّدة – تولّد منها راءات ، ولذلك يقول عنها ابن الجزري في (الجزرية) في التجويد منبّهاً محذِّراً :

. . . . . وأخَفِ تكريراً إذا تُشـــــــدِّدُ

=

مقام حركتين »[١] .

وتفرّد الكسائي من رواية الدوري عنه بإمالة الألف ، إذا وقع بعدها (راء) مكسورة كسرةَ بناء ، سواء أكانت متطرفةً أم غير متطرفةٍ[٢] وذلك بحسب الرواية ، نحو قوله تعالى :(الجارِ) [٣] ، (جبَّارِين)[٤] ، (هَارٍ) [٥] ، (أنصارِي)[٦] ، (وسارِعوا) [٧] ، (نسارِع) [٨] ، (يسارِعون) [٩] ، (البارِئ) [١٠] ،(بارِئكم) [١١] ، (الجوارِ) [١٢].

=

وليس المراد هنا بإخفاء تكرير الراء إعدام ارتعاد طرف اللسان بالكلية ، فهذا غير ممكن إلاّ بالمبالغة في لصق طرف اللسان باللِّثَة ، بحيث ينحصر الصوت تماماً ، وهذا لحن ينبغي التحرز منه ، ولكنّ المراد تقوية ذلك اللصق ، بحيث ينمو الصوت ولا يتكرّر ، أو يرتعد به اللسان ارتعاداً يخرجه عن رونقه الصوتي . انظر : كتاب سيبويه (٤٣٥/٤ - هارون) ، ، الرعاية ص ١٣١، التحديد في الاتقان والتجويد ص ١١٠ ، والنشر ٢٠٤/١ ، والمقدمة فيما على قارئه أن يعلمه (متن الجزرية) لابن الجزري ، ضمن رسالة في منظومات أُمهات العلوم ، ط المطابع التعاونية - عمان - بدون تاريخ ، ص ١٣ ، وتنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، لأبي الحسن الصفاقسي ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر ، ط مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٣٨ ، ونهاية القول المفيد في علم التجويد ص٥٧ ، والأصوات اللغوية ص ٦٦ ، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، لابن أم قاسم المرادي النحوي ، تحقيق د . عبد الهادي الفضلي ، ط دار القلم - بيروت - بدون تاريخ ، ص ٤٢ .

(١) الكشف ١٧١/١.

(٢)انظر : إبراز المعاني ص٢٣٣ ، سراج القارىء ص١١٤-١١٥، إرشاد المريد ص١٠١ -١٠٢ .

(٣)سورة النساء (٣٦) .

(٤) سورة المائدة (٢٢)، وسورة الشعراء (١٣٠)

(٥) سورة التوبة (١٠٩)

(٦) سورة آل عمران (٥٢)، وسورة الصف (١٤)

(٧) سورة آل عمران (١٣٣)

(٨)سورة المؤمنون (٥٦)

(٩) سورة آل عمران (١١٤)

(١٠) سورة الحشر (٢٤)

(١١) سورة البقرة (٥٤)

(١٢) سورة الشورى (٣٢)

أمال كل ذلك لكسرة الراء بعد الألف مجرياً كسرة البناء مُجرى كسرة الإعراب ، على أنّ الإمالة مع كسرة البناء أقوى ، لأنّها كسرة لازمةٌ لا تتغيّر [١] .

ومن هذا الباب - أيضاً - أمال الدوري عن الكسائي متفرداً :

(ءَا ذا نِنا) [٢] ، (آذَانِهم) [٣] و (طغيَانِهم) [٤] ، حيث وقع في القرآن الكريم مجروراً [٥] .

وذلك للكسرة الواقعة بعد الألف ، ليعمل اللسان عملاً واحداً ، فينحو بالفتحة الطويلة نحو الكسرة الطويلة على نحو ما تقدّم .

واحتج أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) للكسائي في إمالة هذه الألفاظ فقال : « الطغيان مصدر (طغى) ، كالكفران والعدوان والرضوان ... فألف (طغا) تكون منقلبة عن الياء ، فيمن قال : طغيت، وعن الواو فيمن قال : طغوت .

وحجة من أمال (الطغيان) ، هي أنّ الألف قد اكتنفها شيئان : كل واحد منهما يجلب الإمالة ، وهما : الياء التي قبلها ، والكسرة التي بعدها ، فإذا كان كل واحد منهما على انفراده يوجب الإمالة في نحو : السّيّال [٦] والضيّاح [٧] ، ومررت ببابِه ، وبدارِه ، فإذا اجتمعا كانا أوجب للإمالة .

فإن قلت : إنّ أول الكلمة حرف مُسْتَعْلٍ مضموم ، فكل واحد من المستعلي والضم يمنع الإمالة ، فهلّا منعناها هنا أيضاً .

---

(١) انظر : الكشف ١/١٧١ .

(٢) سورة فصلت (٥).

(٣) أول مواضعه سورة البقرة (١٩) .

(٤) موضعه الأول في سورة البقرة (١٥) .

(٥) انظر: إبراز المعاني ص ٢٣٥ ، إرشاد المريد ص ١٠٢ -١٠٣

(٦) جمع (سِيلان) وهو نبات له شوك أبيض طويل ، اذا نُزع خرج منه اللبن ، انظر : القاموس المحيط (سيل) .

(٧) اللبن الرقيق الممزوج بالماء ، القاموس (ضيح) .

فالقول : إنّ المستعلي لما جاءت الياء بعده ، وتراخى عن الألف بحرفين لم يمنع الإمالة . ألا ترى أنّ قوماً أمالوا نحو : (المناشِيط) ، لتراخي المستعلي عن الألف، مع أنّ المستعلي بعد الألف ، فإذا تراخى في (طغيان) عنها بحرفين مع أنّه قبل الألف كان أجدر بالإمالة ، ألا ترى أنهم قد أمالوا نحو : (صِفاف) و (قِباب) ، ولم يُميلوا نحو : (مِراض) و (فِراض)[١] لمّا كان المستعلي متأخراً عن الألف .

وقالوا : (بطارِد) و (بقادِر) لمّا تقدّم المستعلي الألفَ ، ولم يُميلوا : (فارِق) و (بارِض) [٢].

وأما في (ءاذانِهم) فجازت فيها الإمالة كما جازت في (مررت بِبابِه) ، لمكان كثرة[٣] الإعراب ، وهي حسنة جائزة . والإمالة في (طغيانهم) أحسن » [٤] .

وجاء في الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) :

« فأما إمالة الكسائي -رحمه الله - قوله تعالى : " في آذانِهم من الصواعق " [٥] . فإن كان أماله سماعاً من العرب ، فالسؤال عنه وَيْلٌ ، وإن كان أماله قياساً فقد وَهَم ؛ لأنّ ألف الجمع في أمثال هذا لا تُمال ، ويلزمه على قياسه أن يُميل قوله :

" أنبئهم بأسمائهم "[٦]، " ويُطاف عليهم بآنِية " [٧] ، وإمالة هذا مُحال " [٨].

قلتُ : والجواب عما ذكره ابن خالويه تقدّم في كلام أبي علي الفارسي ، وأُضيف إليه:

١- أما قوله : " فإن كان أماله سماعاً من العرب ، فالسؤال عنه ويل " فأقول :

---

(١) اللباس ، وفوّهة النهر . القاموس (فرض) .

(٢) البارض : أول ماتُخرجُ الأرض من نبت قبل أن تتبيّن أجناسُه . انظر : القاموس المحيط (برض) .

(٣) كذا في الأصل الذي نقلتُ عنه ؛ والذي يتجه لي أنه وقع في هذه الكلمة تحريف صوابه (كسرة) وليست (كثرة) كما يرشد إليه معنى الكلام ، ولعل ذلك فات محققي الكتاب سهوًا - والله أعلم - .

(٤) الحجة في علل القراءات السبع ١/ ٢٧٥- ٢٧٧ .

(٥) سورة البقرة (١٩) .

(٦) سورة البقرة(٣٣) .

(٧) سورة الإنسان (١٥) .

(٨) الحجة في القراءات السبع ، ص٧٠ .

بل الغفلة عن مثل هذا السماع وهذه الرواية الويل! ، ولا سيّما إذا كان الأمر متعلقاً بقراءةٍ قرآنيةٍ متواترةٍ، فالواجب التثبت قبل إطلاق الأحكام . جاء في كتاب سيبويه :" ومما يُميلون ألفه قولهم :مررت ببَابِه ، وأخذت من مالِه . هذا في موضع الجر ، وشبّهوه بفاعل ، نحو : كاتِب وساجِد . والإمالة في هذا أضعف ، لأنّ الكسرة لا تلزم " [١] . إلى أن يخلص سيبويه (ت ١٨٠ هـ) إلى القول: " وقالوا في الجر : مررت بعَجْلاتِك ، فأمالوا كما قالوا : مررت ببَابِك ، وقالوا : مررتُ بمالٍ كثيرٍ ومررتُ بالمال ، كماتقول : هذا ماشٍ ، وهذا داعٍ"[٢].

إذن فالإمالة في ألف (ءاذانِهم) و (ءاذانِنا) المجرور ثابتة عن العرب سماعاً وروايةً، كما أمالوا (مررت ببابِه) في موضع الجر ؛ ولا يعنينا في مقام القراءات قلة ورود ذلك عن العرب أو عدم اشتهاره . إضافةً الى أنّ مَنْ روى وسمع حجةٌ على مَنْ لم يروِ أو يسمع ، فالكسائي في روايته وقراءته ، وسيبويه في سماعه ، حجّةٌ على ابن خالويه ، الذي لم يروِ أويسمع ذلك من العرب ، أو لم يصل إليه منه شيء .

٢- وأما قوله :" وإن كان أماله قياساً فقد وَهَم ... ويلزمه على قياسه أن يُميل ... " فالجواب عنه : أنّ القراءةَ سنةٌ متبعةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأول [٣] ، و" القراءة ليست موقوفةً على مقاييس العربية دون اتباع الأثر فيها " [٤] ، فمن فاته هذا الأمر وغفل عنه فهو الواهم لا سواه .

وبهذا وذاك ثَبَتَ صحةُ ما نحا إليه الإمام الكسائي -رحمه الله - ، في إمالته الألفاظ المشار إليها آنفاً، وثبت - أيضاً- أنّ مَن ردّ ذلك على الكسائي من النحاة ، فلا التفات إلى قوله ، ولا تعويل عليه ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الكتاب (١٢٢/٤ -هارون).

(٢) المصدر نفسه ١٢٢/٤ .

(٣) انظر : السبعة ، لابن مجاهد ، ص٥٠ ، ٥١، ٥٢ .

(٤) الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الفارسي ٢٩٣/١ ، ومن المفيد- هنا - أن أُذكّر بقول مكي إذ يقول : «وقد يأتي من الإمالة ما تُتَّبع فيه الرواية ، ولاتقوى فيه علّة » الكشف ١٧٦/١ .

وروى الدوري عن الكسائي كذلك إمالة الألف من لفظ (الكافِرِين) إذا جاء منصوباً أومجروراً ، حيث وقع في الكتاب العزيز ، سواء أكان معرَّفاً أم منكَّراً[١] ،« وعلة إمالته للكسر الذي وقع بعد الألف، وحَسُن ذلك لإتيان الراء بعد الفاء المكسورة مكسورةً وبعدها ياء، والياء من الكسرة ، فتوالت الكسرات ، فحَسُنَت إمالته وقَوِيَتْ " [٢].

وأمال الكسائي من رواية الدوري- أيضاً - من الألفاظ ما تكرّرَت فيه الراء ، إذا كانت إحداهما مفتوحةً فتحةً طويلةً ، والأخرى مكسورةً متطرفةً [٣] ، وذلك نحو : (الأبرَارِ)[٤] ، (قرَارٍ)[٥] ، (الأشرَارِ) [٦] ، أمال ذلك لكسرة الراء ، " وقَوِيَ ذلك ، لأنّ الكسرة على الراء أقوى منها على غيرها ، للتكرير الذي في الراء " [٧] .

وأمال الكسائي من هذه البابة لفظ (إنَاه)لكسرة الهمزة [٨] ، أو لأنّ ألفه منقلبة عن ياء من (أنَى - يأني) بمعنى (حان - يحين) ، وأصل (أنى) : (أنَيَ)تحركت الياء وانفتح ماقبلها فقُلبت ألفاً ، وذلك في قوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتَ النبي إلاّ أنْ يُؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غَيرَ ناظرين إنَاه"[٩] ، يُقال : أنَى الطعام يأني إناءً ، إذا بلغ حال النضج، ومعنى الآية : أي غير متحينين وقت نضجه وإدراكه [١٠] ، ويُقال: (الإنا) هو الوقت [١١] . ومنه قوله سبحانه :" ألم يأنِ

---

(١) يُنظر : التيسير ص ٥٢ ، إبراز المعاني ص ٢٣٣ ، إرشاد المريد ص١٠١ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١٧٣/١ .

(٣) انظر : إبراز المعاني ص ٢٣٤ ، سراج القارىء ص ١١٥ ، إرشاد المريد ص١٠٢ .

(٤) سورة آل عمران (١٩٣)

(٥) سورة إبراهيم (٢٦) .

(٦) سورة ص (٦٢) .

(٧) الكشف ١٧٢/١ .

(٨) انظر : التيسير ص ٤٩ ، إرشاد المريد ص ٩٧ .

(٩) سورة الأحزاب (٥٣) .

(١٠) انظر : إبراز المعاني ص ٢٢٠-٢٢١.

(١١)يُنظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جُزيّ الكلبي الغرناطي ، ط الدار العربيةللكتاب - بدون تاريخ ، ص ٥٣٢ .

للذين آمنوا أن تخشع قلوبُهم لذكر الله ومانَزَل من الحق .." [١] .

ما أماله الكسائي لعلَّة (الإمالة) :

أمال الكسائي - رحمه الله - الألف من قوله تعالى :(ونَأَى) [٢] ، لأنّ أصل ألفه الياء ، يُقال :نأيتُ نَأيًا ، والرجلان نأيا ، فتظهر الياء ، فأُميلت الألف لتقرب من أصلها اليائي .

ثم أمال (النون) في اللفظ المذكور، للإمالة التي وقعت بعدها فيكون عمل اللسان من جهة واحدة، وهذا من الإمالة للإمالة، وهو قليل [٣] .

ومما أُميل - أيضاً- لعلّة الإمالة بعده فتحةُ (الراء) من : (رَأَى)[٤] و(رَآه) [٥] و(رَآها) [٦]، حيث نحا الكسائي في إمالة هذه الألفاظ على هذا النحو :

١- أمال الألف من الألفاظ المشار إليها ، لتقرب من أصلها وهو الياء .

٢- ثم أمال فتحة (الراء) القصيرة ، لما وقع بعدها من الإمالة ، ليعمل اللسان عملاً واحداً في الألفاظ المذكورة [٧] .

ولابُدّ من ترقيق الراء عند إمالتها ، لأنها تكون والحال هذه في حكم الراء المكسورة[٨].

---

(١) سورة الحديد (١٦) .

(٢) هو في سورة الإسراء (٨٣) ، وسورة السجدة (٥١) .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ١/ ٢٩٠ -٢٩١ ، والكشف ١/ ١٨٩.

(٤) أول مواضعه سورة الانعام (٧٦) .

(٥) موضعه الأول سورة النمل (٤٠) .

(٦) سورة النمل (١٠) وسورة القصص (٣١) ، وانظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص١٠٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

(٧) انظر : الكشف ١/١٨١ ، ١٩١.

(٨) انظر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، ص٩٥ .

إمالات الكسائي في فواصل الآي :

وتنسحب الإمالات الواردة عن الكسائي من هذا الباب ، على ما مرّ من قواعد وأصول وعلل الإمالة عند الكسائي ، فهو يميل ألفات فواصل الآي المتطرفة ، واوية أو يائية ، أصلية أو زائدة ، في الأسماء والأفعال ، مما جميعه لام الكلمة ، وذلك فى إحدى عشرة سورة ، هي: طه ، النجم ، المعارج ، القيامة ، النازعات ، عبس ، سبح ، الشمس ، الليل ، الضحى ، والعلق [١] .

ويستثنى من فواصل هذه السور ماخرج عن مذهب الكسائي في الإمالة على ماتقدّم بيانه .

وهنا نكتة لا بأس من إيرادها وأنا أتحدث عن الإمالة في فواصل الآي ، وهي أنّ المتفحّص المتمعّن في إمالة الفواصل بوجه خاص ، والإمالة بوجه عام ، يلاحظ أنّ كثيراً من هذه الإمالات ، إنّما يصبّ في بحر الانسجام الصوتي ، وينتظم في عقد الانسياب الموسيقي للغتنا العربية الخالدة.

يقول أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) :" وأما اختصاص الكسائي من دون حمزة بإمالته ذوات الواو إذاكُنّ مع ذوات الياء في مثل :(والشمس وضُحَاها) [٢] ، و(الضُّحَى)[٣] ، و(دَحَاها) [٤] ، وأنه لا يفتح من ذلك شيئاً ، بل يسوّي بين ذوات الياء و وذوات الواو في هذه الفواصل ، فهو في ذلك موافق لأبي عمرو ، وقد تقدّم ذكر وجه ذلك " [٥] .

قلت : والوجه الذي يعنيه أبو علي هو في قوله :" إنما أمال [٦] الألفات في رؤوس

---

(١) انظر : إبراز المعاني ، ص٢١٥ ، سراج القارىء المبتدي ص ١٠٨ ، وإرشاد المريد ، ص٩٥-٩٦

(٢) سورة الشمس (١) .

(٣) سورة الضحى (١)

(٤) سورة النازعات (٣٠) .

(٥) الحجة في علل القراءات السبع ١/ ٢٩٣ .

(٦) الضمير يعود إلى الإمام أبي عمرو البصري ، حيث وافقه الإمام الكسائي على الإمالة في الألفاظ المذكورة .

الآي، لأنّ الفواصل بمنزلة القوافي في أنها مواضع وقوف ، كما أنّ أواخر البيوت كذلك ..

وأما تسويته بين (ضُحَاها) [١] و(طَحَاها) [٢] ، فَلِيُشَاكل بينهما في اللفظ ، لأنّ الفواصل كالقوافي ، فاستحب الملاءمة بين بعض الفواصل وبعض ، كما استحبوا ذلك في القوافي ، وأمال (طحاها) ونحوها لذلك ، ولأنّ الإمالة في نحو (طحا) و(غزا) سائغة"[٣].

وعن إمالة الألفاظ اللاتي أواخرها ألف التأنيث ، فيقول في تعليل إمالتها ولاسيما في الفواصل - كما يدلّ على ذلك تمثيله :" وأما إمالة ماكان آخره ألف التأنيث ، نحو : (ذكرى)[٤] و(أُنثى)[٥] و(شَتّى) [٦] ، فلأنّ هذه الألفات تبدل منها الياء ، ولاتبدل منها الواو أبداً ، فصارت بمنزلة ماأصلها الياء ، فأمالها بذلك . وإمالتها وترك إمالتها جميعاً كثيران "[٧] .

تنبيـــــه:

ينبّه القراء في كتبهم على أنّه إذا وقع بعد الألف الممالة ساكن ، فإنّ الألف حينئذ تسقط للساكنين وصلاً - كما هو معلوم - ، ويترتب على سقوط الألف امتناع إمالتها . فإذا زال ذلك الساكن بالوقف على (الألف) عادت الإمالة علي أصلها [٨] ، وذلك ، نحو:(موسَى الكتاب)[٩] ،(عيسَى ابن مريم) [١٠]، (طغَى الماء) [١١] ، (ذكرَى الدار) [١٢] ، (أحيَا النّاس)[١٣] .

---

(١) سورة الشمس (١) .
(٢) سورة الشمس (٦) .
(٣) الحجة ١/ ٢٨٨ .
(٤) سورة الأعلى (٩) .
(٥) سورة الليل (٣).
(٦) سورة اللّيل (٤) .
(٧) الحجة ١/ ٢٨٨ .
(٨) انظر : إبراز المعاني ص ٢٣٩ ، سراج القارىء المبتدي ص ١١٦، إرشاد المريد ص ١٠٤ .
(٩) سورة الأنعام (١٥٤) .
(١٠) من مواضعه : سورة البقرة (٨٧) .
(١١) سورة الحاقة (١١) .
(١٢) سورة ص (٤٦) .
(١٣) سورة المائدة (٣٢) .

مذهب الكسائي في إمالة (هاء التأنيث) وما قبلها حال الوقف :

وهذا الضرب من ضروب الإمالة صح روايةً عن العرب ، واشتُهر عن الكسائي ، حتى صار يُعرف به عند الإطلاق ، فهو يُعدّ - بحق- إمامَ هذا النوع من أنواع الإمالة وعمدتَه .

وغاية ما ترويه كتب القراءات في هذا الشأن ما رواه أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) عن أبي حمدون، قال :" سمعت الكسائي يقرأ بعض هذه الحروف بإمالة ما قبل هاء التأنيث ، ثم سمعته يقول بالفتح حين سُئل عن ذلك ، فقلت له : فإنك تُميل !، فقال لي : هذا طباع العَرْصَة[١] . يعني بذلك أنّ الإمالة هنا لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب ، يقولون : أخذت أخذة [٢] وضربت ضربة" [٣].

ويصف أبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) إمالة هاء التأنيث في الوقف بأنها " اللغة الغالبة على ألسنة الناس " [٤] يريد في عصره . ثم يأتي الحافظ ابن الجزري (ت٨٣٣ هـ) في القرن التاسع الهجري ، فيقول: إنّ" الإمالة في (هاء التأنيث) وما شابهها من نحو:(هُمَزَة) و (لُمَزَة) و (خليفَة) و(بصيرَة) ، هي لغة الناس اليوم ، والجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد ، شرقاً وغرباً ، وشاماً ومصراً ، لايُحسنون غيرها ، ولاينطقون بسواها ، يرون ذلك أخفَّ على لسانهم ، وأسهل في طباعهم ، وقد حكاها سيبويه عن العرب .. وقد اختص

---

(١) سبق أن علّقت على هذه اللفظة (العَرْصَة) لمناسبة عرضت عند الكلام على مذهب الكسائي في إدغام ذال (إذ)، وبينت التصحيف والتحريف الذي أصاب هذه الكلمة ، وَوَهَمَ كثيرٍ من المصنفين فيها ، وأثبت أن الصواب (العَرْصَة) بالصاد المهملة - كما أثبتها في النص - بوزن (الضَّرْبة) وهي البقعة الواسعة بين الدور ، تُجمع على عِراص وعَرَصَات ، وأعراص . فانظر التعليق هناك ، وانظر : القاموس المحيط (عرص) .

(٢) يريد أنهم يُميلون (هاء التأنيث) حال الوقف .

(٣) انظر : الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ، للداني ، ورقة ٦٦، ٦٧ ، نقلاً عن : الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص٢٤٠ .

وانظر أيضاً : إبراز المعاني ص ٢٤٢ .

(٤) إبراز المعاني ص ٢٤٢ .

بإمالتها الكسائي .." [١] ،فابن الجزري – إذن – يُقرّر أنّ إمالة (هاء التأنيث) ، هي اللهجة الدارجة في عصره ، في القرن التاسع الهجري . وأقول : إنّ إمالة (هاء التأنيث) هي اللهجة الدارجة على ألسن كثير من الناس في عصرنا هذا ، فهي ظاهرة في لهجات شمال العراق ، ولهجات بلاد الشام عامة ، وكثير من أهل مصر ولاسيما الوجه البحري منها .

وأما إمالة الكسائي – رحمه الله – (هاءَ التأنيث) فإن صحّت الرواية التي تقدّمت في مستهل هذا المبحث ، عن الداني بإسناده عن أبي حمدون عن الكسائي ، فإنّ الكسائي علي مايُفهم منها، يكون قد خالف مذهبه النحوي في القراءة في هذا الموضع أيضاً وتمايز نحوياً وقارئاً ، كما يحق لنا بعد ذلك أن نفرّق بين : الكسائي النحوي ، والكسائي القارىء ، ولاسيما أنّ هذا التمايز والتخالف بين نحو الكسائي وقراءته، قد تكرّر معنا عند الحديث عن إمالة الكسائي ألف (كلتا) و (كلا) في قراءته ،متفقًا بذلك مع مذهب نحاة البصرة ، وذهابه في النحو إلى مذهب الكوفيين في فتح الالف منهما.

ولعّل هذا التخالفَ بين نحو الكسائي وقراءته ، سببُه :أنّ النحو مدعاة إلى التعليل والنظر ، وأنّ في القراءة مندوحة عن النظر ، إذ التعويل فيها على الرواية والأثر .

أما المراد بـــ (هاء التأنيث) فهي الهاء التي تكون في الوصل تاءً آخر الاسم ، نحو: نعمة ورحمة ، فتبُدل في الوقف هاءً ، وقد اختص الكسائي بإمالتها سواء أرسمت تاء أم هاء [٢] .

وعن إمالة (هاء التأنيث) يحكي لنا سيبويه (ت١٨٠هـ) عن العرب فيقول :" سمعت العرب يقولون : ضربت ضربَة ، وأخذت أخذَة ، وشبّه الهاء بالألف فأمال ما قبلها ، كما يميل ما قبل الألف ."[٣].

---

(١) النشر في القراءات العشر ٨٢/٢ .

(٢) انظر : إبراز المعاني ص ٢٤٢ ، سراج القارىء المبتدي ص ١١٨، النشر ٨٢/٢ ،إرشاد المريد ص ١٠٥.

(٣) الكتاب (١٤٠/٤، ١٤١ – هارون) .

هذا ، وقد ذهب القراء في إمالة (هاء التأنيث) للكسائي إلى مذهبين مشهورين [١] :

المذهب الأول :

وهو الأشهر وعليه الأكثر ، وهو الذي كان يأخذ به أبو بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) وأصحابه وغالب من أتى بعده ، مثل : مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) وأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) وأبي القاسم الشاطبي (ت٥٩٠هـ) وابن الجزري (ت٨٣٣هـ) .

ويتلخص هذا المذهب بإمالة (هاء التأنيث) حال الوقف ، إذا كان قبلها خمسة عشر حرفاً ، يجمعهما لفظ(فجثت زينب لذود شمس)، وهي : الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والدال ، والذال ، والزاي ، والسين ، والشين ، والفاء ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والياء .وذلك نحو : (حَبَّة) [٢] ، (ميتَة)[٣] ، (ثلاثَةَ) [٤] ، (بهجَة)[٥] ، (بلدَة)[٦]، (لذَّة)[٧]،(أعزَّة)[٨] ،(خمسَة)[٩]، (عِيشَة)[١٠] ،(خليفَة)[١١] ،(ليلَة)[١٢]

---

(١) وانظر في هذا الأمر : التيسير للداني ، ص٥٤-٥٥ ، إبراز المعاني ص ٢٤٣ ، سراج القارىء ص ١١٨ ، النشر ٢/ ٨٤ -٨٦ ، غيث النفع ص ٩٢-٩٣ .

(٢) سورة البقرة (٢٦١) .

(٣) سورة الأنعام (١٣٩) .

(٤) سورة النساء (١٧١) .

(٥) سورة النمل (٦٠) .

(٦) سورة الزخرف (١١) .

(٧) سورة الصافات (٤٦) .

(٨) سورة المائدة (٥٤) .

(٩) سورة المجادلة (٧) .

(١٠) سورة الحاقة (٢١) .

(١١) سورة البقرة (٣٠) .

(١٢) سورة الأعراف (١٤٢) .

،(رحمَة) [١]، (الجنَّة)[٢] ،(قوَّة) [٣] ،(خشيَة)[٤] . فهذه تمال من غير قيد .

وكذلك تمال (هاء التأنيث) وما قبلها ، إذا كان قبلها حرف من أربعة أحرف يجمعها لفظ (أكهر)، وهي : الهمزة ، والراء ، والكاف ، والهاء ، بشرط أن يكون قبل هذه الأحرف، ياء ساكنة ، نحو:(هَيْأَة)[٥] ،(الأيْكَة) [٦]، أو أن يكون قبلها كسرة طويلة أو قصيرة ، نحو (كبِيرَة) [٧]،(الآخِرَة)[٨] ،(فِئَة)[٩] ،(آلِهَة)[١٠] ، أو كسرة منفصلة بساكن قبل هذه الأحرف الأربعة، وذلك نحو :(العِبْرَة) [١١] ، (وِجْهَة) [١٢] ،(فِطْرَة) [١٣] .

وأصحاب هذا المذهب يفتحون (هاء التأنيث) وما قبلها حال الوقف ، فيما سوى ذلك من سائر حروف الهجاء ، وهي عشرة حروف :حروف الاستعلاء السبعة (الخاء ، والصاد ، والضاد ، والطاء،والظاء ، والغين ، والقاف) وهي المجموعة في قولنا: (خص ضغط قظ) ،

---

(١) سورة البقرة (١٥٧) .

(٢) سورة النساء (١٢٤) .

(٣) سورة الاعراف (١٤٥) .

(٤) سورة النساء (٧٧) .

(٥) سورة آل عمران (٤٩) .

(٦) سورة ص (١٣) .

(٧) سورة التوبة (١٢١) .

(٨) سورة البقرة (٨٦) .

(٩) سورة الانفال (١٦) .

(١٠) سورة الانعام (٧٤) .

(١١) سورة النحل (٦٦) .

(١٢) سورة البقرة (١٤٨) .

(١٣) سورة الروم (٣٠) . هذا وقد كان عمدتنا في تخريج الآيات السابقة كلها ماجاز الوقف عليها -غالباً - ، كما يرشد إلى ذلك علم الوقف والابتداء . من أجل الاطلاع على ذلك ، انظر : المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني ، تحقيق د . يوسف المرعشلي ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ =١٩٨٤ م، مؤسسة الرسالة -بيروت . ومنار الهدى في الوقف والابتدا ، للأشموني ، ط٢، ١٣٩٣هـ =١٩٧٣م ، مطبعة البابي الحلبي بمصر .

إضافةً إلى ثلاثة أحرف حَلْقيّة[١] مجموعة في لفظ (حاع) ، وهي : الألف ، والحاء، والعين، وذلك ، نحو :(الصّلَاة) [٢] ، (النّطيحَة) [٣] ، (الصّاخَّة)[٤]،(خالصَة)[٥] ، (بعوضَة)[٦]، (بسطَة)[٧] ، (موعظَة)[٨] ،(سبعَة)[٩] ،(صِبغَة)[١٠].

وكذلك يُضاف إلى هذه الحروف حروف لفظ(أكهر) السابقة ، إذا اختَلّ أحد شروط إمالتها المذكورة فيما سلف ، نحو : (النَّشْأَة) [١١] ، (بَراءَة) [١٢] ،(امْرَأَة)[١٣]،(الشَّوكَة)[١٤] ،(بكَّة) [١٥] ،(التَّهْلُكَة)[١٦] ،(مُبَاركَة) [١٧]، (سفاهَة) [١٨]

---

(١) حروف الحلق ستة هي : الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء ، سُمِّيت حروفاً حلقيّةً ، لأنّ مخرجهنّ من الحلق . انظر : الرعاية ، لمكي بن أبي طالب ص ١٣٩ ، التحديد في الإتقان والتجويد ، للداني ص ١١٣.

(٢) سورة البقرة (٣) .

(٣) سورة المائدة (٣) .

(٤) سورة عبس (٣٣) .

(٥) سورة البقرة (٩٤) . وهو أول مواضع ذكره في الكتاب الكريم .

(٦) سورة البقرة (٢٦) .

(٧) سورة البقرة (٢٤٧) .سورة الأعراف (٦٩) .

(٨) سورة البقرة (٦٦) وهو أول مواضعه .

(٩) سورة البقرة (١٩٦) وهو أول مواضعه .

(١٠) سورة البقرة(١٣٨) .

(١١) سورة العنكبوت (٢٠) .

(١٢) سورة التوبة (١) .

(١٣) سورة آل عمران (٣٥) .

(١٤) سورة الأنفال (٧) .

(١٥) سورة آل عمران (٩٦) .

(١٦) سورة البقرة (١٩٥) .

(١٧) سورة النور (٣٥) .

(١٨) سورة الأعراف (٦٦) .

،(العُمْرَة) [١] ،(الحِجَارَة)[٢] ،(سَفَرَة) [٣] .

فهذه الألفاظ كلها يفتحها أصحاب هذا المذهب عن الكسائي .

أما :

المذهب الثاني :

فيقول أصحابه بإمالة (هاء التأنيث) مع كل الحروف باستثناء (الألف) في نحو:(الصَّلَاة) [٤] و(الزَّكَاة) [٥] وعلى هذا الإطلاق فإنّه يجوز إمالة :(الحَآقَّة) [٦] ،(الصَّيْحَة) [٧] ،(طَاعَة) [٨] ،(غِلْظَة) [٩] ،(نَفْخَة)[١٠] ،(مَخْمَصَة)[١١] ،(مَقْبُوضَة)[١٢]،(بَالغَة) [١٣] ،(حِطَّة) [١٤] . "وهذا مذهب أبي بكر بن الأنباري وابن شنبوذ ، وابن مقسم ، وأبي مزاحم الخاقاني ، وأبي الفتح فارس بن أحمد ، وشيخه أبي الحسن عبد الباقي الخراساني ، وبه قرأ الداني على أبي الفتح المذكور ، وبه قال السيرافي وثعلب والفراء " [١٥] .

---

(١) سورة البقرة (١٩٦) .

(٢) سورة البقرة(٢٤) .

(٣) سورة عبس (١٥) .

(٤) أول مواضعه سورة البقرة (٣) .

(٥) سورة البقرة (٤٣) في موضعه الأول .

(٦) سورة الحاقة (١)

(٧) سورة هود (٦٧) .

(٨) سورة النساء (٨١) .

(٩) سورة التوبة (١٢٣) .

(١٠) سورة الحاقة (١٣) .

(١١) سورة المائدة (٣) .

(١٢) سورة البقرة (٢٨٣) .

(١٣) سورة الأنعام (١٤٩) .

(١٤)سورة البقرة (٥٨) .

(١٥) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ٨٦/٢.

هذا ، وقد انتصر أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ) لهذا الإطلاق في إمالة (هاء التأنيث) وما قبلها ، عندما سُئل عما استثناه بعضهم من الإمالة في هذا الباب ، فقال عن هذا الاستثناء :" لاوجه له ، لأنّ هذه الهاء طرف ، والإعراب لايُراعى فيه الحرف المستعلي ولاغيره "، قال :" وفي القرآن: أعطى ، واتقى ، ويرضى ، لاخلاف في جواز الإمالة فيه وفي شبهه ، فلما أجمعوا على الإمالة لقوة الإمالة في الأطراف في موضع التغيير كانت (الهاء) في الوقف بمثابة الألف إذا عدمت الألف ، نحو (مكة) و(فطرة)"[١].

وعند ترجيح أحد المذهبين على الآخر يظهر أنّ **المذهب الثاني هو الأرجح** ، وإن كان أكثر القراء على خلافه ، **ويبدو لي رجحان هذا المذهب بما يأتي :**

١- أنّ الَّلذَيْن رويا إطلاق الإمالة في هاء التأنيث مع سائر الحروف سوى الألف عن الكسائي هما :

أ- خلف بن هشام البزّار البغدادي (ت٢٢٩هـ) ، الإمام ، أحد القراء العشرة ، وأحد الرواة عن سُلَيْم عن حمزة الزّيّات الكوفي ، وهو ثقة كبير عالم ، سمع من الكسائي الحروف[٢]، وقد قال الداني (ت٤٤٤هـ) عنه :" وقد أطلق خلف عن الكسائي القياس في إمالة سائر الحروف قبل هاء التأنيث ، لم يستثنِ من ذلك ، ولا خصَّ بعضاً دون بعضٍ [٣] وقال الداني في موضع آخر :" وبإطلاق القياس في ذلك قرأت علي أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي .. وكذلك حدّثنا محمد بن علي ، قال : حدثنا ابن الأنباري ، قال : حدثنا إدريس عن خلف عن الكسائي" [٤]. فوصل الرواية بإطلاق الإمالة في هاء التأنيث مع سائر الحروف بالإسناد الصحيح .

---

(١) انظر : النشر ٢/٨٥ -٨٦ .

(٢) انظر ترجمته في : غاية النهاية ١/٢٧٢ وما بعدها .

(٣) الموضح للداني ، ورقة ٦٥، كما في الإمالة ص ٢٣٨ .

(٤) انظر : تحبير التيسير ص ٧٣ .

ب- أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الخاقاني ، البغدادي (ت٣٢٥هـ)، المقرىء ، المجوِّد ، الثقة ، أخذ قراءة الكسائي عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب، ومحمد بن الفرج ، كلاهما عن الدوري عن الكسائي ، نعته الداني بأنه كان إماماً في قراءة الكسائي ، ضابطاً لها ، مضطلعاً بها ، قرأ عليه غير واحد من الحذاق [١] ، وقال عنه عند الكلام على إطلاق القياس في إمالة هاء التأنيث مع سائر الحروف ، بعد ذكره روايةَ خلف عن الكسائي :" وكذا رُوي عن أبي مزاحم الخاقاني ، وكان من أضبط الناس لحرف الكسائي ، وإلى ذلك يذهب أبو بكر بن الأنباري ، وجماعة من أهل الأداء والنحويين " [٢].

نخلص بهذا ، إلى أنّ اللَّذَيْنِ رَوَيَا إطلاق الإمالة في هاء التأنيث عند سائر الحروف ، هما إمامان ثقتان ثبتان ، أحدهما - وهو أبو مزاحم الخاقاني - كان من أضبط الناس لقراءة الكسائي ، مختصاً بها .

٢- إنعدام النص عن الإمام الكسائي في استثناء حروف بعينها في إمالة (هاء التأنيث)وما قبلها . فقد علّق الداني على مذهب أبي بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) وأصحابه في استثناء بعض الحروف ، فقال : " فإنّ ابن مجاهد وأصحابه كانوا لا يرون إمالة(الهاء) وما قبلها مع ذلك [٣] ، والنص عن الكسائي في استثناء ذلك معدوم " [٤].

وحاول أبو الحسن علي بن محمد النّوري الصفاقسي (ت ١١١٧ هـ) التوفيق بين المذهبين ، في الحروف المستثناة مقويًا وجه الإمالة فقال : " وهذا القسم كان كثير من شيوخنا يقرؤه بالفتح فقط ، وبعضهم يقرؤه بالوجهين مقَدِّمًا الفتح ، وهو الأوْلى [٥] عندي ، واستقر عليه أمرنا في الإقراء ، لأنّ وجه الإمالة صحيح ثابت كما رأيت ، فالأخذ بالفتح دونه تحكّم،

---

(١) ترجمته في غاية النهاية ٢/ ٣٢٠ وما بعدها .

(٢) الموضح ، ورقة ٦٥ ، نقلاً عن الإمالة في القراءات واللهجات ص ٢٣٨ .

(٣) أي مع الحروف المستثناة من الإمالة .

(٤) تحبير التيسير ص ٧٣ .

(٥) أي وجه القراءة بالوجهين : الفتح والإمالة .

لا سيّما مع قول الحافظ أبي عمرو : والنص عن الكسائي .. الخ " [١].

وهكذا نتبيّن أنّ الأصل في القراءة المروية عن الإمام الكسائي هو إطلاق إمالة هاء التأنيث مع سائر الحروف قبلها ، وعدم ورود نص صريح ، أو رواية صحيحة عن الكسائي ، في استثناء بعض ما استثناه القوم ، من حروف لم يستجيزوا إمالتها مع هاء التأنيث حال الوقف ، والذي يتجه لي في تعليل هذا الاستثناء ، هو أنّ هذا الأمر من القراءة ، قد نزل من القراء منزل الاجتهاد ، على أصل الرواية والإسناد . وهذا الأمر جائز في القراءة حال انعدام النص والرواية الصحيحة ، وهو أصل يعمُّ العلومَ النقليّةَ جميعَهَا - كما هو معلوم -. لكن الأصل في إطلاق إمالة الحروف قبل هاء التأنيث ، مقدّم على الاستثناء ، وهو الأوْلى في الرواية ، والأحرى في الاتباع ، والله أعلم.

على أنّ بطون كتب القراءات مليئة باجتهادات علماء القراءات ، في المواطن التي عزّ فيها النصوص الصريحة ، والروايات الصحيحة ، ولولا الخوف أن يطول بي المقام لأوردت جُمَلاً من هاتيك الاجتهادات ، لكنّ المقام ليس بمحلٍّ ذلك ، ولا بمحتملٍ له ، فأكتفي بالإشارة عن العبارة .(*)

وبناءً على ما سبق ، فإنّ العمل الإقرائي بمطلق الرواية ، يبقى هو الأولى من العمل بالاجتهاد في الاستثناء ، مع انعدام النص فيه ، لأنّ مطلق الرواية في إمالة الحروف قبل هاء التأنيث إثبات، والاجتهاد في استثناء بعض الحروف من الإمالة نفي ، والاثبات مقدّم على النفي - كما لا يخفى -.

وأُراني الآن بعد إثبات مذاهب الراوين عن الكسائي الإمالة في (هاء التأنيث) وما

---

(١) غيث النفع في القراءات السبع ، للصفاقسي ، ص ٩٣- ٩٤ .

(*) انظر أمثلةً لذلك ، على سبيل التمثيل لا الحصر في : سراج القارىء ص ٥٦ ، والنشر ٢/ ١٠٣ -١٠٤ ، ومختصر بلوغ الأمنية شرح تحرير مسائل الشاطبية ، لعلي محمد الضباع ، بذيل صحائف سراج القارىء ، ص ٥٤، وإرشاد المريد ص ٤٨ ، ١١٧ -١١٨ والبدور الزاهرة ص ١٤١ .

قبلها ، أنتقل إلى تعليل ما سبق وتوجيهه. فأقول مستعيناً بالله :

أما علة إمالة (هاء التأنيث) فلمضارعتها - بالجملة-(ألفَ التأنيث) من خمس جهات:

١- قرب المخرج من (الألف).

٢- أنّها زائدة كألف التأنيث.

٣- أنها تدل على التأنيث كالألف .

٤- أنها تسكن في الوقف كالألف.

٥- أنّ ما قبلها لا يكون إلا مفتوحًا كالألف [(١)].

" وإذا تقرر اتفاق (الألف) و (الهاء) على الجملة ، وزادت هذه الهاء التي للتأنيث على الخصوص ، اتفاقها مع ألف التأنيث على الخصوص، في الدلالة على معنى التأنيث ، وكانت ألف التأنيث تُمال لشبهها بالألف المنقلبة عن (الياء) ، أمالوا هذه (الهاء) حملاً على ألف التأنيث المشبَّهة في الإمالة بالألف المنقلبة عن الياء ، وذلك ظاهر " [(٢)].

ويوجّه مكي (ت ٤٣٧هـ) إمالة (هاء التأنيث) بعد أن ذكر أوجه الشبه بينها وبين (ألف التأنيث) فيقول : " فلمّا تمكّن الشّبه في الوقف بالسكون ، أجراها الكسائي مُجرى الألف في الوقف خاصّة ، فأمال ما قبلها من الفتح ، فقرّبه من الكسر ، كما يفعل بألف التأنيث ... ، فإن وصل فتح ، لأنها تصير تاءً ، فلا تُشبه حينئذٍ الألف ، فلذلك حَسُنَ الوقفُ بالإمالة " [(٣)].

وأما العلة في فتح (هاء التأنيث) إذا وقع قبلها حرف من حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ)، على ما يقتضيه المذهب الأول فلأنّ هذه الحروف " حروف مستعلية في الحنك ، ومنها حرف الإطباق ، ينطبق اللسان بالحنك مستعليًا عند حروفها ، فَكَرِهَ ابنُ مجاهد أن

---

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢٠٣/١ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٨٧/٢ -٨٨

(٣) الكشف ١/ ٢٠٣

يُنحى بهذه الحروف نحو الكسرة ، بعد استعلائها وتصعّدها وانطباقها بالحنك. فكان الفتح أولى بها ، لأنه أشبه بحالها من الكسر ، لأنّ الكسر ضد حالها " [١] ، فلما منعت حروف الاستعلاء الإمالةَ في (الألف) ، كان منعها إياها في الهاء المشبَّهة بالألف أولى وأحرى[٢].

واما وجه مَنْ فتح (هاء التأنيث) إذا جاء قبلها أحد حروف الحلق الأربعة : الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، إذاكان قبل (الهمزة والهاء) خاصّةً فتحةٌ أوضمّةٌ ، أو ساكن غير الياء ، ليس قبلها كسرة، فلأنّ حروف الحلق من حيّز (الألف) ، والفتح من الألف[٣]، وحروف الحلق – أيضًا –" بعيدةٌ من الكسر ، لبعدها من الياء ، قويّة في الفتح ، لقربها من الألف ...، فلما كانت كذلك قَوِيَ الفتحُ وبَعُد الكسر ، فتُركت على فتحتها ، واختير ذلك فيها . فإن انكسر ما قبلها ، أو كان (ياء) قَوِيَت الإمالة وجازت ، واستُعملت في قراءة الكسائي ، لأنّ الكسرة والياء توجبان الإمالة فسهّلا إمالة ما بعدهما وحسّناه ، نحو (بالخَاطِئَة) ، (فَاكِهَة) » [٤].

ووجه فتح (هاء التأنيث) إذا كان قبلها ألف أو فتحة طويلة « أنه إذا وقف بالفتح مع الحاء والعين من أجل أنهما حرفا حلق من حيّز الألف ، كان الوقف عليها بالفتح مع الالف أحرى » [٥].كما يكون فتح (هاء التأنيث) أخصّ ، إذا سُبقت بألف منقلبة عن (واو) ، نحو (الصلاة) و(الزكاة) ، وعلة ذلك – إضافةً إلى ما سبق – « أنك لو أملتَ ماقبل هاء التأنيث في هذا لأملتَ الألف، ولم تقدر على أمالة الألف حتى تميل الفتحة التي قبلها نحو الكسرة ، فيخرج الأمر إلى حكم آخر ، وهو حكم إمالة ذوات (الواو) ، وذلك غير مرويّ عن أحد ، ويصير إلى إمالة (ألف) منقلبة عن (واو) ثالثة ، وهذا غير جائز ،

---

(١) الكشف ١/٢٠٤ -٢٠٥ .

(٢) انظر : الموضح للداني ، ورقة ٦٦-٦٧ ، نقلاً عن الإمالة ص ٢٣٩ .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) الكشف ١/ ٢٠٥ .

(٥) انظر : الموضح للداني ، ورقة ٦٦-٦٧ ، نقلاً عن الإمالة ص ٢٤٠ .

إذ لا علة توجب الإمالة : لا كسرة ، ولا أصل في (الياء) ، ولا رُوي عن أحد» [١].

فإن سأل سائل فقال : فكيف أمال الكسائي الألف من (كَمِشْكَاة) [٢]و (مُزْجَاة)[٣] ؟ فيجيبهمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) بقوله : « فأما (كمشكاة) و (مزجاة) وشبهه ، فلم تقع الإمالة فيه لأجل هاء التأنيث ، إنما وقعت ووجبت لأجل أنّ الألف رابعة . وكل ألف رابعة فالإمالة حسنة فيها ، كانت الألف من الياء أو من الواو ، ألا ترى أن (أزكى) و (أدعى) و (يدعى) وشبهه يُمال ، وإن كانت ألفه أصلها الواو ، لأنها قد صارت رابعة ، فخرجت عن حكم الألف الثالثة التي أصلها الواو . ألا ترى أنك تقول : زكوت وأزكيت ، فتثبت الواو إذا كانت ثالثة ، وترجع الياء في موضعها إذا كانت رابعة » [٤].

ويقول – أيضًا – كاشفًا الإلباس عما قد يقع توهمًا في بعض الألفاظ ، أنها من هذه الشاكلة من الإمالة :« فأما الإمالة في (تُقَاة) [٥] و (تُقَاتِه) [٦] فإنما وجبت ، لأجل أن أصل الألف (الياء) ، فلا مزية للوقف على الوصل ، ولا سبيل لهاء التأنيث في هذه الإمالة ، لأنّ الممال في هذا هو الألف وما قبلها ، يُنحى بالألف نحو أصلها ...، وهاء التأنيث إنما تُمال الفتحة التي قبلها نحو الكسرة لا غير ، فاعرف الفرق بينهما . » [٧]. فالممال – إذن – في الكلمات المتقدمة هي الألف ، لا الهاء وما قبلها، « إذ لو كان ذلك لما جازَت الامالة فيها في حال الوصل ، لانقلاب الهاء المشبهة بالألف فيه تاء » [٨].

---

(١) الكشف ١/ ٢٠٦ .

(٢) سورة النور (٣٥) .

(٣) سورة يوسف (٨٨) .

(٤) الكشف ١/ ٢٠٧ .

(٥) سورة آل عمران (٢٨) .

(٦) سورة آل عمران (١٠٢) .

(٧) الكشف عن وجوه القراءات ٢٠٨/١ .

(٨) انظر : النشر ٢/ ٨٩ ، نقلاً عن الداني في مفرداته .

وأما حجّةُ مَنْ فتح (الراء) مع هاء التأنيث ، إذا كان ما قبل الراء مفتوحاً ، أو كان ساكنًا غير (الياء) قبله فتحه فـ « لأنّ الراء حرف تكرير ، الفتحة عليه قوية ، كأنها فتحتان ، فإذا انفتح ما قبلها ،أو انفتح ما قبل الساكن الذي قبلها ، تقوّى الفتح فيها ، وصار كأنّ قبل هاء التأنيث ثلاث فتحات، فبَعُدَ أن يُنحى بذلك نحو الكسرة لتمكنه في الفتح » [١].

وكذلك امتناع الإمالة مع (الكاف) إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، أو كان ساكنًا – غير (الياء)– قبله فتحة ؛ فلقرب الكاف من (القاف) مخرجًا [٢]، والقاف من حروف الاستعلاء ، التي تُمنتع إمالتها مع هاء التأنيث على من ذهب هذا المذهب – كما قدمناه – .

هل الممال (هاء التأنيث) وما قبلها ، أم ماقبلها فقط ؟

اختلف القراء في إمالة (هاء التأنيث) من حيث تعيين الممال ، هل هو (هاء التأنيث) وما قبلها ؟أم أنّ الممال هو ما قبلها فقط ؟.

يقول الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في الجواب عن هذا السؤال: " فذهب جماعة من المحققين إلى الأول [٣]، وهو مذهب الحافظ أبي عمرو الداني ، وأبي العباس المهدوي ،وأبي عبد الله بن سفيان وأبي عبد الله بن شريح ، وأبي القاسم الشاطبي وغيرهم .

وذهب الجمهور إلى الثاني [٤] ، وهو مذهب مكي والحافظ أبي العلاء ، وأبي العز وابن الفحام وأبي الطاهر بن خلف ، وأبي محمد سبط الخياط ، وابن سوار وغير هم. والأول أقرب إلى القياس ، وهو ظاهر كلام سيبويه ، حيث قال: شبه الهاء بالالف ، يعني في الإمالة ،

---

(١) الكشف ١/ ٢٠٥ .

(٢) يُنظر المصدر نفسه ١/٢٠٥ .

(٣) أي القول بأنّ الممال هو هاء التأنيث وما قبلها .

(٤) أي القول بأنّ الممال هو ماقبل هاء التأنيث فقط .

والثاني أظهر في اللفظ ، وأبين في الصورة ... » [١] .

والذي يظهر لي أنّ القول الأول ، في أنّ الممال هو هاء التأنيث وما قبلها ، هو الأصح والأقرب إلى القياس ، و الأظهر في اللفظ ، والأبين في الصورة ، خلافًا لما ذهب إليه ابن الجزري - رحمه الله - ، وخلافًا لما ذهب إليه جمهور القراء !.

ويتضح زعمي الذي نحوت إليه عند إجراء تجربة صوتية ، على كلمة منتهية بهاء التأنيث ، حال الوقف عليها ، تارةً بإمالة ما قبلها ، وبإخلاص فتحه تارةً أُخرى ، ثم تسجيل الفرق الصوتي النسبي بين صوت (هاء التأنيث) حال فتح ما قبلها ، وحال إمالة ما قبلها ، وهنايجدر بي التنبيه على أنّ القراء المجيدين المتقنين ، يحرصون كل الحرص على العناية بلفظ صوت (هاء التأنيث) ساكنةً حال الوقف عليها، وهذا بيّن جليّ لمن يستمع إلى هؤلاء القرأة المتقنين ، عندما يلفظون (هاء التأنيث) واقفين عليها،سواء أبالإمالة وقفوا أم بالفتح .

وعند إجرائي التجربة تلو الأُخرى ، عندما كنت أقرأ القراءات السبع وأتلقّاها مشافهةً ، أو بعدما منّ الله تعالى عليَّ بالإجازة في رواية القراءات السبع - ومن ضمنها قراءة الكسائي - ، قراءةً وإقراءً بالسند المتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أقول : كنت أُلاحظ فرقاً جليًّا في الأسماع بين صوت (هاء التأنيث) عند الفتح ، وصوتها عند الإمالة ، فصوت (الهاء) عند الفتح يكون قريباً من صوت الهاء في نحو : (عليهَا) ، وصوت (الهاء) عند الإمالة قريب من صوت الهاء في مثل : (عليهِم) . ويمكننا -مثلاً - تسجيل كلمة (القيامَة)صوتياً ، مرةً بالفتح ، ومرةً بإمالة ما قبل (هاء التأنيث) ، لنرى الفرق بين صوتي الهاء في الحالين ، ولا بدّ أن نجد فرقاً ، حيث نلاحظ تأثّر صوت (الهاء) بما قبلها ، تأثّراً تقدميّاً ، فعند فتح ما قبل (الهاء) نجد صوتها قد خرج مطلقا دون تكييف ، وعند إمالة ما قبل (الهاء) نلاحظ أنّ هناك تكيّفًا قد اعترى صوتها وتضييقًا ، وهذا يدعونـــــي

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/ ٨٨.

- أيضًا- إلى القول بأنّ إمالة (هاء التأنيث) عند الوقف عليها ، هو من قبيل التأثّر التقدّمي، والمشاكلة في اللفظ ، والانسجام في الصوت . ويمكننا كذلك أن نقول : أنّ (هاء التأنيث) أُميلت لإمالة ما قبلها ، فهي من قبيل الإمالة للإمالة التي هي من باب المشاكلة بين الأصوات ، وتأثّر بعضها ببعض ، وقد سبق بيان ذلك .

ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنّ السر في الإمالة يرجع في الحقيقة إلى الانسجام الصوتي ، والتماس الخفة . (١)

يقول أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : « فمن ذلك الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت . وذلك نحو : عَالِم ، وكِتاب ، وسَعَى ، وقَضَى ، واستقضَى ؛ ألا تراك قرّبت فتحة العين من(عَالِم) إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة ، فأملت الألف نحو الياء . وكذلك (سعى) و (قضى) نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها ، وعليه بقية الباب » (٢).

وأما قول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) عن مذهب أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) في إمالة هاء التأنيث وما قبلها : « ويلزم على مذهبه ومذهب أصحابه أن يقال القدر الذي يحصل في صوت (الهاء) من التكيّف الذي يسمونه إمالة .. » (٣) فلو توفرت لدينا أجهزة الصوت المختبرية ، التي نستطيع بها فحصَ الجهاز الصوتي للقارئ وتصويرَه ، لتمكنا - بيسرٍ - أن نبيّنَ ونقول القدر الذي يحصل في صوت هاء التأنيث من التكيّف الذي سمّيناه (إمالة) ! - على حد تعبير ابن الجزري - ، بوجهٍ لايعتريه الشك ، وشكلٍ لا تعتوره الظنون ، وبذلك يكون الجواب عما أراده ابن الجزري -رحمه الله - .

ومن ثَمَّ يتبيّن وَهْمُ الدكتور إبراهيم أنيس عندما نفى وجود صوت (هاء التأنيث) عند الوقف أصلاً ، وعدّ ذلك ظنًا ! ، وذلك حيث يقول : « .. وما ظنه القدماء (هاء) متطرفة

---

(١) انظر : الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ٢٥٤ .

(٢) الخصائص ٢/١٤١ .

(٣) النشر ٢/ ٨٩ .

هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يُسمى عند القدماء ألف المد ، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يُسمى بالتاء المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظنّ النحاة ، بل يُحذف آخرها ، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة)، فيُخيّل للسامع أنها تنتهي بالهاء»[١] .

وما قاله الدكتور إبراهيم أنيس مبني على عادة المحدَثين في إجراء دراساتهم الصوتية على اللهجات العامية الحديثة ، أو على لهجاتٍ غير المتقنين للعربية الفصيحة، وأصواتهاالصحيحة ، ومن هنا ينشأ القصورفي الدراسة والبحث ، ثم الخطأ والخلط في النتائج، وماذا عليهم لو رجعوا في دراساتهم الصوتية، إلى نقلة أصوات أعظم وأعلى،وأصح وأرقى نصّ عربي في الوجود ؟! لا جرم أنهم لو فعلوا ذلك - والأمر جد يسير - لجنّبوا أنفسهم مزالق ماكان لهم أن يقعوا فيها ، فذلكم قراء القرآن العظيم المجيدون ، في كل عصر ومصر موجودون ، ولاغرو والله تعالى يقول : « إنّا نحن نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون» [٢].

ويتساءل - هنا - الدكتور عبدالفتاح شلبي تعقيبًا على ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس فيقول :

« هل القارىء إذا قرأ قوله تعالى : « فلا اقتحم العَقبَة * وما أدراك ما العَقبَة * فكّ رقبَـــة * أو إطعامٌ في يوم ذي مَسْغَبَة * يتيمًا ذا مَقْرَبَة * أو مسكينًا ذا مَتْرَبَة * ثم كان من الذين آمنوا وتَواصَوْا بالصبر وَتَواصَوْا بالمَرْحَمَة * أولئك أصحاب الميمنَة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشْئَمَة * عليهم نارٌ مُؤْصَدَة» [٣] في عمد ممدَّدَة [٤]، واتبع مذهب

---

(١) في اللهجات العربية ، ص ١٣٦ .

(٢) سورة الحجر (٩) .

(٣) سورة البلد من (١١) إلى (٢٠) .

(٤) كذا في الأصل ! والظاهر أنه قد وقع هنا تخليط ، حيث زيدت هذه الآية (في عمد ممدَّدة) هنا ظناً أنها من السورة نفسها ، والصواب أنها آخر سورة الهمزة (٩) ، ولعل السبب في ذلك يعود الى تشابه الآيات .

الكسائي في إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف ، فأمال (العقبة) ، (رقبة) ، (مسغبة) ، (مقربة) .. الخ ، هل يحذف (الهاء) في هذه الكلمات من النطق ؟ لا ! . وإذا كان حَذْفُ (الهاء) في مثل هذه الكلمات في اللهجات العربية الحديثة ، فإنّ القراء يحرصون على النطق بها » [١] .

أقول : وقد ثبت لدينا إمالة (هاء التأنيث) ووجودها حقيقةً في الصوت فيما تقدم ، وهو الذي تلقيناه عن مشايخنا من القراء المتقنين ، وأشهد أنهم كانوا كثيراً ما يُشدّدون على ضرورة إخراج هذه (الهاء) حال الوقف ، منبّهين التلاميذ على ذلك أيّما تنبيه ، منكرين على تاركه أشدّ النكير ، وهو الذي قد أُخِذَ علينا العهد أن لا نَقرأ ولا نُقرىء إلا به .

وهكذا نردّ ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس حيث لم يثبت عند التجربة ، ولا يصح بعد التحليل ، على احتفاظنا له على ذلك بالشكر الجزيل ، والله الموفق إلى خير سبيل .

تنبيـــه :

لفظ (فِرْقَة) في قوله تعالى : « ... فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْ مَهُم إذَا رَجَعُوا إليهم لعلّهم يَحْذَرُون » [٢] . إذا وقف عليه الكسائي بالإمالة ، فله التفخيم والترقيق في الراء الساكنة ، قياسًا على لفظ (فِرْقٍ) من قوله تعالى : " .. فانْفَلَقَ فكان كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العظيم " [٣] ، فمن نظر إلى إمالة (هاء التأنيث) وما قبلها رَقّق ، ومن نظر إلى استعلاء (القاف) فخّم . على أنّ هذا من الأمور الاجتهادية القياسية ،التي لم يرد فيها نص.

أما إذا وقف على (فرقة) بالفتح ، فليس للكسائي حالئذٍ إلا تَفخيمُ الراء ، كما هو معلوم من أحكامها لسائر القراء [٤].

---

(١) الإمالة في القراءات واللهجات ، ص ٢٤٤ .

(٢) سورة التوبة (١٢٢) .

(٣) سورة الشعراء (٦٣) .

(٤) انظر : النشر ٢/ ١٠٣ -١٠٤ ، إتحاف فضلاء البشر ص ٩٧ ، غيث النفع ص ٢٤٠ ، البدور الزاهرة ص ١٤١.

الفصل الثالث

الإشـــــــــمام

الفصل الثالث

الإشـــــــمام

الشَّمّ - في الأصل - حسُّ الأنف ، وأشَمَّ : مرّ رافعاً رأسه ، وعَدَل عن الشيء، وأشَمَّ الحروف : أذاقها الضمة أو الكسرة ، بحيث لا تُسمع ولا يُعتدّ بها ، ولا تكسر وزناً [١] .

وللإشمام عند القراء تعاريف عدّة ، وإطلاق تعريف ما على الإشمام بوجه عام فيه قصور ، لذلك أرى أنْ يُحَدَّ كل نوع ٍ من أنواع الإ شمام على حِدَة ، دون خلطه بنوع آخر ، لأنّ الإشمام أنواع ، وليس نوعاً واحداً فحسب . ويتضح هذا جليًّا عند سَبْر مارُوي عن العرب، وما سُمع من أئمة القراءة ، وهذا بيان ذلك :

أنواع الإشمام :

يُطلق الإشمام على أنواع ثلاثة ، جاءت بها الرواية عن العرب ، وتواترت بها القراءة عن الأئمة القراء ، وهذه الأنواع وتعاريفها :

النوع الأول :

ضم الشفتين بعد إسكان الحرف المرفوع عند الوقف ، من غير تصويت ، إشارةً إلى ضم آخر اللفظ الموقوف عليه ، نحو الوقف على لفظ (نستعينُ)[٢] مثلاً .

---

(١) انظر : لسان العرب (٣٢٦/١٢- شمم) ، والقاموس المحيط (ص١٤٥٥- شمم) .

(٢) سورة الفاتحة (٥) .

أو ضم الشفتين حال إدغام الحرف المرفوع في مثله ، عند الوصل ، إشارةً إلى حركة المدغَم ، وذلك في نحو : (لا تأمَنَّا) [١] إذ أنّ أصله (لا تأمنُنَا) فأدغمت النون المرفوعة في أختها المنصوبة ، فيجوز - هنا - هذا النوع من الإشمام ، تنبيهاً على أنّ حركة الحرف المدغَم هي الضمّ . ومن القراء مَنْ جعل هذا والذي قبلهُ نوعين مستقلين وهما من واد واحد[٢].

وهذا النوع من الإشمام لا يُدركه إلاّ المستمع البصير ، ولاحظٌ للأعمى فيه ، فلا داعي - إذن - لهذا النوع من الإ شمام ، في حالة قراءة القارىء منفرداً ، أو قراءته بحضور مستمع أعمى ، بل لابد من وجود قارىء ومستمع بصير [٣] .

على أنّ جُلّ تعاريف مَنْ عَرّفَ الإشمام دارت حول هذا النوع تحديداً ، وهو - كما لايخفى- قصور ليس بمستساغ ، وتقييد غير مرضيّ [٤] .

هذا ، وقد يأخذ القراء ، وأهل الأداء بالإشمام في مثل ما قدّمت ، للكسائي وسائر القراء - رحم الله الجميع - على وجه الجواز لاغير [٥] .

وعن كيفيّة إشمام المُشَمّ من الحروف من هذا النوع يصف لنا أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ذلك فيقول : " وأما المشمّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف ، فحقه أن يُخلص سكون الحرف ثم يُومىء بالعضو ، وهما الشفتان ، إلى حركته ، ليدلّ بذلك عليها من غير

---

(١) سورة يوسف (١١) .

(٢) قارن بـ : نهاية القول المفيد في علم التجويد ، ص ٢٢٠ .

(٣) انظر : التيسير في القراءات السبع ص ٥٩ ، إبراز المعاني ص٢٦٨ ، سراج القارىء ص ١٢٥ ، النشر ١٢٥/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ص ١٠١ ، الأصوات اللغوية ص٤٣.

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر : المصادر والمراجع السابقة ، وأُضيف إليها : التحديد في الإتقان والتجويد ص ٩٨ ، التعريفات ، للشريف الجرجاني ، ط١ ، سنة ١٤٠٣ هـ =١٩٨٣ م ، بيروت ،ص ٢٧ ، الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ط٤ ، سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م ، شركة البابي الحلبي بمصر ، ١١٧/١، علم التجويد ، د.غانم قدوري حمد ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨م ، مطبعة أسعد-بغداد ، ص ١٦٤ ، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الأنطاكي ، ط٣ ،دار الشرق - بيروت - بدون تاريخ ، ٦٤/١ .

(٥) انظر : التيسير ص ٥٩ ، إبراز المعاني ص ٢٦٧ ، سراج القارىء ص ١٢٥ .

صوت خارج إلى اللفظ ، وإنما هو تهيئة بالعضو لاغير ، ليُعلَم بالتهيئة أنّه يُراد المهيّأ له ، ولايعرف ذلك الأعمى ، لأنه لرؤية العين . ويختص به من الحركات الرفع والضم لاغير ، لأنهما من الواو ، والواو تخرج من الشفتين وفيهما تُعالج "[١] .

ويعلّل سيبويه (ت١٨٠ هـ) جواز هذا النوع من الإشمام في الرفع فقط ، فيقول:".وأما الإشمام فليس إليه سبيل[٢] ، وإنما كان ذا في الرفع ، لأنّ الضمّة من الواو ، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك ، لأنّ ضمّك شفتيك كتحريكك بعض جسدك ، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن . ألا ترى أنك لو قلتَ : هذا مَعْن ، فأشممتَ كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تُشمم ، فأنت قد تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضمّ شفتيك ، ولاتقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء .

فالنصب والجر لا يوافقان الرفع في الإ شمام . وهو قول العرب ويونس والخليل " [٣] .

ويعلّل ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) - من القراء - عدم جواز الإ شمام حال النصب والجر بقوله : " ...ولايكون في المجرور والمنصوب ، لأنّ الفتحة من الحلق ، والكسرة من وسط الفم، فلا يُمكن الإشارة لموضعهما ، فالإشمام في النصب والجر لا آلة له "[٤] .

وعن فائدة هذا النوع من الإشمام ، ينقل ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) عن القراء قولهم فيه ، فيقول :" قالوا : فائدة الإشارة في الوقف بالرَّوْم [٥] والإشمام ، هي : بيان الحركة التي تثبت

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد، ص٩٨-٩٩.

(٢) أي : لاسبيل للإشمام في موضع النصب أو الجر ، كما يدل عليه سياق الكلام قبله .

(٣) الكتاب ٤/ ١٧١ -١٧٢ .

(٤) الإقناع في القراءات السبع ١/ ٥٠٥ .

(٥) الرَّوْم: تضعيف الصوت بحركة الحرف الموقوف عليه ، بحيث يذهب معظم الحركة ، ويُسمع لها صُوَيْتٌ خفيٌ ، يسمعه القريب المصغي دون البعيد ، وهو عند القراء خاص بالمرفوع والمجرور . ومثله (الاختلاس) الا أنّه يكون أيضاً في المنصوب ، ويكون في الحالين : الوصل والوقف ، كما أن الثابت فيه من الحركة أكثر من المحذوف ، وقد يُعبّر القراء أو النحاة عن (الروم) أو (الاختلاس) بـ(الاخفاء) مجازاً . انظر : الكتاب ٤/ ٤٣٨ التحديد ص ٩٨ ، إبراز المعاني ص ١٠٠ ، نهاية القول المفيد ص ٢١٨ -٢١٩ ، إرشاد المريد ص ٤١-٤٢.

في الوصل للحرف الموقوف عليه ، ليظهر للسامع أو للناظر ، كيف تلك الحركة الموقوف عليها. وهذا التعليل يقتضي استحسان الوقف بالإشارة، إذا كان بحضرة القارىء من يستمع قراءته .

أما إذا لم يكن بحضرته أحد يسمع تلاوته ، فلا يتأكّد الوقف إذ ذاك بالروم والإشمام ، لأنه غير محتاج أن يبيِّن لنفسه ، وعند حضور الغير يتأكد ذلك ، ليحصل البيان للسامع ، فإن كان السامع عالماً بذلك علم بصحة عمل القارىء ، وإن كان غير عالم كان في ذلك تنبيه له ، ليعلم حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل .

وإن كان القارىء متعلِّماً ظهر عليه بين يدي الأُستاذ هل أصاب ، فيقرَّه ، أو أخطأ ، فيعلّمه . وكثير ما يشتبه على المبتدئين وغيرهم ممّن لم يوقفه الاستاذ على بيان الإشارة أن يُميِّزوا بين حركات الإعراب في قوله تعالى :" وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عليمٌ " [١] و " إني لما أنزلتَ إليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ " [٢] ،فإنهم إذا اعتادوا الوقف على مثل هذا بالسكون لم يعرفوا كيف يقرؤون (عليمٌ) و (فقيرٌ) حالة الوصل ، هل هو بالرفع أم بالجر ؟ ، وقد كان كثير من معلّمينا يأمرنا فيه بالإشارة . وكان بعضهم يأمر بالوصل محافظةً على التعريف به ، وذلك حسنٌ لطيف ، والله أعلم ." [٣] .

---

(١) سورة يوسف (٧٦) .

(٢)سورة القصص (٢٤) .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/١٢٥.

النـــوع الثاني :

خلط حرف بحرف ، كخلط (الصاد) بـ (الزاي) ، أو بعبارة اخرى : إشمام (الصاد) صوتَ (الزاي) ، بمعنى إذاقة الصاد صوت الزاي [١] .

وقد ورد عن الإمام الكسائي - رحمه الله - هذا النوع من الإ شمام ، إذا كانت (الصاد) ساكنةً وبعدها (دال) ، موافقاً شيخه حمزة الزيات (ت١٥٦هـ)[٢] ، وذلك في نحو :(أصْدَق) [٣] ،(تَصْدِيَة) [٤] ، (تَصْدِيق)[٥] ،(قَصْد) [٦] ، (يَصْدِفون) [٧]، (فاصْدَع) [٨] ،(يُصْدِر) [٩] .

وعند خلط صوت الصاد بصوت الزاي فإنهما يتزاوجان فيتولد منهما صوت يحمل صفاتٍ مشتركةً بينهما ، فلا هو بصاد ولاهو بزاي ، وهو عينه صوت (الظاء) التي نسمعها من أفواه العوام في مصر والشام ، حيث يلفظونها (ظاء) غير لِثَوِيَّة [١٠] .

هذا ، وقد أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) في كتابه إلى هذا الصوت ، فقال :" ..تقول في باب الإدغام (مُصْدَر) ، فتَقَّربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال وهي الزاي ، ولاتفعل ذلك بالصاد مع الراء والقاف ونحوهما ، لأنّ موضعهما لم يقرب من الصاد كقرب الدال ...

---

(١) انظر : الرعاية لتجويد القراءة ، ص ٢١٨ ، نهاية القول المفيد ص ٢٢٠.

(٢) يُنظر : التيسير ، ص٩٧ ، إرشاد المريد ص١٦٩-١٧٠.

(٣) سورة النساء (٨٧) و(١٢٢) .

(٤) سورة الأنفال (٣٥) .

(٥) سورة يونس (٣٧) و سورة يوسف (١١١) .

(٦) سورة النحل (٩) .

(٧) سورة الأنعام (٤٦)و (١٥٧) .

(٨) سورة الحجر (٩٤) .

(٩) سورة القصص (٢٣) .

(١٠) انظر : في اللهجات العربية، ص٧٤ .

وقراءةُ أهل مكة اليوم :" حتى يَصْدُر الرِّعاء " [١] بين الصاد والزاي " [٢] . وفي هذا-أيضاً- تعليل لإشمام (الصاد) صوتَ (الزاي) إذا جاورت (الدال) دون سائر الحروف .

ويقول سيبويه في موضع آخر : " فأما الذي يُضارَعُ به الحرف الذي من مخرجه ، فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها (الدال) [٣] ، وذلك نحو : مصْدر ، وأصْدر ، والتصْدير ، لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة ... فجعلوا الأول تابعاً للآخر ، فضارعوا به أشبهَ الحروف بـ (الدال) من موضعه وهي (الزاي) ، لأنها مجهورة غير مطبقة . ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق " [٤] .

ثم يذكر سيبويه أنّ من العرب من يقلب (الصاد) في الحالة المشار إليها (زاياً) خالصةً ، معلّلاً إشمامَ الصاد وقلبَها بالاقتصاد في الجهد العضلي في عملية الكلام طلباً للخفة ، فها هو يقول : " وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها (زاياً) خالصة، كما جعلوا (الإطباق) ذاهباً في الإدغام . وذلك قولك في (التصدير : التزدير) ، وفي (الفَصْد:[٥]الفزد) ، وفي (أصْدَرْت: أزدرت) .

وإنما دعاهم إلى أنْ يقرِّبوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحدٍ ، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحدٍ " [٦].

---

(١) سورة القصص (٢٣) .

(٢) الكتاب (١٩٦/٤ -هارون) .

(٣) في الأصل الذي نقلت عنه صُحِّف هجاء (الدال) المهملة إلى هجاء (الذال) المعجمة ، في كل مواضعه في النص المذكور ، وهو خطأ بيِّن ، لعله سَبْقُ قَلمٍ من المحقق - رحمه الله - .

(٤) الكتاب ٤٧٧/٤-٤٧٨.

(٥) الفَصْد : قَطع عرق من الجسد وإخراج الدم منه ، انظر : أساس البلاغة ، للزمخشري ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩ هـ =١٩٧٩ م ، مادة (فصد) ص ٤٧٤ ، وانظر كذلك : مختار الصحاح ، للرازي ، ط دار البصائر - دمشق ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م ، (فصد) ص ٥٠٤ .

(٦) الكتاب ٤٧٨/٤ ، وانظر : ص ١١٧ من الجزء نفسه .

ويوجّه مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) إشمام الصاد صوت الزاي ، بقوله : " الصاد حرف مهموس ، وبعدها الدال حرف مجهور ، فقُرّبت الصاد من الدال بأن خُلط لفظها بالزاي ، لأنه حرف مجهور مثل الدال ، فصار اللسان يعمل في حرفين مجهورين ، وحَسُن ذلك ، لأنّ الصاد والزاي من مخرج واحد ، ومن حروف الصفير " [١] .

ثم يضع د . إبراهيم أنيس بين أيدينا ملاحظاتٍ قيمةً، حول إشمام الصاد صوتَ الزاي في مِثْل المُثُل المتقدّمة ، وذلك حيث يقول :" فنحن نلحظ في مثل هذه الأمثلة ميل بعض القراء إلى تأثر الصوت الأول بالثاني ، وإن لم يبلغ التأثر حد فناء الصوت الأول في الصوت الثاني .

وإذا علمنا أنّ حمزةَ والكسائيّ وخَلَفاً ، ممّن ينتمون إلى البيئة العراقية ، استطعنا أن ندرك بسهولة أنّ تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، قد شاع في هذه البيئة أكثر من غيرها ، لأنّ القراء من البيئة الحجازية يقرؤون هذه الأمثلة بالصاد الخالصة . بل لقد جاء في بعض الروايات أنّ ظاهرة إشمام الصادِ الزايَ كانت شائعةً في قبيلة (طيء) ، وهو مايؤيد ما نذهب إليه ، قد كانوا يقولون (الزقر) بتفخيم الزاي بدلاً من (الصقر) " [٢] .

بقي أن أُشير إلى ماذكره سيبويه (ت١٨٠هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) من أنّ الصاد لا تُشَمّ صوتَ الزاي إلا إذا وقعت قبل (الدال) فقط ، دون سائر الحروف ، وهذا أمر ينبغي أن لايؤخذ على إطلاقه ، بل يُحمل على ما إذا كانت الصاد ساكنةً . وقبل أن أشرع في تبيان ذلك ، لابّد من عرض ما قاله هذان الإمامان .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٣٩٤ ، وانظر : السبعة ص ١٠٨ .

(٢) في اللهجات العربية ص ٧٤-٧٥ ، هذا، وقد جاء في معجم لغات القبائل والأمصار ، تأليف : د. جميل سعيد و د. داود سلوم ، ط المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٣٩٨ هـ =١٩٧٨ م ، ١/ ١٢٧ ، أنّ (الزّقر) لغة في (الصقر) ، وهي لغة تميمية ، و كما هو معلوم فتميم من عرب الجزيرة ، وطيء من اليمن ، انظر : الاشتقاق ، لأبي بكر بن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون - ط مكتبة الخانجي بمصر - بدون تاريخ ، ص ٢٠١ ، ٣٨٠ .

يقول سيبويه : " ....كماأنك تقول في باب الإدغام (مُصْدر) ، فتقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال وهي الزاي ، ولاتفعل ذلك بالصاد مع الراء والقاف ونحوهما ، لأنّ موضعهما لم يقرب من الصاد كقرب الدال " [١] .

وأما أبو الفتح بن جني فيقول : " ...وإنما تُقلب الصاد زاياً أو تُشمُّ رائحتَها ، إذا وقعت قبل (الدال) ، فإن وقعت قبل غيرها لم يَجُزْ ذلك فيها "[٢] .

والذي حملني على فهم النصين السابقين عن ذينك الإمامين ، على تقييد الصاد المُشَمَّة صوتَ الزاي، إذا وقعت قبل (الدال) بالصاد (الساكنة) ، هو - في الحقيقة - شيئان :

أولاهما : أني ظفرت بنصٍّ لابن جني يقرر فيه تقييد الإطلاق ، الذي يُفهم من كلام سيبويه وكلامه حين النظر فيه نظرة غير متفحصة ، فالصاد الساكنة تُشمّ صوت الزاي إذا وقعت قبل الدال لعلّة ، فإذا تحركت خرجت من هذا الحكم - كما سيأتي - ، وعلة إشمام الصاد إذا سكنت هو ما سيحدثنا به أبو الفتح بن جني - ولا عجب - فكلام العلماء يفسّر بعضه بعضاً ، يقول ابن جني :"... فلمّا سكنت الصاد فَضَعُفَتْ به ، وجاورت الصادُ - وهي مهموسة - ، الدالَ - وهي مجهورة - ، قُرِّبت منها بأن أُشِمَّت شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر " [٣] فهو يقّرر - إذن - أنّ المقصود بما نقلته من كلامه السابق قبل هذا اللاحق، إنما المراد به (الصاد الساكنة) لاغير ، لأنّ الصاد إذا تحركت ووقعت قبل غير (الدال) قد يجوز فيها الإشمام ، على ماصح روايةً ، وتواتر قراءةً - كما سيأتي -، على أنَّ ابن جني قد عقد الشبه بين هذا النوع من الإشمام والإدغام ، وجعلهما من مجرى واحد ، فقال :" وجميع ماهذه حاله مما قُرّب فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب"[٤].

---

(١) الكتاب ٤/ ١٩٦ .

(٢) سر صناعة الإعراب ، لابن جني ٥١/١.

(٣) الخصائص ١٤٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه ١٤٥/٢.

الأمر الآخر : أنّ (الصاد) إذا تحركت ، ووقعت قبل (الراء) تخصيصاً ، فإنّ القراءة المتواترة عن الإمام حمزة الزيات الكوفي من رواية خلف البزّار عنه ، قد وردت بإشمام الصادِ صوتَ الزاي في لفظ (الصِّراط) ، (صِراط) [١] معرّفاً أو غير معرّف ، حيثما ورد ذكره في القرآن الكريم [٢] . وهذا الأمر ما كان ليغيب عن سيبويه وابن جني ، لذلك ينبغي حمل كلامهم المطلق على ماقدّمتُه آنفاً ، ولاسيمّا أنّ ابن جني قد بيّن ذلك بنفسه بما يقطع كلّ ريب ، ويرفع أيّ ظنّ .

وأما قول أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) :" وأما القراءة بالمضارعة التي بين الزاي والصاد ، فعدلتُ عن القراءة بها ، لأنّه تكلّف حرفٍ بين حرفين ، وذاك أصعب على اللسان ، لأنه إنما استعمل في هذه الحال فقط ، وليس هو بحرف يُبنى عليه الكلم ، ولا هو من حروف المعجم ، ولست أدفع أنّه من كلام الفصحاء من العرب ، إلاّ أنّ الصاد أفصح وأوسع وأكثر على ألسنتهم ، والسين والصاد والزاي أخوات ، والصاد أشبههنّ بالطاء ، لأنها مطبقة مثلها ، والزاي أقرب أيضاً إلى الطاء من السين ، لأنّ الزاي حرف مجهور " [٣] . فلا التفات إلى هذا الكلام ، ولا تعويل عليه في هذا المقام ، لما تقدّم بيانه ، وأقول - أيضاً - في الرد عليه :

١- أما قوله : " فعدلت عن القراءة بها " ! فليس بحجةٍ عند القراء ، لأنّ محل القراءة هنا محل رواية وإسناد ، لامحل رأي واجتهاد ، ولاسيما إذا كان القارئ راويًا للقراءة الوارد فيها هذا الإشمام ، فيجب عليه الالتزام ، بخلاف ما إذا كان متخيرًا لما يرويه من قراءات فلا يجب ، ولم يصرح أبوعلي - هنا - بأنّ له اختيارًا في القراءة فيُقرّ على عدوله .

٢- وقوله:" لأنّه تكلّفُ حرف بين حرفين ..." لا وجه له ، لأنّ إشمام (الصاد) صوت (الزاي) يكون تكلّفاً لمن تكلّفه ، لا لمن تلقّاه وشافهه . على أنّ أبا عليّ نفسه يقرّ أنّ (الإشمام) هنا هو من كلام الفصحاء من العرب ! .

---

(١) من مواضعه في القرآن الكريم ، سورة الفاتحة (٦)و (٧) ، سورة البقرة (١٤٢) ، (٢١٣) ، سورة آل عمران (٥١) ، (١٠١) ، وغيرها كثير .

(٢) انظر : السبعة ص ١٠٦ - ١٠٨ ، الغاية ص ٧٥ - ٧٦ ، التيسير ص ١٨ ،العنوان ص ٦٧ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ١/ ٣٨ .

وحسبنا هنا قول سيبويه (ت١٨٠ هـ) - الآنف الذكر -أنّ :" قراءة أهل مكة اليوم:(حتى يَصْدُر الرعاء) بين الصاد والزاي " [١] . فإذا أضفنا أنّ قراءة أهل الكوفة كذلك بالإشمام كان ذلك حجّةً وأي حجة !.

٣- و قوله :" إلا أنّ الصاد أفصح وأوسع وأكثر على ألسنتهم .." .

إقرار بفصاحة إشمام الصادِ الزايَ ، فوجود الأفصح لا يترتب عليه انعدام الفصيح ، كما أنّ (الأوسع) لا يُفهم منه عدم وجود الواسع ، وكذلك (الأكثر) لايُراد به نفي الكثير .

وخير ما يُستأنس به - هنا - قول أبي الفتح بن جني (ت٣٩٢ هـ) في (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) :" وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحقّ بذلك من رسيلتها . لكن غاية مالك في ذلك أن تتخَيّر إحداهما ، فتقوّيها على أختها ، وتعتقد أنّ أقوى القياسين أقبلُ لها ، وأشدّ أُنسًابها . فأمّا ردّ إحداهما بالأُخرى فلا" [٢] ، وهكذا كان أبو علي الفارسي - رحمه الله تعالى - بعيد أنّ لكل زعمٍ خصماً .

---

(١) الكتاب ٤/ ١٩٦ .

(٢) الخصائص ٢/ ١٠ .

النـــوع الثالث :

خلط حركة بحركة ، بمعنى إشمامها إيّاها ، وإذاقتها صوتَها . وذلك كخلط الكسرة بالضمة ، وإشمامها رائحتها ، في أوائل الأفعال المبنية على مالم يُسمَّ فاعله الآتية :

(قِيل)[١] حيث وقع في القرآن ، (غِيض الماء)[٢] ، (جِيء) [٣] ، (حِيل) [٤] ، (سِيق) [٥] ، (سِيءبهم)[٦] ، (سِيئت وجوه) [٧] .

وقد وردت الرواية عن الكسائي ، بإشمام كسر أوائل هذه الأفعال الضمَّ فيها كلّها ، وتأكّد ذلك عن الكسائي حتى تواتر عنه ، وشُهر فيه ، وعُرِف به ، ووافقه على ذلك كلّه هشام عن عبد الله بن عامر الشامي ، على أنّ بعض الأئمة القراء قد وافق الكسائي في إشمام بعضها دون بعض ، جمعاً بين الأمرين، واستحساناً للّغتين ، على تفصيلٍ يُعلم من كتب القراءات الأصيلة ، وليس هذا محلّه [٨] .

أمّا كيف يتم هذا النوع من الإ شمام ؟ فنجد جواب ذلك عند أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) حيث يقول : " فأمّا الإشمام في قوله : (قِيل) و(سِيء) ونظائرهما ، على مذهب مَنْ أشمَّ أوّله الضمَّ دلالةً على الأصل ، فحقه أن يُنحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من

---

(١) من مواضعه في القرآن الكريم : سورة البقرة (١١) ، (١٣) ، (٥٩) ، (٩١) ، (١٧٠)

(٢) سورة هود (٤٤) .

(٣) سورة الزمر (٦٩) ، سورة الفجر (٢٣) .

(٤) سورة سبأ (٥٤) .

(٥) سورة الزمر (٧١) و (٧٣) .

(٦) سورة هود (٧٧) ، سورة العنكبوت (٣٣) .

(٧) سورة الملك (٢٧) .

(٨) انظر : السبعة ، ص ١٤٣- ١٤٤، الغاية في القراءات العشر ص ٩٨، التيسير ص ٨٢ ، العنوان في القراءات السبع ص ٦٨ .

عينه نحو الضمّة ، كما يُنحى بالفتحةمن قوله : (من النَّارِ)[١] و(من نَهَارٍ)[٢] وشبههما – إذا أُريدت الإمالة المحضة – نحو الكسرة ، فكذلك يُنحى بالكسرة – إذا أُريد الإشمام –نحو الضمة ، لأنّ ذلك كالمال سواء ، وهذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء والنحويين"[٣] .

وأمّا أبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) فيخبرنا أنّ " المراد بالإشمام في هذه الأفعال : أن يُنحى بكسر أوائلها نحو الضمّة ، وبالياء بعدها نحو الواو ، فهي حركة مركبة من حركتين : كسر وضمّ ، لأنّ هذه الأوائل وإن كانت مكسورة فأصلها أن تكون مضمومة ، لأنها أفعالُ مالم يُسمَّ فاعله ، فأُشمَّت الضمَّ دَلالةً على أنّه أصل ما تستحقه ، وهو لغة للعرب فاشية ، وأبقوا شيئاً من الكسر تنبيهاً على ما استحقته هذه الأفعال من الاعتلال " [٤] .

على أنّ القراء قد اختلفوا في كيفية أداء هذا النوع من الإشمام ، كماأشار إلى ذلك أبو شامة حيث يقول :" ثم القارىء مخيّر في ذلك الإيماء [٥] ، إن شاء قبل اللفظ ، أو معه ، أو بعده ، والأصح ما ذكرناه أولاً " [٦] .

وأقول : لكن الذي عليه جلّة القراء ، وأهل الأداء ، هو ما نقلته عن أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) ، وهو الذي صحّحه أبو شامة نفسه بقوله :(والأصح ما ذكرناه أولاً) إلى كلامه عن المراد بهذا النوع من الإشمام عندما قال :" والمرادبالإشمام في هذه الأفعال : أن يُنحى بكسر أوائلها نحو الضمّة ، وبالياء بعدها نحو الواو "[٧] .

---

(١) سورة البقرة (١٦٧) .

(٢) سورة الأحقاف (٣٥) .

(٣) التحديد في الإتقان والتجويد ، ص ٩٩ .

(٤) إبراز المعاني من حرز الاماني ، ص ٣٢١ .

(٥) أي الإشارة إلى الضم (الإ شمام) .

(٦) إبراز المعاني ، ص٣٢١ .

(٧) المصدر السابق ص ٣٢١ .

ولا أرى كلاماً - في هذه المسألة - أعدل من قول أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) - رحمه الله - ، وذلك إذ يقول : " وأما الكسرة المشوبه بالضمّة ، فنحو : قِيل ، وبِيع ، وغِيض ، وسِيق . وكما أنّ الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمّة ، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو ، على ماتقدم في الألف [١]. وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة : مررتُ بمذعُور ، وهذا ابن بُور ، نحوت بضمة (العين) و (الباء) نحو كسرة (الراء) ، فأشمَمْتَها شيئاً من الكسرة . وكما أنّ هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولاكسرة مرسلة ، فكذلك الواو أيضاً بعدها هي مشوبة بروائح (الياء) ، وهذا مذهب سيبويه ، وهو الصواب [٢] ، لأنّ هذه الحروف تتبع الحركات قبلها ، فكما أنّ الحركة مشوبة غير مخلَصة ، فالحرف اللّاحق بها أيضاً في حكمه ... فهذا ونحوه مما لا بُدّ في أدائه وتصحيحه للسمع من مشافهةٍ توضّحه ، وتكشف عن خاصٍّ سرِّه" [٣] .

وطريق ذلك عند الأداء ، أن يشير القارىء بشفتيه نحو الضم حال لفظه (القاف) المكسورة من (قِيل) مثلاً ، مستمراً على ذلك حتى ينتهي من التصويت بمد الكسرة حسبما يقتضيه المقام طولاً أو قصراً ، فكسرة (سِيّء) مثلاً أطول مداً من غيرها ، لمكان الهمزة بعدها ، فتمدُّ كسرة السين ويُبالغ في مدها ، من أجل تحقيق نطق الهمزة بعدها ، على تفصيل يُعلم من أحوال (المدود) في علم التجويد والأداء القرآني [٤] ، وعلى ذلك تُقاس

---

(١) يريد : ألف التفخيم في نحو (الصّلاة) و (الزكاة) ، وإتماماً للفائدة ، أنقل نص ذلك عن ابن جني ، يقول : " وكما أنّ الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة ، بل هي مشوبة بشيء من الضمة. فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة ، لأنها تابعة لحركةٍ هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها" سر صناعة الاعراب ١/ ٥٢ .

(٢) انظر : الكتاب (٤/ ١٤٣- هارون) .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٣ .

(٤) يُنظر في مظانّ ذلك : الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص ١٢٥، التحديد في الاتقان والتجويد ص ١٠٠ ، البرهان في تجويد القرآن ، محمد الصادق قمحاوي ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م، عالم الكتب - بيروت ، ص ٦٢ ، حق التلاوة ، حسني شيخ عثمان ، ط١ ، ١٣٩٤ هـ= ١٩٧٤ م ، مكتبة الرسالة الحديثة - عَمّان ، ص ٨٠ .

سائر الألفاظ ، التي من هذا الباب ، وبذلك قرأتُ وبه أُقرىء والحمد لله.

على أنّ هذا النوع من الإشمام له أثر في السمع ، كما كان له نصيب وافر في رؤية العين ، مشبهاً بذلك الحرف الممال .

يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) :" فإن قيل : هل تُسمع هذه الإشارة أو لا تُسمع ، وهل تُرى أو لا تُرى ، وهل تحكم على الحرف الأول ، الذي معه الإشارة ، بالضمّ أو بالكسر ؟ .

فالجواب : أنّ الإشارة إلى الضم ، في هذه الأفعال ، تُسمع وتُرى في نفس الحرف الأول، والحرف الأول مكسور ، ومع ذلك الكسر إشارة إلى الضم تخالطه ، كما أنّ الحرف المتحرك الممال لإمالةٍ فيه ، تُسمع وتُرى في نفس الحرف الممال ، ....، وليس الحرف الأول من هذه الأفعال بمضموم ، إنما هو مكسور ، يُخالط كسرتَه شيءٌ من ضمٍّ يُسمع ، كما أنّ الحرف المفتوح الممال حكمه الفتح ، ويُخالط فتحتَه شيءٌ من كسرةٍ يُسمع ، فبالحرف الممال يُشبِّه هذه الإشارةَ إلى الضم في هذه الأفعال سيبويه ، [١] وغيرُه ، ألا ترى أنّ أوائل هذه الأفعال لو كانت مضمومة ، أو الضم أغلب عليها ، لانقلبت الياء اتُ واواتٍ ، إذ ليس في كلام العرب ياء ساكنة قبلها ضمة . فلولا أنّ الحرف الأول مكسور ، ما ثبت لفظ الياء فيهنّ ، ويدلُّ على ذلك أنّ بعض العرب يترك أوائل هذه الأفعال على ضمته التي وجبت له ، وهو فعل مالم يُسمَّ فاعله ، فإذا فعل ذلك أتى بالواو في جميعها ، فقال : (قُول) و (حُول) و(سُوق) ونحوه"[٢] .

أمّا الحجة للكسائي في قراءته أوائل الأفعال المشار إليها آنفاً بالإشمام ، فلأنّ " أصلها أن تكون مضمومة ، لأنها أفعال لم يُسمَّ فاعلها ، منها أربعة ، أصل الثاني منها (واو) ، وهي :(سيء) و (سيق) و(حيل) و (قيل) ، ومنها فعلان ، أصل الثاني منها

---

(١) انظر : الكتاب (٤/ ١٣١ - هارون) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٢٣١ - ٢٣٢ ، وانظر : الكتاب ٤/ ٣٤٢ .

(ياء) ، وهما : (غيض) و (جيء) ، وأصلها : (سُويَ) و (قُولَ) و(حُولَ) و(سُوقَ) و(غُيِضَ) و(جُيِءَ)، ثم أُلقيت حركة الثاني منها على الأول فانكسر ، وخُذفت ضمّتُه ، وسكن الثاني منها ، ورجعت الواو إلى الياء ، لانكسار ما قبلها وسكونها . فَمنْ أشمَّ أوائلها الضمَّ أراد أن يُبيّن أنّ أصل أوائلها الضمّ ، كما أنّ مَن أمال الألف في (رمى) و(قضى) ونحوه ، أراد أن يُبيّن أنّ أصل الألف الياء ، ومن شأن العرب في كثير من كلامها المحافظة على بقاء ما يدلّ على الأصول . وأيضاً فإنهّا أفعال بُنيت للمفعول . فَمنْ أشمّ أراد أن يُبقي في الفعل ما يدل على أنّه مبنيّ للمفعول لا للفاعل" .[١]

هذا ، وقد استُثني من هذه الأفعال ماجاء منها على نية (المصدر) ، فأُخلص كسر أوائلها حال ذاك، لكونها مصادر لا أصل لأوائلها في الضّم [٢] . وذلك نحو قوله تعالى : " وأقوم قِيلاً "[٣] و" وقِيلهِ يارب " [٤] و " إلا قِيلاً سلاماً " [٥] و "ومن أصدق من الله قِيلاً"[٦] .

وإن كان لابدّ من التذكير - هنا - بشيء ، فلا أولى من التذكير بأنّ ابن جني (ت٣٩٢ هـ) - رحمه الله- ، قد جعل هذا النوع من الإ شمام ، من قبيل تقريب الحركة من الحركة ، الذي يندرج عنده جملةً في باب تقريب الصوت من الصوت ، الذي هو أصل يعتمده في كثير من أحكام العربية وخصائصها الصوتية ، كالإدغام والإشمام ، والإمالة والمشاكلة ، ونحو ذلك [٧] .

---

(١) الكشف ١/ ٢٣٠ ، وانظر : الحجة ، لأبي علي ١/ ٢٥٩.

(٢) انظر : الحجة ١/ ٢٦٠ ، والكشف ١/ ٢٣٢ ، وإبراز المعاني ص ٣٢١ .

(٣) سورة المزمّل (٦) .

(٤) سورة الزخرف (٨٨) .

(٥) سورة الواقعة (٢٦) .

(٦) سورة النساء (١٢٢) .

(٧) انظر : الخصائص ٢/ ١٣٩ -١٤٥.

وخلاصة لما سبق ، فإنّه يتحصّل لنا في هذه الأفعال المبنية للمفعول :(قِيل - حِيل -سِيء- غِيض - سِيق - جِيء) ثلاث لغات :

١- إخلاص كسر أوائلها (فاء الفعل) مع الياء بعدها (عين الفعل) ، وهي لغة قريش ومجاوريهم من بني كنانة . وهي قراءة ابن كثير المكي ، وأبي عمرو البصري ، وعاصم وحمزة الكوفيّين .

٢- إشمام كسر أوائلها الضمَّ ، وهي لغة كثير من قيس وعقيل ، ومَنْ جاورهم ، وعامة بني أسد . وبذلك قرأ الكسائي وهشام ، ووافقهما نافعٌ في(سيء) ، وابنُ ذكوانَ عن ابن عامر الشامي في (سيء) و(حيل) و(سيق) . وقد مرّ بنا أنّ الكسائيَّ أَسدِيٌّ بالولاء ، فالإشمام لغة قومه ، وأما مَنْ قرأ بالإشمام في بعضٍ دون بعضٍ فاستحساناً للأمرين ، وجمعاً بين اللّغتين ، مع اتباع الأثر في الروايتين .

٣- إخلاصُ ضمّ أوائل الأفعال المذكورة مع واوٍ بعدها ، أو بعبارة أُخرى : ضم أوائلها ضمةً طويلةً ، على هذا النحو : (قُول - حُول - سُوء - سُوق - غُوض - جُوء) ، وهي لغةٌ لبني هُذيل وبني دبير ، ولم يقرأ بهذه اللغة أحد من القراء (*).

(*) انظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ١/ ٦٠ -٦١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق الزّجّاج ١/٥٢-٥٣.

الخاتمة

[النتائج والتوصيات]

خاتمة الدراسة
(نتائج وتوصيات)

الحمد لله في البدء والختام ، والصلاة والسلام ،على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام ، وبعد :

فقد آذنت رحلتي مع الإمام الكسائي بالانتهاء ، وقبل أن أضع القلم ، كان لابدّ لي أن أُسجِّل بعض ما عَلِق في ذهني من الملاحظات ، والنتائج والتوصيات ، التي أضعها بين يدي القارىء الكريم ، مؤمِّلاً أن يُكتب لها حُسنُ القَبول :

أولاً: حاولتُ في هذا البحث طرحَ منهجٍ استقرائيٍّ تتبعيٍّ ، يقوم على السبر والاستقراء ، ثم التتبع والتمحيص والتحقيق ، والموازنة بين الآراء ، وترجيح الراجح منها على المرجوح بالدليل والبرهان ، من خلال قراءة الإمام الكسائي - إحدى القراءات السبع المتواترة-.

ثانياً: بدا تميّزُ قراءة الإمام الكسائي بخصائصَ لغويةٍ وصوتيةٍ ، جعلتها مُميزةً من بين سائر القراءات ، الأمر الذي جعلها جديرةً بالبحث ، وتسليط الضوء عليها ، مساهمةً في تعزيز العربية ، وإبراز خصائصها وفنونها .

ثالثاً : ثبت لديّ في كل فصول البحث ، تأثّرُ الإمام الكسائي بلسان قبيلته (أسد) ، وكيف أنّه لم يخرج عن لهجتها غالبـًا ! في كل جوانب قراءته اللغوية منها والصوتية ، ممّا يؤكّد تأثر القارىء بمحيطه وبيئته اللغوية ، التي يستمدها من قبيلته التي ينتسب إليها أصالةً أو ولاءً ، بما يوافق الروايةَ عن شيوخه .

رابعاً :بينتُ أخطاءَ بعض دارسي اللغة من المحدَثين، و كيف وقعوا بمزالقَ وأغاليطَ ما كان لهم أن يقعوا فيها ، لوأنهم عقدوا دراساتهم وقصروها على العربية الفصيحة ، من خلال ماتواتر عليه قراء القرآن المُجيدون ، الناقلون إلينا أعلى وأرقى نصٍّ عربي في الوجود، لاعلى لهجاتٍ عاميّةٍ داخلها الدخيل ، وعزَّ فيها الصوت الأصيل !.

خامساً: القراءات مدارها على الرواية والإسناد ، لاعلى الدراية والاجتهاد ، وإن كان هناك من اجتهاد أو تعليل للقراءات ، فهو تابع لها ، وليس العكس ، وقد ظهر لي من خلال هذا البحث أنّ الإمام الكسائي قد تمايز نحوياً وقارئاً ، فقرأ بما يُخالف مذهبه النحوي ، اتباعاً للأثر والرواية .

ومن ثَمَّ فإنّ الباحث في اللغة ، إذا اعتمد على القراءات القرآنية ، وجعلها أساساً في بحثه ،

فإنها تُضيف إليه حسنةً أُخرى ، وهي النهوض به نحو استجلاء القضايا اللغوية من خلال ما صحّ روايةً ، إضافةً إلى تتبع الأسانيد ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، ومُعْوَجِّها من مستقيمها ، في إثبات اللغة ، فهي تأخذ بيد الباحث إلى أن لا يكون غُفْلاً عن علم الأسانيد ، ومعرفة أحوال الناقلين لهذه اللغة من حيث دقتُهم وثقتهم وضبطهم ، فلا يقيم قواعدَ ، ويثبت نظرّياتٍ قائمةً على هزيل الروايات ، وضعيف الشواهد ! .

سادساً: والقراءات القُرآنية المتواترة ، سواء أكانت سبعاً أم عشراً ، هي جزء من الأحرف السبعة التي أُنزل القرآن عليها ، تيسيراً للأُمة - كما ثبت في الحديث الصحيح - ، ومن هنا فلا ينبغي أن تظهر صَيَحاتٌ ودعواتٌ من هنا وهناك ، تُطالبُ بالاقتصار على قراءةٍ واحدةٍ ، على أنّ هذه الدعوات يكون لها وجهٌ من الصحة ، إذا كان المرادُ بها عوامَّ الناس ، أما المتَخصّصون بهذا العلم ، والدارسون للعربية ، فلا محل لهذه الدعوات بينهم من الإعراب ! لأنها من باب تضييق الواسع ، فبما أنّ القراءة متواترةٌ موافقةٌ لرسم المصحف العثماني الإمام ، فهي - لابد -من الأحرف السبعة التي أذنَ لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقراءة بها ، ومن هنا - أيضاً - أدعو إلى نَبْذ ما يُخالف هذا الأصل المجمع عليه في قبول القراءات، وعدم القيام بدراسات حول القراءات الضعيفة والشاذة عن هذه الضوابط ، كي لانقع فيما نريد الفرار منه !، لأنّ تحقيق ذلك - بلا ريب- يُثري الدراسات القرآنية والعربية ، ويُساهم في توطيد دعائم شواهد العربية ، ونفي الشاذ والدخيل منها ، والاعتماد على ما صح أنّه قُرىء به قرآن ، فيكون من خِضَمِّ العربّية الزّخّار، وسيل كنوزها الجرّار ، وعلى هذا فإنّ دَوْرَ القراءات القرآنية المتواترة بالنسبة إلى العربية يكون بين المدّ والجَزْر ، المدّ في إثراء العربية ودعمها بأصح الشواهد على قواعدها ، والجَزْر في نفي الغَثّ والشّاذّ والدخيل المرذول منها .

سابعاً : ونتيجةً لما سبق ، فلا يجوز لأيّ كان أن يتجرأ على قراءةٍ قرآنيةٍمتواترةٍ ؛ فيردَّها أو ينتقص منها ، بحجة مخالفتها قواعد العربية ، فقد ثبت أنّ القراءات هي حجة على العربية ولاعكس .

ثامناً : ومن خلال ذلك كله ، تسطع أهمية دراسة القراءآت القرآنية المتواترة ، وأنها ينبغي أن تكون المحور الاساس ، الذي تدور في فلكه الدراسات اللغوية العربية ، فهي - بحق - ديوانُ اللغة ، ومعينها الخصب الذي لاينضب ، ذلك أنّ القراءة المتواترة تمثل

القمةَ في الاحتجاج والاستشهاد بها على صحة قواعد العربية وسلامتها ؛ لأنّ هذه القراءات قد وصلت إلينا بأعلى وأرقى طريق من طرق الرواية الصحيحة ، ألا وهو طريق التواتر .لذلك كله أضم صوتي إلى أصوات الداعين الى ضرورة تدريس القراءات في أقسام اللغة العربية في الجامعات والمعاهد ، لا بل أُنادي بأكثر من ذلك ، لإقامة أقسامٍ متخصصّةٍ بتدريس علم القراءات ، كما عليه الحال في بعض الجامعات الإسلاميّة .

.

اللهمّ...

هذا ما قصدتُ إليه من هذا البُحيث ، فإن تمَّ لي ذلك ، فبنعمتك ، ولك الحمد على توفيقك ، وأسألك المزيد من فضلك ، وإن كان غير ذلك ، فلك - وحدك - الحمد على كل حال ﷺ.

.

وكتب

محسن هاشم عبد الجواد درويش

بغداد في ١٥/ ذي الحجة / ١٤١٥ هـ

الموافق ١٠-٥- ١٩٩٥ م

ثبت
المصادر والمراجع

ثبت
المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

(أ)

٢- الإ بانة عن معاني القراءات : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق د . محيي الدين رمضان ، ط١ ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٣- إبراز المعاني من حرز الأماني ، في القراءات السبع : لأبي شامة المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥ هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، بدون تاريخ .

٤- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : للشيخ أحمد الدمياطي الشهير بـ(البناء) (ت١١١٧هـ) ، بتصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة - بيروت ، بدون تاريخ .

٥- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي (ت٩١١ هـ) ط٤ ، البابي الحلبي - مصر ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٦- أخلاق حملة القرآن : لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي البغدادي (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق د .غانم قدوري حمد ، ط١ ، دار الأنبار - بغداد ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٧- أدب الكاتب : لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، مطبعة السعادة - مصر ، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣ م .

٨- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد : لمحمد علي الضبّاع ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط١ ، مكتبة الحلبي - مصر ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٩- أساس البلاغة : للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البّر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) ، بهامش (الإصابة) لابن حجر ، ط دار أحياء التراث العربي - بيروت ، مصوّرة عن ط١ ،

سنة ١٣٢٨ هـ .

١١-الاشتقاق : لأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي - مصر ، بدون تاريخ .
١٢- الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، ط مصوّرة عن ط١ سنة ١٤٢٨ هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٣- أصوات العربية بين التحول والثبات : د. حسام سعيد النعيمي ، ط بغداد ، ١٩٨٩م.
١٤- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ١٩٧٩م .
١٥- إعراب القرآن : لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني - بغداد ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
١٦- الأعلام : لخير الدين الزركلي ، ط٦ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م .
١٧- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تاريخ .
١٨- الإقناع في القراءات السبع : لابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، ط١ ، منشورات جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٣ هـ .
١٩- الإمالة في القراءات واللهجات العربية : د. عبد الفتاح شلبي ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
٢٠- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن : لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.
٢١- إنباه الرواة على أنباه النحاة : لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٣٧١هـ= ١٩٥٢ م .
٢٢- الأنساب : للسمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، تعليق عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، دار الجنان - بيروت ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
٢٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : لأبي البركات بن الأنباري النحوي (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر

- بيروت ، بدون تاريخ .
٢٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، ط مؤسسة شعبان - بيروت ، بدون تاريخ.
٢٥- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.
٢٦- إيضاح الوقف والابتداء : لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين رمضان ، ط مجمع اللغة العربية- دمشق ، ١٩٧١ م.

(ب)

٢٧- البداية والنهاية : لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
٢٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة : لعبد الفتاح القاضي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م.
٢٩- البحر المحيط : لأبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، ط ٢ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
٣٠- البرهان في تجويد القرآن : محمد الصادق قمحاوي ، ط ١ ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.
٣١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
٣٢- البلغة في تاريخ أئمة اللغة : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق محمد المصري ، ط وزارة الثقافة - دمشق ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
٣٣- البيان في غريب إعراب القرآن : لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق د . طه عبد الحميد طه ، ط الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(ت)

٣٤- تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، منشورات دار ومكتبة الحياة - بيروت ، بدون تاريخ .
٣٥- تاريخ بغداد أو (مدينة السلام) : للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ط دار الكتب

العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .
٣٦- تاريخ التراث العربي : د. فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ط جامعة محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .
٣٧- التاريخ الصغير : لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق محمد ابراهيم زايد ، ط ١ ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.
٣٨- التاريخ الكبير : للبخاري ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .
٣٩- تحبير التيسير : لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م.
٤٠- التحديد في الإتقان والتجويد : لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، ط١ ، دار الأنبار - بغداد ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٨ م.
٤١- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ١٩٩٢ م.
٤٢- التسهيل لعلوم التنزيل : لابن جُزَيّ (ت ٧٤١ هـ) الكلبي الغرناطي، ط الدار العربية للكتاب ، بدون تاريخ .
٤٣- التعريفات : للشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، ط١ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م - بيروت.
٤٤- تفسير الجلالين : لجلال الدين المحلي والسيوطي ،ط مكتبة العلوم الدينية - بيروت، بدون تاريخ .
٤٥- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، ط١ ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
٤٦-تقويم كتاب معاني القرآن للفراء : د. أحمد خطاب العمر ، دراسة منشورة في مجلة (المورد) العراقية ، مجلد ١٧ ، العدد الرابع ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.
٤٧- تلخيص المستدرك على الصحيحين : للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مطبوع بحاشية (المستدرك) للحاكم النيسابوري ، ط دار الفكر- بيروت ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
٤٨- التمهيد في علم التجويد : لمحمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق د.عانم قدوري حمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .
٤٩- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : لأبي الحسن الصفاقسي (ت ١١١٧ هـ) ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر ، ط

مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس ، ١٩٧٤ م.
٥٠- تهذيب التهذيب : لابن حجر ، ط١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
٥١- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ط١،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.
٥٢- التيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تحقيق اوتو برتزل ط٢ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

(ج)

٥٣- جامع الأصول من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - : لأبي السعادات بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ٢ . دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
٥٤- جامع البيان عن تأويل آي القران (تفسير الطبري) : لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م.
٥٥- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لأبي عيسى الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تاريخ .
٥٦- الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف : لابن وثيق الأندلسي(ت ٦٥٤هـ)، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، ط١ ، دار الأنبار - بغداد ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
٥٧- الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - الهند.
٥٨- جمال القراء وكمال الإقراء : لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق د. علي حسين البواب ، ط١ ، مكتبة التراث - مكة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م.
٥٩- جمهرة اللغة : لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، ط دار صادر - بيروت ، مصوّرة عن ط ١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - الهند ، سنة ١٣٤٥ هـ.

(ح)

٦٠- الحجة في علل القراءات السبع : لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، ط دار الكاتب العربي ، بدون تاريخ .

٦١- - الحجة في القراءات السبع : لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، ط ٢ ، دار الشروق - بيروت ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.
٦٢- حجة القراءات : لأبي زرعة بن زنجلة (كان حيًّا ٣٨٢ هـ) ، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
٦٣- حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية) في القراءات السبع : لأبي القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) ، مراجعة متولي عبد الله الفقاعي ، ط محمد علي صبيح - مصر ، بدون تاريخ .
٦٤- حق التلاوة : حسني شيخ عثمان ، ط١ ، مكتبة الرسالة الحديثة - عمان ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.
٦٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نُعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، بدون تاريخ .
٦٦- الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية : لخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، تصحيح علي محمد الضباع ، ط محمد علي صبيح - مصر ، بدون تاريخ .

(خ)

٦٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : للبغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١ ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
٦٨- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢، دار الهدى - بيروت ، بدون تاريخ .

(د)

٦٩- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري حمد ، ط ١ ، مطبعة الخلود بغداد ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.
٧٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ط٢ ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.
٧١- دول الإسلام : للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، ط الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م.
٧٢- ديوان الأعشى الكبير : تحقيق د. محمد محمد حسين ، ط دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٤ م.

٧٣- ديوان ذي الرمّة : تحقيق مطيع ببيلي ، ط٢ ، المكتب الاسلامي - دمشق ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.

(ر)

٧٤- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، ط ٢ ، دار عمار - عمان ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

٧٥- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : لمحمد باقر الموسوي الأصبهاني (ت ١٣١٣ هـ) ، تحقيق اسد الله إسماعيليان ، ط دار الكتاب العربي - بيروت ، بدون تاريخ ،مصوّرة عن ط طهران سنة ١٣٩٠ هـ.

(س)

٧٦- السبعة : لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق د. شوقي ضيف ، ط ٢ ، دار المعارف - القاهرة ، بدون تاريخ .

٧٧- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي : لأبي القاسم علي بن القاصح البغدادي(ت٨٠١هـ) مراجعة علي محمد الضباع ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.

٧٨- سر صناعة الإعراب : لأبي الفتح بن جني ، تحقيق د. حسن هنداوي ، ط١ ، دار القلم - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

٧٩- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة الاسلامية - استانبول ، بدون تاريخ .

٨٠- السنن الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، ط دار المعرفة بيروت ، مصورة عن ط١ ، مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر أباد الدكن - الهند ، ١٣٤٤ هـ .

(ت ٢٧٥هـ)

٨١- سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م.

٨٢- سنن النسائي : أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، بشرح السيوطي ، وحاشية السندي ، ط دار الفكر - بيروت ، مصورة عن ط ١ ، ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م.

٨٣- سير أعلام النبلاء : للذهبي ، تحقيق جماعة من المحققين ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

(ش)

٨٤- شخصيات كتاب الأغاني : داود سلّوم ، د. نوري حمودي القيسي ، ط المجمع العلمي العراقي بغداد ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٨٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، ط ١ ، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

٨٦- شرح الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) على شافية ابن الحاجب : تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين ، ط حجازي.

٨٧- شرح السنة : للحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ١٤٠٣ هـ= ١٩٨٣ م.

٨٨- شرح طيبة النشر في القراءات العشر : لأحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٢٧ هـ)، تحقيق العلامة علي محمد الضباع ، ط١ ، مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ .

٨٩- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة : لابن أم قاسم المرادي النحوي (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي ، ط دار القلم - بيروت ، بدون تاريخ.

٩٠- الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) : لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق د. مفيد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.

٩١ - شفاء الصدور في ذكر أنواع قواعد شيوخ قراء السبعة البدور : لعبد المجيد الخطيب ، ط١ ، الموصل ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

(ص)

٩٢- صحيح مسلم : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.

٩٣- صحيح مسلم بشرح النووي : لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .

(ط)

٩٤- الطبقات : لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، ط ٢ ، دار طيبة-الرياض ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

٩٥- طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) ، تحقيق وشرح محمود شاكر ، ط القاهرة ، ١٣٩٤ هـ =١٩٧٤ م.

٩٦- الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ط دار صادر - بيروت ، بدون تاريخ .

٩٧- طبقات المفسرين : للداوودي (ت ٩٤٥ هـ) ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .

٩٨- طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف - مصر ، بدون تاريخ .

(ع)

٩٩- العبر في خبر من غبر : للذهبي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

١٠٠- علم التجويد (دراسة صوتية ميسرة) : د. غانم قدوري حمد ، ط١ ، مطبعة أسعد بغداد ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

١٠١- العنوان في القراءات السبع : لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (ت ٤٥٥ هـ) ، تحقيق د.زهير زاهد وصاحبه ، ط١ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

١٠٢- العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، ط دار الرشيد - بغداد ، ١٩٨١ م.

(غ)

١٠٣- الغاية في القراءات العشر : لأبي بكر بن مهران (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق محمد غياث الجنباز ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

١٠٤- غاية النهاية في طبقات القراء : لمحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، عُني بنشره ج . براجستراسر ، ط٣ ،دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ .

١٠٥- غيث النفع في القراءات السبع : لعلي النوري الصفاقسي (ت ١١١٧ هـ) ، بهامش سراج القارئ المبتدي .

(ف)

١٠٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، بمراجعة عبد العزيز بن باز، ط دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ .

١٠٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي

الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
١٠٨- الفهرست : لابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ط دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ .
١٠٩- في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس ، ط٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، بدون تاريخ .

(ق)

١١٠- القاموس المحيط : للفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

(ك)

١١١- الكامل في اللغة والأدب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ،ط مكتبة المعارف - بيروت ، بدون تاريخ .
١١٢- كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، عالم الكتب - بيروت ،١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
١١٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، ط دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ .
١١٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.
١١٥- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق د. محي الدين رمضان ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م.

(ل)

١١٦- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تاريخ .
١١٧- اللباب في تهذيب الأنساب : لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ، ط دار صادر بيروت ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
١١٨- لسان العرب : لابن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) ، ط دار صادر - بيروت ، بدون تاريخ .
١١٩- لطائف الإشارات لفنون القراءات : لشهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د. عبد الصبور شاهين ، ط١ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -

مصر ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
١٢٠- لطائف البيان في رسم القرآن (شرح مورد الظمآن) : للشيخ أحمد محمد أبو زيت حار ، ط ٢ ، محمد علي صبيح - مصر ، بدون تاريخ .
١٢١- اللمع في العربية : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق حامد المؤمن ، ط ٢ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

(م)

١٢٢- مجالس العلماء : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي (ت ٣٤٠ هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢ ، دار الرفاعي - الرياض ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
١٢٣- مجلة (المورد) العراقية ، المجلد ١٧ ، العدد السابع ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.
١٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، ط ٣ ، دار الكتاب العربي - بيروت ،١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.
١٢٥- محاضرات في علم الأصوات : د. حسام سعيد النعيمي ، أملاها علينا في السنة التمهيدية للماجستير .
١٢٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبه ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
١٢٧- المحكم والمحيط الأعظم ، في اللغة : لابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) ، الجزء السابع ، تحقيق محمد علي النجار ، ط١ ، مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
١٢٨- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : لمحمد الأنطاكي ، ط٣ ، دار الشرق - بيروت ، بدون تاريخ .
١٢٩- مختار الصحاح : للرازي (ت ٦٦٦ هـ)، ط دار البصائر - دمشق ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.
١٣٠- مختصر بلوغ الأمنية شرح تحرير مسائل الشاطبية ،لعلي محمد الضباع ، بذيل صحائف (سراج القارىء) .
١٣١- المخصَّص : لابن سيدة ، ط دار الآفاق الجديدة - بيروت ، بدون تاريخ .
١٣٢- مذهب الكسائي في النحو : جعفر هادي الكريم ، رسالة (ماجستير) ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
١٣٣- مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، ط دار نهضة مصر - القاهرة ، بدون تاريخ .
١٣٤- مرشد الأعزّة إلى شرح رسالة حمزة : محمود حافظ برانق ومحمد سليمان صالح ، ط ١ ، مكتبة تاج بداير - طنطا (مصر) ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.
١٣٥- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز : لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، دار صادر - بيروت ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
١٣٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه ، ط دار الفكر - بيروت ، بدون تاريخ .
١٣٧- مسالك الأبصار في ممالك الأبصار : لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) ، مخطوط أصدره فؤاد سزكين ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت - ألمانيا ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١٣٨- المستدرك على الصحيحين : للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
١٣٩- المستدرك على معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م.
١٤٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) (بهامشه : منتخب كنز العمال) : مصوَّرة دار الفكر - بيروت ، بدون تاريخ .
١٤١- مشكل إعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. حاتم الضامن ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.
١٤٢- المصاحف : لأبي بكر بن أبي داود (ت ٣١٦هـ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
١٤٣- المصباح المنير : للفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ط مكتبة لبنان - بيروت ، ١٩٨٧ م.
١٤٤- معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، عالم الكتب - بيروت ، ١٩٨٠م .
١٤٥- معاني القرآن : للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) ، تحقيق د. فائز فارس ، ط٢ ، دار البشير - عمان ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
١٤٦- معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق الزجّاج (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

١٤٧- معجم الأدباء : لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، ط ٣ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ .
١٤٨- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم : د. إسماعيل عمايرة و د. عبد الحميد مصطفى السيد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م.
١٤٩- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ط دار صادر - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
١٥٠- معجم الدراسات القرآنية : د. ابتسام مرهون الصفّار ، ط جامعة الموصل ، ١٩٨٣ - ١٩٨٤ م.
١٥١- معجم القراءات القرآنية : د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم ، ط ٢ ، جامعة الكويت ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١٥٢- معجم لغات القبائل والأمصار : د. جميل سعيد و د. داود سلوم ، ط المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
١٥٣- معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تاريخ .
١٥٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف : نشر أ.ي ونسنك، ط بريل - ليدن ، ١٩٦٩م.
١٥٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.
١٥٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : للذهبي ، تحقيق د. بشار عواد وصاحبيه ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١٥٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تاريخ .
١٥٨- مفتاح كنوز السنة : وضعه بالانجليزية د. أ. ي ، فنسنك ، نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
١٥٩- المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط دار المعرفة -بيروت ، بدون تاريخ .
١٦٠- المفصّل في علم العربية : للزمخشري ، ط٢ ، دار الجيل - بيروت ، بدون تاريخ .
١٦١- مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط دار الكتب العلمية - إيران ، بدون تاريخ .

١٦٢- المقتضب : للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ط عالم الكتب - بيروت ، بدون تاريخ .
١٦٣- المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه (متن الجزرية) : لابن الجزري ، ضمن رسالة في منظومات أُمهات العلوم ، ط المطابع التعاونية - عمان ، بدون تاريخ .
١٦٤- المقنع في رسم مصاحف الأمصار : لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، بدون تاريخ .
١٦٥- المكتفى في الوقف والابتدا : لأبي عمرو الداني ، تحقيق د. يوسف المرعشلي ، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
١٦٦- منار الهدى في الوقف والابتدا : للأشموني(ت ١١٥٠ هـ)، ط ٢ ، البابي الحلبي - مصر ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
١٦٧- الموطأ : للإمام مالك بن أنس(ت ١٧٩ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م.
١٦٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(ن)

١٦٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.
١٧٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق د. ابراهيم السامرائي ، ط٣ ، مكتبة المنار - الزرقاء - الاردن ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.
١٧١- النشر في القراءات العشر : لابن الجزري ، بتصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .
١٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، بدون تاريخ .
١٧٣- نهاية القول المفيد في علم التجويد : لمحمد مكي نصر ، مراجعة وتصحيح علي

محمد الضباع ، ط مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ١٣٤٩ هـ.

(هـ)

١٧٤- هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ : عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، ط١ ، على نفقة الشيخ محمد بن عوض بن لادن - السعودية ، ١٤٠٢ = ١٩٨٢ م.

١٧٥- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون) : لإسماعيل باشا البغدادي ، ط دار الفكر -بيروت ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

١٧٦- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للسيوطي ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، ط دار البحوث العلمية - الكويت ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

(و)

١٧٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط دار صادر ، بدون تاريخ .

★★★★★★★★

grammatical rules for these recitations were handed down by the most trusted way : consensus of sources .

The scientific material that is researched in this thesis is divided into two chapters . Chapter one contains two sections : Section one deals with the biography of Imam Kissa'ey with emphasis on his scholarly status by quoting from primary sources. Section two deals with what distinguished Imam Kissa'ey's recitation in Arabic and which was radically different from all other recitations. This is done according to the sequence of the Qur'an's Chapters (Surahs) , one by one , dealing with problematic cases which were criticized by various scholars, vindicating these cases by logical proofs.

Chapter Two deals with the most important phonetic fundamentals which characterize Kissa'ey's recitation, and which form the distinguishing features of this recitation. Section One of this chapter deals with assimilation. Section Two with Immalah and Section Three with Ishmam. These sections were introduced by a concise preface.

In expatiating. on recitations as a discipline , I had to allude to a fundamental , focal aspect of these matters, i.e. that the discipline of recitation is based on authenticated narration and not on scholarship and revision. If there are any reasoning, revision , or corroboration of Quar'anic recitations drawn from the ocean of the Arabic language , these are subordinated to these recitations and not vice versa as some people think wrongly.

Consequently, if any researcher of the language draws proofs from these recitations making them the basis of his research , this will be considered as an added advantage, i.e. elevating it to the level of elucidating the linguistic matters through these authenticated quotations in addition to the sharpness of mind which helps him to discriminate between authentic and uncorroborated quotes in elucidated linguistic problems.

This leads the researcher to be completely aware of the principles of authenticity and to have a detailed knowledge of those who relegate the language : their accuracy, trustfulness, and discipline . Consequently, the researcher will not formulate rules, or generate theories based on groundless quotations and spineless instances.

If I succeeded in delivering my message by writing this thesis, then praise and gratefulness are due to God alone by whose grace good deeds can be accomplished.

Muhsin Hashim Abdul Jawad

1st. Muharram,1416 A.H.-30th May,1995

In the Name of God, Most Gracious, Most Merciful.

Linguistic and Phonetic Characteristics of Imam Kissa'ey's Recitation

Abstract

This thesis deals with some of the most important of Arabic sounds and dialects and their grammatical aspects through a scrutiny of one of the seven well-known, traditional recitations of the Qur'an.

This specific recitation is that of Imam Abi Hassan Ali b. Hamza Al-Kissa'ey Al-Kufi (d. 189 A.H.).

I tried in this thesis to apply an approach that depends on meticulous scrutiny and is based on close examination and discrimination comprising among divergent opinions.This is a process that depends on reliable proof and not the mere insertion of quotations from the relevant sources , as is the case with the majority of traditional researches.

There were many reasons behind choosing Kissa'ey's recitation , among them are the following :

1. Kissa'ey represents the head of the Kufian linguistic, grammatical schools in addition to his being an Imam in the recitation of the Holy Qur'an.

2. Kissa'ey's own recitation is distinguished by its sounds and versions which made it distinct among the other seven recitations, and consequently it is considered the most quaint recitation.

3. Drawing attention to the importance of the Qur'anic recitations in any Arabic lesson in linguistics , and that they must be the main topic in any Arabic linguistic research. The Holy Qur'an is the most supreme Arabic text, which has been handed down intact , and subjected to no revision, for Almighty God ordained that it should be eternally preserved. God states :

We have without doubt,
Sent down the Message {Qur'an};
And We will assuredly
Guard it (from corruption).

Al-Hijr :9

It is conceded that a recitation which is well-known for generations represents the summit in proving the correctness of any text especially Arabic